

الدولة.. والجدار.. والفضن.. والهوية

أيمن الصياد - دافيد هير - عزمى بشارة - وليد الخالدي - عايدة العادلى هنية

وكان الزمن فلسطينيا

النيل ...
المعركة
المقبلة
فكري أندراوس

جوزيف
مسعد:
الاشتهاء
عربيا
سامية محرز



الاستبداد..
مرض
الأمّة
المزمن
سلام الكواكبي

الشيوعيون
والسلطة
سيرة
ذاتية
وليد عبد الناصر

دار الشروق



وسط البلد، ميدان طلعت حرب ت: ٢٣٨٢٤٨ - ٢٣٣٢٦٤
 اسر الجديدة، ١٥ شارع بغداد، الكويت ت: ٢٤١٧١٩٤ - ٢٤١٧١٩٤
 الإسكندرية، سان ستيفانو مول ت: ٠١٠٦٣٣٦٩ - ٠٣/٢٩٩٠٣٧
 ت: محمد كمال مرسى، م: ش الطفل أحمد عبد العزيز، الهندس ت: ٢٧٣٣٣٣٤



رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم المعلم
رئيس مجلس التحرير
سلامة أحمد سلامة

كتاب العدد :

- أمين الصبيح .. صمغى .
- حسونة الصبيح .. كاتب تونسي .
- هانيه هير .. كاتب مسرحي ومخرج بريطاني .
- رنا حايك .. صحفية لبنانية .
- سامية مجز .. أساتذة الأدب القارئ بالجامعة الأمريكية .
- سلام الكواكبي .. باحث سوري مقيم بباريس .
- عادل العايدى .. أكاديمية فلسطينية تقوم بتدريس الفن والتاريخ الفكرى بجامعة بيرزيت .
- عزمى بشارة .. كاتب عربى .
- على جمجوم .. باحث فى فلسفة الرياضيات .
- فكري الفراسى .. كاتب مصرى مقيم بالولايات المتحدة .
- محمد عبد اللطيف هريدى .. أستاذ الدراسات التركية بجامعة عين شمس .
- وليد الخالدي .. أكاديمى فلسطينى .
- وليد محمود عبدالناصر .. كاتب مصرى .

رسوم العدد للفنان
محمد حجي



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات وإقامة
أو غير الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء
منها - بغير إذن كتابى مسبق من الناشر -



المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربى والدولى
٢ ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت : ٢٣٩٣٠٤٩٠ / ٢٣٩٣٠٤٩٢ / ٢٣٩٣٠٤٩٢ فاكس : ٢٣٩٣٠٤٩٨ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (التحرير) : e-mail: info@alkotob.com

الاشتراكات :

السنة الواحدة (أشهر عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصرى - أجماع
بريد عربى : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا : ٨٠
دولاراً أمريكياً - باقى دول العالم : ١٠٠ دولاراً أمريكياً .
إدارة الاشتراكات : شارع سيبيه المصرى - ص. ب. : ٢٢ البانوا - مدينة نصر
هاتف : ٢٣٣٩٩٩٩ - فاكس : ٢٤٠٤٨٤٦٦ - subscription@weghatanazar.com

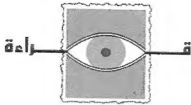
ثمن النسخة :

فى مصر : ١٠ جنيهات مصرية . السعودية ١٥ ريالاً - الكويت ١٠,٥ دينار - الإمارات ١٥
دورهما - مملكة البحرين ١٠ دينار - قطر ١٥ ريالاً - سلطنة عمان ١٠,٥ ريال - لبنان ٥٠٠٠
ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن ديناران ونصف - ليبيا ديناران - الجزائر ٣٠٠ دينار - المغرب
٣٠ درهما - تونس ٤ دينار - اليمن ٣٠٠ ريال - فلسطين ٣٠ دولارات .
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £ 3 - USA \$ 5.

طبع بطابع الشرق بالقاهرة

محتويات العدد :

- ٤ • أيمن الصبيح ..
- ٥ • ... الدولة ،
- ٦ • دافيد هير ..
- ٧ • الجدار .. حوار من طرف واحد ،
- ١٢ • عزمى بشارة ..
- ١٣ • عرب إسرائيل ، إشكالية الدولة والهوية .. والأخر ،
- ١٦ • رنا حايك ..
- ١٧ • وكان الزمن فلسطينياً ، بيروتيات حلمى التونى ،
- ١٨ • عادل العايدى هنية ..
- ١٩ • ابتداء حركة الفن الفلسطينى ما بين الحداثة والمعاصرة ،
- ٢٨ • وليد الخالدي ..
- ٢٩ • إعادة قراءة .. فلسطين ١٩٣٨ ،
- ٣٠ • سامية مجز ..
- ٣١ • جوزيف مسعد بعد إدوارد سعيد .. الاشتقاء .. عربيا ،
- ٣٢ • فكري الفراسى ..
- ٣٣ • التل .. معارك المياه مقبلة ،
- ٤٠ • سلام الكواكبي ..
- ٤١ • الاستبداد .. المرض المزمن للأمة ،
- ٤٦ • وليد محمود عبدالناصر ..
- ٤٧ • سيرة ذاتية «لشيوخ مصرىين .. والسلطة» ،
- ٥٤ • محمد عبد اللطيف هريدى ..
- ٥٥ • الأثر فى قصصهم القصيرة ،
- ٦٠ • حسونة الصبيح ..
- ٦١ • رسالة الدنيا وقصائد الإرادة «أبو القاسم الشابي» ،
- ٦٤ • على جمجوم ..
- ٦٥ • بحث فى رياضيات المنطق «هل الوردة البيضاء حقاً بيضاء» ،
- ٦٦ • إصدارات جديدة ..



...السلطة

أيمن السعيد

معتبراً أن هذا من شأنه أن "يقوض شرعية إسرائيل وحقوقها المعترف بها عالمياً في الوجود كدولة يهودية مهيمنة في أرض أجدادها". ربما من الحكمة هنا (وهي ضالة كل مؤمن) أن نتذكر أن بيريز، الذي شارك في صياغة سياسات بلاده بمعدن فشرة وجودها، كرس حياته كلها تقريباً لتقويض فرص قيام دولة فلسطينية والتفاوض عن بناة أكثر من ٤٢٠ مستعمرة بينما يقدم الدعم المشوي لـ (عملية السلام). وأن خطة تلون لطرد السكان العرب من فلسطين كانت هي البرنامج الانتخابي لبيريز أثناء حملته في أعوام ١٩٧١ و ١٩٧٧ و ١٩٨١ و ١٩٨٤ و ١٩٨٧، وهي التي جعل خطة تلون جزءاً من الشايفية كاسب دافيد عام ١٩٧٨ وتفاعمت أسلوا عام ١٩٩٣. وتبقى حقيقة أن حل الدولتين الذي يحاول بيريز توسيعه لجمهور والإدارة الأمريكية هو عبارة عن دولة فلسطينية على مساحة ٢٧٦.٦ من الضفة الغربية مقسمة إلى مناطق منفصلة، مع بقاء الغالبية العظمى من المستوطنات والمستعمرات البالغ عددها ٤٣٠ أو يزيد في مكانها تحت الهيمنة الإسرائيلية. وسوف تحصل إسرائيل على ٥١٣.٣ أخرى بصورة مباشرة وتواصل احتلال ١٦١.٦ الباقية لتصل إلى ثلاثين عاماً. وخلال تلك الفترة ستستمر إسرائيل في بناء مستوطنات ومستعمرات جديدة وتوسيع الحالية. ولا تضمن التسبب المذكورة القدس المحتلة واليهاد الإقليمية للبحر الميت. وفي الحقيقة أن عرض الـ ٢٧٦ لا يقوم على ١٠٠% من المناطق المحتلة بل فقط على تلك المناطق التي كانت إسرائيل على استعداد لتنازلها عنها. وبالتالي فإن "الحل العادل والأخلاقي، الذي يفضل الرئيس بيريز سوف يصل إلى منح أقل قليلاً من ٢١% من أرض فلسطين التاريخية إلى أولئك الذين طردوا من منازلهم وأراضيهم..

الأخرى، وتحت مظلة التأكيد على وحدة الحلم المشترك. لتنامي السلام الراديكالي مثلاً في إيران وحملتي حزب الله. راجع التصريحات الإسرائيلية الأخيرة التي تشير إلى وفوف تل أبيب مع العرب المعتدلين في ختمق واحد ضد خطر مشترك) يجري ترويج أفكار مثل أن تجربة الحكم الذاتي في غزة فشلت، وأن على المصريين تقديم يد العون، ربما عبر منح غزة التي يربط أهلها بالسيناويين أو مصر، إضافة إلى حتى ضم الضفة الغربية إلى مصر، بصفة محافظة من محافظاتها. يخشى النظر عن التفاصيل سيحد المتابع عن كتب طلال من هذه الأفكار في تصريحات ومقالات لسانة إسرائيليين تافلين، كما سيحد مستطرا لفترة برنامج تنشيهو في ضولها. تنشيهو الذي يبدو أنه تنكر لشعار الأرض مقابل السلام، الذي خدرا ثلاثين عاماً كاملة. دعا في برنامجها الانتخابي إلى استبدال شعار "السلام للنهوض بالاقتصاد"، في الشرق الأوسط ليحل محله شعار "الاقتصاد للنهوض بالسلام". وهو يعنى بذلك ضرورة الترفق من البحث عن اتفاقات سياسية لإقامة دولة فلسطينية، والعمل بدلاً من ذلك على تحويل فلسطين الضفة إلى مستوطنين اقتصاديين. كيف؟ عبر إقامة مناطق صناعية في بعض مناطق الضفة المحتلة لإسرائيل، تستوعب اليد العاملة الفلسطينية، بإشراف مالي وتكنولوجي إسرائيلي.

ثم إن هناك ما هو أخطر: مشروع تنشيهو لضم أجزاء من الضفة إلى الأردن. الله - عرفت، والتي تحدث مرة أخرى عن الاتحاد كوفيدرالي يتفترض أن يتكون من شرق الأردن وأجزاء من الضفة الغربية ويقوم بتوطين، ليس فقط لأجلى الضفة، بل أيضاً للأجلى الفلسطينية في الشتات.

ربما يظل لافتاً إلى أنه في الوقت نفسه الذي يتجنب فيه رئيس إسرائيل الإسرائيلي الحديث عن "خيار الدولتين"، يكتب رئيس الدولة شيمون بيريز مقالاً في الواشنطن بوست الأسبوع يقول فيه على خيار الدولتين، معبرا عن أسفه حيال الحديث المتصاعد في دوائر فكرية أمريكية عدة عن "حل الدولة الديمقراطية ثنائية القومية،

استبقوه، بالعبارة، بالحرب على غزة، ثم باختيارهم اليمين، بل أقصى اليمين هذه المرة. لحكومتهم. ثم اتقوا في وجهه القهقهة في نهاية المطاف حين تسكوا بموقفهم المراءو، بشأن المستوطنات، لن تسمح ببناء مستوطنات جديدة بدون ترخيص. ولكننا سنسمح طبعاً بالنمو الطبيعي لما هو موجود (١) التصريح للمفحدث الرسمي للحكومة الإسرائيلية تطبيقاً على مفاوضات أوياما/ عباس، تقول الأرقام إن الكم الأكبر من المستوطنات تم بناؤه بعد أسلو التي اتفق فيها على تجديد المستوطنات إلى أن يحين موعد مفاوضات الحل النهائي (٢) وليكوند خرافة Le Monde Diplomatique (٣) كجفك فاعلموها جيداً) ماغلته المستوطنات والحدار بالضفة الغربية لشهر الأول (أرض الدولة الفلسطينية المحتلة والمغارة والفيلة للحياة). يبدو أننا أمام أكثر الشاهد عبثية في تلك الدمارات الشرق أوسطية التي لا تنتهي. لأن لا أحد حقاً يريد حل هذه القضية. فقد توافق الجميع على أن يتفقوا على الحل المقبول إعلامياً، رغم أنهم يرفضون جميعاً أنه بات مستحيلاً، حل الدولتين.

على هامش المسألة، هناك من فكر.. وهناك من صبر.. وهناك من أضمر.. وهناك من كتب. ويدت في الأفق أو في الضمائر، لتلميح، الخيارات البديلة، قبل أن يتفش دخان الحرب الأهلية الإسرائيلية الأخيرة على غزة والتي يبدو أنها كانت تستهدف ضمن أهداف أخرى وضع أوراق جديدة على طاولات لتوسيع المنطقة، كمن جوتون السفير الأمريكي السابق تدب للأمر المتخذة في.. واشتغلن بوست، يدعو إلى إغلاق ملف الدولة الفلسطينية المستقلة، عبر ضم غزة إلى مصر والفيل الضفة الغربية بالأردن.. وكان روبرت كاجان الكاتب الأمريكي الجمهوري، البارز وكوضوعا حين كتب عن "الجمهوري، مستخيراً الأولون الوطون الطبيعي للامنين الفلسطينيين في مكانه، ولأنه يمثل الحل العملي لقضية اللاجئين الذين سيكون عليهم الاختيار بين التوطن في العالم، وبين الاستيطان في الأرض الفلسطينية شرق نهر الأردن. على الناحية

■ عندما كان يارك أوياما (مليح المحيا/ حسن النية) يتحدث، وإلى جواره محمود عباس عن دولة فلسطينية، قابلة للحياة، لم يمكن أن اقوام إغراء النظر ملياً في الخاطرة، الكاشفة، التي كان الأسقاء في لوموند ديبلوماتيك، قد تفلنوا بإحداثها لي قبل.

دولة قابلة للحياة.. كم هي الألفاظ غادة، وكم هي مفعمة.. في الوقت ذاته - بالمعنى والدلالات، بالضبط كما هي الصورة التي التقطها مسور وريترز، وحقنها للنشر مع المقال التالي (ص ٧)، طفلة تسمى بالولت الحلم والأمل... واليهاء، رسمها رسام مجهول على الجدار الخراسي شاهق الارتفاع، الذي مرق به الإسرائيليون أوصال الصلة الغربية، متجاهلين القانون الدولي، ومتهزئين بقرار صدر من محكمة العدل الدولية.. أو بالأحرى مطمئنين إلى أنه لن يكون من بين الحرب، أصحاب القضية، وأصحاب النفس الضعيف من يتحابها، ويستخرج القرار من أضاير الحاكم مطالباً ومذمماً، الجمع الدولي بالية التنفيل.

دولة قابلة للحياة.. كم هم بارزون أولئك المدبوسون في تحت الألفاظ الجديدة. وكم هو متحمق قاموس القضية الفلسطينية بالألفاظ والمصطلحات.

دولة "قابلة للحياة"..

تتعلق طفلة الحلم المرسومة على الجدار بالهاء، في حين يظن، الواقع، على الأرض: طفلة اضطرتها مهانة الإلزام أن تضي بها أمها. لا اعرف كم من الكيلومترات - حتى تجد متفكاً تغير منه إلى مدرستها أو بيتها أو جيرانها أو أقرانها على الجانب الآخر من الجدار. ليس ذلك فقط، بل ربما وعند وصولها إلى المنفذ / الميناء، لا يسمح لها مزاج الجندي الإسرائيلي، (الحارق، بالعمور؟) لا اعرف المرأة في الصورة أسفل الجدار، ولكني أعلم من تقارير منظمات حقوق الإنسان الإسرائيلية، لا غيرها، أن لكل رحلة يومية للكثيرات، والواتي - بليناسية، لم يشلن انصهون يوماً بالمؤتمرات والشعارات الغربية لمطالبة، بتمكين المرأة، في شرقها العربي.

دولة "قابلة للحياة"..

اصدق ذلك القادم، الجديد، هادئ الصوت الجاسس في واشتغلن، والذي يبدو حتى هذه اللحظة وفيها لشعاره، Yes, We Can ولكني أعلم أيضاً أن الإسرائيليين

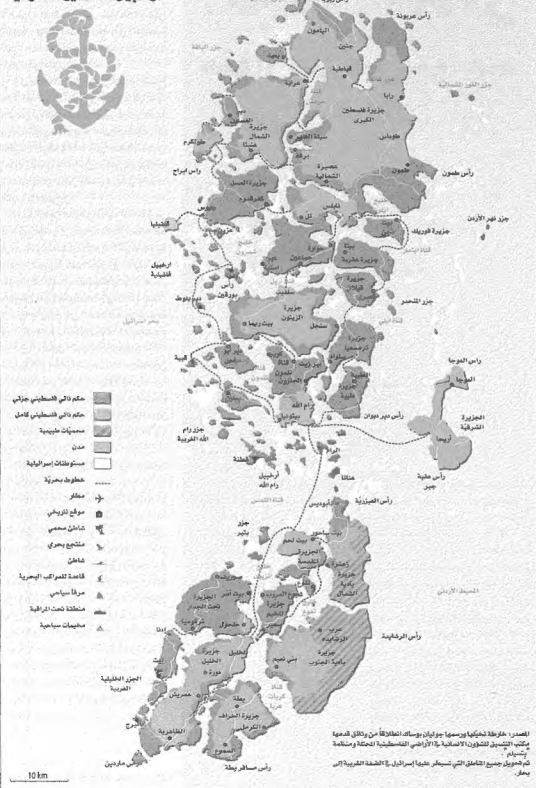


وبعد

- ١- سبيل أوياما وفيها ما قال به من التزام بتسوية يراها تقوم على حل الدولتين.
- ٢- وسبيل الإسرائيليين المختفون بقوتهم والباطون على ضراع دولتهم أعجز



أوخيل فلسطين الشرقية



عن اتخاذ القرار. وأقدر. كماداتهم دائما - على المرواغة. (أرجو ملاحظة أن استحقاقات أسلو ١٩٩٣ مازالت تراوح مكانها. وأن الدولة الفلسطينية التي وعدنا بها يوش قبل نهاية ولايته التي امتدت لثلاثين لم تر النور أبدا).

٣ - سيطر الرئيس عباس (المتحية ولايته) يوجب البلدان الصديقة ليتحدث عن المبادرة العربية (التي لم تعد مطروحة على الطاولة كما حدد العرب أنفسهم) ومن إيقاف المستوطنات التي لم يتوقف (التي) فيها أبدا.

٤ - و سيطر إسرائيل (على الأرض) فضلا عن التهويد الرسمي والمعلن للقدس. تعمل على إقطاع الأرض شبرا شبرا. حتى لا تبقى هناك في النهاية أرض صالحة لإقامة دولة قابلة للحياة.

٥ - و سيطر السيادة الفلسطينية في رحلتها اليومية الطويلة المضنية، بمحاذاة الجدار، تبحث عن منفذ.

تقول الوثائق على الأرض (راجع الخارطة) أنه بعد أربعين عاما من الاستيطان السراشفي في الضفة الغربية، أصبح التداخل المكناني في الضفة الغربية أكثر استعصاء على فصل الشعبين. وأنه لا الواقع على الأرض. ولا حقائق السياسة تجعل حل الهدنة طوية الأمد، الذي يتحدث عنه خالد شمعل. ولا جماعة أسلو، (التفري، قائلين للتطيين. وأنه أمام الخيارات البديلة، التي أصبح الإسرائيليون يشكرون فيها، يقس الخيار الحقيقي أمام العرب، إن كانت لديهم القدرة على النظر لأبعد من تحت القمامة. هو الانتقال الاستراتيجي إلى حل الدولة الديمقراطية الواحدة، من البحر إلى النهر. واستثمار الإرهاسات الفكرية التي بدأت تظهر في دوائر أمريكية مختلفة. يشار في ذلك، ربما إلى تقرير ذي صلة للاستخبارات الأمريكية أشارت إليه كتابات أمريكية عديدة يحد من أن بقاء إسرائيل في صورتها الحالية، أي ما بعد الضرون عاما القادمة، أمر مشكوك فيه. ويرى اشمسية وضع حل الدولة الواحدة، الديمقراطية التامة للضمورية قيد الاعتبار. على أساس أنه ربما يكون هذا هو السبيل لتزع فتيل التطرف في تلك المنطقة المحتلة.



قبل ثلاثين سنة، اعتبر السادات «رحمه الله»، أن ليس بين العرب وإسرائيل شبر حاجز نفسى، يمكن اجتيازه بجهد صادق من الطرفين. وبعد ثلاثين سنة أصبح الحاجز «جدارا خرسانيا» يستعير خلفه الإسرائيليون متمسكين ببيودية، دولتهم، شرطا للحوار مع جيرانهم، الأبخار، ويرسم عليه القناصون طفلة تحمل بأن تطير لثمن الجدار. ١١



الجدار

حوار من طرف واحد



أشد المتحمسين
للسياج يعترفون أنه
مثل حصار غزة، مصدر كبير
للسقاء بالنسبة
للفلسطينيين



دافيد هاري
David Hare

بدأ البناء عام ٢٠٠٢. وكانت الخطة الأصلية تقضي بأن يمتد السياج شفاة ٤٨٦ ميلا كاملة، وهي كامل طول حدود إسرائيل الشرقية، والتقدير الحالي للانتهاء من البناء يدور حول نهاية عام ٢٠١٠. وتتكلف تلك المجموعة من الخنادق والأسيجة الإلكترونية والأخاديد وأبراج المراقبة والحوائط الخرسانية ونقاط التفتيش وطرق المراقبة والفنادق الشرفية الحادة - والتي تبلغ تكلفتها ملياري دولار ويتراوح عرضها ما بين ٣٠ إلى ١٥٠ مترا - تكلف مليوني دولار تقريبا لكل كيلو متر. وقد جرى بالفعل على الجانب الفلسطيني تدمير ٧٥ فدانا من الصوبات الزراعية و٢٥ ميلا من أنابيب الري. كما شت مصادرة أكثر من ٣٧٠٠ فدان من الأراضي الفلسطينية، البعض منها في يمر الجدار على بعد أمتار من الضياع والقرى الفلسطينية. كما تم بالفعل قطع ١٠٢ ألف شجرة لفتح الطريق أمام الجدار.

يقول صديق إسرائيلي أن هذا الجدار يعد اعترافا بالفشل، إن التاريخ لم يتبع المسار الذي كنا نتمناه. وبأسلوب آخر، لاحقا في نفس الليلة، بعد بضع كؤوس في أحد الفنادق الشاطئية الكبرى التي بدأت في تحويل مربع «باوهاوس» في تل أبيب ليشبه فلوريديا، ذكر نفس الصديق، «عليك أن تسأل نفسك، أنا لست واقفا من أن بن جوريون كان يشعر بالإثارة لذلك.

كان المسار المحدد للجدار مشيرا للجدل منذ البداية. والمسار الأكثر وضوحا الذي كان يمكن للجدار أن يتبعه هو الحدود الدولية المرسمة عام ١٩٤٩ بين إسرائيل والأردن، والمعروفة بجميع الأطراف باسم الخط الأخضر. ولكن في الواقع فإن ٨٥ من المسار المخطط للجدار يمر داخل الضفة الغربية. إن السياج يتكوى ويلتفت منحرفا للشرق من الخط الأخضر بمسافة مائتي متر فقط في بعض المناطق ولكن بحوالي ٢٢ كيلو مترا في مناطق أخرى، حيث ينحرف إلى الداخل في سبيل ضم وحماية المستوطنات الإسرائيلية القائمة بعيدا داخل المناطق المحتلة. وفي بعض الأحيان يستولى الجدار على الأراضي الزراعية الفلسطينية الخصبة وأبار المياه، تاركا المزارعين الفلسطينيين بدون إمكانية الوصول إلى حقولهم. وسوف يعيش حوالي ١٤٠.٠٠٠ نحد ١٢٥.٠٠٠. يونيو ٢٠٠٩ م

حسنا. لكن جادين، فلننكر في ذلك.

رجاء، انظروا إلى سير الأحوال. انظروا إلى حالة اليأس العميق. لقد وصلت دولة إلى النقطة التي أجمع ٨٤٪ من شعبها على بناء جدار على طول حدودها.

هل سمعتم أبدا عن شيء أجمع عليه ٨٤٪ من الناس؟ ومع ذلك فما هو، أكثر من أربعة أخماس أنه يقولون شيئا في منتهى الغرابة - هل يمكن أن تتخيلوا الرقم؟ لقد بنى حائط برلين لإبقاء الناس بالداخل. وهم يقولون أن الجدار الذي نحن بصدده يبنى لإبقاء الناس بالخارج.

يمكننا أن نسمي ذلك حالة غير طبيعية للأحوال. إنها بالكا لا تعد حالة طبيعية. وتلك هي الكلمة التي نسميها طوال الوقت في الشرق الأوسط، «طبيعية». يسأل الفلسطينيون، «متى سنعيش حياة طبيعية؟». وكذلك يسأل الإسرائيليون. في الحقيقة أن الدولة الإسرائيلية نشأت عام ١٩٤٨ بطموح أساسي أن تكون طبيعية. أن تكون مكانا طبيعيا كأي مكان آخر. إن الفلسطينيين يظنون على إقامة الدولة الإسرائيلية «التيكية». وأن بعد مرور ستين عاما فإن إسرائيل تؤمن بأنها. حسب الرأي المعبر عنه دائما من قبل الأغلبية، في حاجة إلى جدار.

إلا أنهم بالطبع لا يسمونه جدارا، بل سياجا.

إنها أحد تلك الأشياء، يبدو أن هناك الكثير منها. ليس كذلك؟ أنا أفكر في الإحباط، أو التمرد المسلح - حيث الكلمات التي نستخدمها (مناصر للحياة/ مناصر للاختيار) (إرهايب/ مناضل في سبيل الحرية). تخبر العالم عن طريقة تفكيرك. إن الكلمات تتحول إلى ريات تملن عن الجانب الذي تنتمي إليه. وفي حالتنا هذه، فإن ذلك يجري بصورة حرقية. إن الإسرائيليين يظنون عليه «السياج العازل»، ولكن الفلسطينيون لا يظنون عليه ذلك، على الإطلاق. إنهم يسمونه جدار الفصل العنصري.

حسنا، فلنناقش الأمر بترتو. لو أني استخدمت كلمة أو غيرها فسامحوني، إن ذلك لا يوحى بأني متحيز. إن لدى معارف على جانبي السياج وعلى جانبي الجدار. يقول أصدقاؤني الإسرائيليون، «إننا نكره الجدار. إننا أسفون لذلك. إننا نشعر بالعار بسببه. إننا نقود لأعمال كي تجذب رؤيته. ولكن الجدار نجح. لقد توقفت ٨٠٪ من الهجمات ضد إسرائيل. تم إيقافها. لا يفترض أن نكون سعداء بذلك؟».



حسنا. سأحاول توضيح تاريخ الجدار. في الأشهر من يونيو عام ٢٠٠١، بعد تسعة أشهر من الانتفاضة الثانية، قام مفجر انتحاري فلسطيني يدعى سعيد الحوتري بالعبور إلى إسرائيل من الضفة الغربية وشجر نفسه في مدخل

بترتيب مع

THE NEW YORK REVIEW OF BOOKS

ترجمة: عادل نحى

وجبهات نظور ٦

مستوطنين إسرائيليين في المسافة بين السياج والخط الأخضر وسوف يعلق ٩٣ ألف فلسطيني على الجانِب الخطأ من الجدار.

ولهذا السبب فإن معارضي السياج لا يرونه في صورته المزعومة - إجراء أمنياً - بل كتهيب للأرض والتخبط للخطابة بأمر واقع ومحاولة - مثل التوسع المنتظم في الأجزاء الواقعة تحت السيطرة الإسرائيلية في القدس - لتحقيق ما يعرف بـ «تغيير الحقائق على الأرض». في مستهل حملتهم، أصر مؤيدو حركة «سياج الحياة» أن الجدار سيكون حاجزاً وليس حدوداً. ولكن يستخدم كتكتيك للمساومة في أي مفاوضات مستقبلية لاتفاق الوضع النهائي. ولكن حتى الإسرائيليون يجدون تلك النية وأهمية المصادقية، وقبل مغادرته منصبه، اعترف رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت بأنه لو كان قد بقي في منصبه فإنه كان سيمنح لترسيم الحدود الدائمة لإسرائيل بحلول عام ٢٠١٠ وأن الحدود كانت ستعبر على الحاجز أو بالقرب منه..

بل إن أشد المتحمسين للسياج يعترفون أنه - مثل حصار غزة - مصدر كبير للشقاء بالنسبة للفلسطينيين، ولكنهم يجادلون من خلال كلمات أحد المدافعين عنه بأن «مقتل الإسرائيليين بسبب الإرهاب أصبح واقعاً دائماً لا يمكن التراجع عنه، بينما العاقبة التي يواجهها الفلسطينيون مؤقتة ويمكن التراجع عنها». أما محكمة العدل الدولية في لاهاي فكان لها رأي آخر، حيث أصدرت في التاسع من يوليو عام ٢٠٠٤ حكمها رقم ١٤-١ والذي ينص على أن «عملية إنشاء الجدار التي تقوم بها إسرائيل - كسلطة احتلال - في المناطق الفلسطينية المحتلة هي مخالفة للقانون الدولي. وعلى إسرائيل أن تتزم بإيقاف أعمال البناء فوراً وإزالة الإنشاءات القائمة فوراً والقيام بإصلاح كافة التلفيات التي نتجت عن بناء الجدار».

ويوضح البروفيسور ساري نسيبة من جامعة القدس الأمر في كلمات بليغة:

«كانك توخر شخصاً محبوساً في قفص، وعندما يبدأ في الصراخ كما سيفعل أي شخص طبيعي في مثل هذا الموقف، فإنك تستغل مزاجه العنيف كمهرج



© Reuters, Ammar Awad



هنا وليس في كاليفرنيا. إذا لم نستطع منحهم سببا وجيها فإنهم سيذهبون إلى مكان آخر. لقد مضت منذ زمن بعيد المثالية الاشتراكية التي قامت عليها إسرائيل. وقد حل مكانهاذهب نفعية عنيد. ولكن إذا أردتم الذهاب العنيدة، لو كان الأمر شواطئ وأسلحة آتية، فيمكنكم أن تجدوا ذلك في أي مكان بالعالم، ما الذي سيجعل الشباب يختارون العيش في إسرائيل؟



يعرف المتدينون، الذين يزرعهم طرح السؤال، بالتأييد الإيجابية عليه، ولكن ماذا عن العلمانيين؟ إن الأمر يتكرر على الجانب الآخر، الخوف من صعود الأصولية يجبر الفلسطينيين المعتدلين على التكيف مع ما كانوا أقل استعدادا لقبوله، وفي سياق الحديث لا توجد لدى فلسطيني الضفة الغربية الشبهة المتوفرة لدى الإسرائيليين، على أية حال فإن من احتلت أرضهم لا يكونون شهابي، ليس كذلك؟ إنها ذبلة مختلفة، ولكن مع ذلك، فإن صعود نجم حماس قد ألقى بثأثيره على الجميع، وبقدر ما كانت سطوتها في غزة رد فعل لفساد منظمة التحرير الفلسطينية كالتأييد الإيجابي لأساليب حماس، ولذلك، فمثل الاشتراكيين البريطانيون الصالحين الذين لم يتحدثوا أبدا بسوء عن الاتحاد السوفيتي في حضور غريبا، فإن العديد من الفلسطينيين يتحدون كثيرا من حماس. إن ذلك يعد خيانة، لكن قليل من الناس في الضفة الغربية يدافعون عنها بشدة. في إحدى الأساليب الغربية كنا في حفلة في رام الله، وأخبرني أحد الضيوف عن أسلوب تعذيب تستخدمه حماس ضد مواطنين في غزة يشبه بأنهم أشون؛ يرى الضحية حالطا مرسوما عليه سلم، وفي أعلى السلم رسم لدراجة. يطلب من الضحية إحضار الدرجة، فيقول أنه لا يستطيع إحضار الدرجة لأنها مجرد رسم. عندئذ يبلغ الضحية اسمه ما لم يحضر الدرجة من أعلى السلم فسوف يضرب. «لا أستطيع إحضارها، لا أنا مجرد رسم».

حسنا، ماذا ثبت ذلك، إنني أسأل نفسي أتنا سيرة ناسا، إن كان هناك ليست لطيفة تماما. لذلك لن تكون

المفهومة ضمنا هي: «لو اخترنا أن نمتلككم فسوف نفعل ذلك. لدينا الحق في أن نجعل حياتكم بلا معنى». وبعد أن استأقنا السير متأخرين، كان لا بد أن أعود للتفكير في الكاتب الشهير في ضاحية القدس وفي أضواء المساء البهية وفي الشاي وفي الكعك اللذيذ المحبوز بالمنزل وفي الهدوء العميق الوارف لمنزله، «يبدو أقوياء ولكننا نشعر بالضعف، هل هذا إذن هو السبب في التحرش، التحرش الذي لا العميق الوارف لمنزله، للضرورة، لأن معنى له على أن تكون الحياة اليومية محبطة بقدر الإمكان؟ فيصا يطلق عليه الفلسطينيون قهقههم الجماعي؟ إنك تتساءل، كيف يمكن للفلسطينيين أن يصرخوا أن الإسرائيليين يشعرون بالضعف، بينما كل ما يستطيعون رؤيته هو تصرف الإسرائيليين بقوة؟ عندما تم تعيين توني بليس مبعوثا للشرق



«لدينا الحق في

تعطيلكم. لدينا الحق في أن نجعل حياتكم بلا معنى»



الأسط في يونيو ٢٠٠٧، كانت هناك ٥٢١ نقطة تفتيش إسرائيلية في الضفة الغربية، الآن هناك ٩٩٩ نقطة تفتيش. كما قال صديقي الإسرائيلي أيضا: «إن الاحتلال يهين الفلسطينيين، ولكنه يحط من قدرنا أيضا».

يقول طرف، «نحتاج الجدار الأنا زريد حائطا طيعمية، ويقول الطرف الآخر، «لن تكون حائتا طيعمية أبدا طالما كان هناك جدار». هذا هو الحال، أو هذا ما يبدو لي. رؤساء الوزارة الإسرائيليين يأتون كصقور ويمدون بإجراءات أمنية صارمة وحشد عسكري، ولكنهم يتبركون مناصيبهم وهم مقتنعون بأنه لا يمكن بقاء الاحتلال، وأن تكلفة احتلال شعب آخر إلى الأبد يمكن تحملها. أسمع كل يوم أن هناك جيل جديد من الإسرائيليين قد شب، وهم أكثر عالمية، ويحبون العالم، نعم، إنهم مخلصون لإسرائيل، إنهم ملتزمون عاطفيا ببقائها، ولكنهم من جهة أخرى يريدون سببا وجيها للعيش

غير واثقين. بينما وصل ثلاثتنا إلى حاجز على طريق يسيطر الجزء الفلسطينيين من الضفة الغربية ليس بعيد عن القدس. إنه بقعة مغيرة بلا ملازم في وسط اللا مكان. أو كانت ستكون بلا ملازم لولا سلسلة الحواجز الخرسانية العالية على يسارنا، الجدار. وقد أرغمنا على التوقف، رغم أن الطريق لا يخرق الجدار. وانضمنا إلى صف طويل من السيارات علمنا أنه موجود منذ ربع الساعة. كان السائقون قد أطفأوا محركاتهم وجلسوا فوق أسطح أو مقدمة السيارات يدخنون ويتحدثون. نعم، هذا ما يحدث كل يوم، إنه حدث يومي، وبالنسبة لأولئك الذين يروحون جبهة ونهايا بين مدن الضفة الغربية أكثر من مرة يوميا فإنه حدث أكثر من يومي. كان الجنود يسبحون لجانب واحد فقط من السيارات بالمروزي وقت واحد، ولذلك فقد بقينا لعشرين

كما ذكر أن إسرائيل ليست لديها ثقة فعلية في ضاحتها، حيث قال إن الإسرائيليين لديهم إحساس واه جدا بالمستقبل.

إنه امر لا يصدق، ولكن إسرائيل نفسها تشعر أنها مؤقتة، أي دولة أخرى يمكن أن يقال عنها ذلك؟ عندما أكون في بريطانيا فإنني ألاحظ أن الخطط للعام ٢٠٢٨، وتقولون سوف يكون هناك هذا الخط للسكك الحديدية أو ذلك المطار، ولكن ليس هناك إسرائيلي يخطط لهذا المدى

سلفا دون أن يحس بشعور في قلبه يسأل هل ستكون موجودين في ذلك الوقت على الإطلاق. إننا نبدو أقوياء جدا من الخارج ولدينا مثل هذا الجيش الضخم وكل تلك الأسلحة النووية، ونحن نتوسع بثقة تامة، ومع ذلك فلا إحساس مختلف من الداخل. إننا نشعر أن بقاءنا ليس مضمونا، من المثل القبول بأننا استوردنا المرض اليهودي من الشتات. إحساس بأننا بلا جنود، فادرون على التكيف وعلى تدبير أمرنا، ولكن عاجزون عن الاستقرار. بعد ستين عاما لم تصبح إسرائيل واثقا بعد. في اليوم التالي كنت أفكر في كلماته. آمنون ولكن قلقون، أقوياء، ولكن

لوضعه في القصص في المقام الأول. إن الجدار هو الجريمة الكاملة لأنه يولد العنف الذي أقيم ظاهريا لنفيه.



لإعطائكم فكرة عن ماهية الأمر، شرعت في صبيحة أحد الأيام في القيام برحلة من رام الله، ورام الله هي مقر السلطة الفلسطينية التي تسيطر على الضفة الغربية في مقابل حماس التي انتخبت لحكم غزة عام ٢٠٠٦. إن رام الله هي مدينة الحكومة، وهي هادئة بعض الشيء وعملية قليلا، جميع المدن الحكومية مثل واشنطن وكانيبرا، بدأت رحلتي في ذلك اليوم مع اثنين من الأصدقاء، أحدهما من لندن والآخر فلسطيني صاحب السيارة بلوححتها الحرة. كنت في الليلة السابعة أتناول الشاي في إحدى ضواحي القدس مع مفكر إسرائيلي كان يوجه ما يعتبره التناقض الذي تتسم به إسرائيل: إنها أمام العالم قوية وعدوانية، ولكنها تبدو من الداخل ضعيفة وهشة.

في ذلك اليوم التالي كنت أفكر في كلماته. آمنون ولكن قلقون، أقوياء، ولكن

لقد استغرقت رحلة الخمس وأربعين دقيقة ثلاث ساعات، ولكنها ما زالت نابلس



يتباهى صديقي «أعرف الطريق». في الواقع أنه لا يعرف، ولذلك فقد خرج من سيارته الفولكسفاغن رجل طويل شديد التحافة بشارب وسجارية يشبه «جورج أورويل» شرقاً، قالاً: «هل تريدون الذهاب إلى نابلس؟»، مقهقها تجاه حيرتنا وعجزنا. كما لو أنه شاهد هذا الموقف خمس مرات يومياً. قال «سأخذكم إلى نابلس. اتبعوني». وانطلق مسروراً نافثاً دخان بزئجه. لقد تحول التآلف مع الطريق والتعود على الاحتلال واستحالة الحياة اليومية إلى مزحة للناجين. وعبر قليل من الدروب غير المطروقة، ثم الالتفاف حول ناصية، المعلقة: إنها نابلس. لقد استغرقت رحلة الخمس وأربعين دقيقة ثلاث ساعات، ولكنها ما زالت نابلس. نابلس، مدينة قبر يوسف وبشر يعقوب، مدينة يفتحها ١٨٠ ألف نسمة وتحيط بها ست نقاط تفقيش إسرائيلية وأربع عشرة مستوطنة يهودية وست وعشرين نقطة استعمارية إسرائيلية، ولكنها غير شرعية حتى في ظل القانون الإسرائيلي.

الروحانية. فرغم كل شيء كان الجدل يدور حول ذلك، يمكنك أن تشعر بذلك في كل ناصية شارع. يمكنك أن تحس بالتاريخ. ولكن الآن مع وجود الجدار القبيح والإفراط في البناء وتدنيس المنظر العام. أعني، ما الذي يحدث؟ اليسوا بذلك يدمرون نفس الطبيعة التي كان مفروضاً أن خلالها أن تكون المدينة نقيصة؟ اليسوا بذلك يقتلون ما يحبونه؟ أم أن تلك هي مشكلتي أنا؟ هل أنا مجرد غريب منحل لا يستطيع التوقف عن التفكير في أن الروحانية مرتبطة بالجمال؟ كانت القدس جميلة دوماً. والآن فإنها ليست كذلك. فيما يتعلق بها، فقد تم تخريب القدس. كيف يمكن ألا تخرب؟ هناك جدار خرساني هائل بجوارها. ولكن القدس لم تكن لي أبداً. إنها كانت للمؤمنين. انظروا ثانية، انظروا للآلال وسوف تعلمون لماذا لا يعتبر الفلسطينيون المستوطنات ظاهرة دينية بل شبكة للسيطرة. لأنها تبني كذلك. إنها تراقبنا. وهناك شيء آخر بالناصية، لقد ضلنا الطريق. هناك قدر متوفر من الشهامة الفلسطينية. إلى يميني،

هناك ليس بسبب أي معتقد ديني. إنهم هناك بسبب المال. فالمنازل هناك رخيصة والمدارس جيدة. ادفعوا لهم أكثر وسوف يرحلون. ومع ذلك، يقول بمرارة - فطوال أربعين عاماً تركّز الجدل القومى حول مصير هؤلاء القلة. لقد حان الوقت للتحرك. قبلت تلك الكلمات بتلويحية من اليد كما لو كانت تعني «لا تقلق بشأن المستوطنين، فسوف يتم التعامل معهم». ولكن في الحقيقة، فحتى ترحل في الضفة الغربية وتنتظر وترى أين المستوطنين. حولك في كل مكان بمعنى الكلمة. فسوف تفكر، لست واثقا أن الأمر بالبساطة التي يتحدثون عنها. لأنك تنظر أحياناً إلى قمة ذلك التل ثم التل الذي يليه ثم الذي وراءه. ولا توجد هناك حتى منازل بل مجرد مقطورات، تصل المقطورات لغرس مجتمع جديد، وفور إتمام ذلك ينتقلون عندئذ لغرس مجتمع آخر. إنها تسمى مستوطنات، ولكنها هي الحقيقة مستعمرات. وهذا هو ما أشعر به أيضاً في القدس. كانت القدس دائما العاصمة

لطيفا إذا عشت تحت حصار دائم، ولكن الفكرة تصيبني بالقشعريرة. لقد تم تبديرها جيدا، بل إنها شديدة البراعة. أن تطالب من شخص أن يحضر رسماً هل هذا هو ما نتعامل معه؟ كثير من الفكر يوضع في وسيلة بسيطة للتغريب؟ احتاج لأن أعرف الإجابة لأننا الآن متجهون إلى نابلس. ولكننا لا نستطيع الذهاب عبر الطريق الأسفلتي لأن الإسرائيليين يتحكمون بالنافذ. لقد أعادنا الجنود بالفعل مرتين، ولذلك ففى كل مرة نذهب في اتجاه جديد ونرتد على أعقابنا ونسلك ونبحث دائما عن الطريق الوحيد غير المشروع وغير المراقب والذي سيأخذنا إلى خلف المدينة. وطوال الوقت، في أعلى كل تلة، يبدو أن هناك مستوطنة إسرائيلية أخرى. من الباردة، مرة ثانية، استعيد سخط الكاتبة الإسرائيلية الذي قال: «هناك فقط ربع مليون مستوطن. إنهم لا شيء. إنهم بحجم مدينة إسرائيلية متوسطة. وثلاثة أرباعهم موجودون

© Reuters, Eliana Aponte





الضفة الغربية مثلما حدث في غزة - أن تحلق علانيا فوق الجدار متجاهلة وجوده، بوقود ليس أكثر من السكر وشترات البوتاسيوم، يقول «لوشري»، أن معارك المستقبل ستدور في السماء - وصيغة أخرى، أقدم حاجزا وسماء - الناس من حوله، أو من فوقه في حالته هذه. في جوهر الفكرة تكمن شواهد زوال تلك الفكرة.



لا يمكن لحركة منضرة أن توقع بالشاء.

إنه طريق لطيف، إننا عائدون إلى رام الله على ما يسمى بطريق الشخصيات عظيمة الأهمية، لأنه عندما انطلقنا بوجودنا البيضاء وجواري السفر البريطانيون فلنا خطأ أننا مستوطنون، لذلك كانت لنا الألوية، اتبع لنا طريق خال رائح خاص بنا. بجاكادنا رؤية الطريق المساوي، الطريق الخاص بالفلسطينيين، مار بجابتنا على بعد خمسين ياردة فقط، إنه متوقف تماما على ذلك الطريق كان على الأرواد الساكنين أن يتوقفوا ثانية لما يبدو أنه فترة معظم ما بعد الظهر. أما نحن فقد مررنا فوراً. يشتمل صديقي الفلسطيني سيجارة قائلا «إذا أردت أن تسافر، فائتينا ذهبت سيكون هناك جنود في السابعة عشرة من عمرهم، روس أو ألبانيون، يملون عليك كيف تعيش في بلدك، أنا عجوز ولذلك أبتلع الأمانة وأحملها»، يسحب نفسا سيجارته ويخبط وجهه الآن ولكن الشباب لا يستطيعون تحمل ذلك ولن ينفعلوا.

تصل الآن إلى رام الله، يقول الحماني رجاء شهادة الذي يعيش هنا أنه من حسن الحظ الرابع لرام الله أنها لم تذكر في الكتاب المقدس. لهذا السبب تركت رام الله وشأنها دونما اهتمام من قبل المتصيين نظرا لأنها لا تمثل أي أهمية دينية على الإطلاق. لم يحدث شيء مقدس في رام الله، إنها ضريبة حظ لأي مدينة تريد النجاة! لا يرد اسمها في أي كتاب مقدس، وعبر الحاصلد الأسمتي، بينما ندخل المدينة، ترزهر الرسوم الجدارية، نعم، يوجد ذلك هنا أيضا، وهي ترسم بعلم طلاب الإسرائي وهذات الإعلانات، حتى يتم إخبار كل زائر على التمام «هلا برلين»، ربما يبدو

تكن نحتمله.. إلى أن تحدى الأمريكيين..
«كنهه لم يؤمن بأي شيء، تؤمنون به».

جاءت القهوة. من الأحماق هنا؟ هم أم أنا؟ اعتقد أني أقل ساذجة من شيري بلير. ولكن هل أنا كذلك؟ حقا؟ أنا أعلم الآن على الأقل لماذا ارتفع الجدار. إن الإسرائيليين يريدون عزل أنفسهم عن من يعرضون مصلقات صدام حسين. من الذي يستطيع لومهم؟ أو، انتظر، الأحبية القديمة - هل يعرضون مصلقات صدام حسين لأن شخصاً ما بنى جداراً لتوه؟

نقود الآن عائدون، وصلنا إلى نقطة التفشيش، الجندي الإسرائيلي حائق كما هو متوقع، كيف عبرتم؟ ليس سموحا لكم بالمرور. تملعون أنه ليس سموحا لكم، نحن نزهو كما لو كان كل ذلك في المسلسل البوليسي التليفزيوني البريطاني (ديكسون أوف دوك جرين Dixon of Dock Green، مسلسل شهير عرض بين عامي 1946-1976)، نحن نسين أيتها الضابط، ابتسامه عريضة. لقد وجدنا طريقاً للمرور، ولكن ما نفعل تلك هي الحقيقة، ليس كذلك؟ وجدنا طريقاً للمرور، لذلك هي الحقيقة التي لا يرغب الإسرائيليون في إدراكها، حتى البروفيسور «نيل لوشري» من جامعة لندن، وهو صديق لإسرائيل ومؤلف «حق السماء - كتاب لماذا تلوموا إسرائيل؟ Why Blame Israel» وصف السياج الأمني بفيل أبيض، حيث يقول «إن الجدار يعود بالفعل إلى حقبة غابرة، لأنه حتى قبل الانتهاء من بنائه وحشي قبل إنشاق المخابرات دولار، كان أعداء إسرائيل يتغيرون تكتيكاتهم، لقد تحولوا من التفتيش الانتحاري إلى القذائف، إلى إطلاق مواريج القسام التي يمكنها - إذا ما تم نشرها في

والرومانسية الموحشة للنبذ والتعفن، ما لم يحدث شيء سريعا، ما لم يخفف الإسرائيليون من قبضتهم، ما لم يتحقق السلام في الشرق الأوسط، فإن التراب سيغمر هذا المكان. طلبنا القهوة التركي. ثم التفت.

على الجدار في تلك البقعة المتفتحة، الشيء الجديد الوحيد؛ مصلق براق لامع لصدام حسين. إنها إحدى تلك اللحظات التي علمت بمجرده النظر أني أنشأها ما حبيت. كيف تتفاعل مع ذلك؟ لو كنت ستختار بطلا، فهل كان يمكن أن تختار من هو أسوأ من ذلك؟ لو كنت ستختار مستقبلا، هل يمكن ألا يكون لديك إدراك بكنهه على الإطلاق؟ إذا كنت ستختار قائداً لياخذك بالضبط إلى لا مكان، فهل كان أمانك من هو أفضل من صدام حسين؟ تعود بي الذاكرة إلى «شيري بلير» (زوجة توني بلير رئيس الوزراء البريطاني السابق وصحافية حقوق الإنسان، المترجم) التي رلد ذات مرة في واحدة من تلك المشادات الإعلامية الحقا، عندما قالت أنه عندما يحرم الشباب من الأمل فلا عجب أنهم يشعرون أنفسهم. كما قالت أنه يمكنك إذا ذلك عندما تأتي إلى فلسطين، ربما، ولكن هل استطاعت هي إدراك، ذلك؟ أنت تختار للمصلق الفضل شخصاً لم يقدم للعالم، وللعالم العربي تحديداً، سوى الأذى. سيد المقابر الجماعية والمذابح التي لا توصف.

التفت إلى رفيقي وأسأل «ما هذا؟ عدو عدو هو صديقي؟ هل الأمر كذلك؟ هل الأمر يمثل لك الفناء؟ هل رفيقي كتفيه مخرجاً، حسناً، لقد تحدى صدام الأمريكيين، ليس كذلك؟، وهل هذا هو السبب الوحيد؟ هز كتفيه ثانية، لقد كرهنا صدام حسين مثل اليمين، لقد مقتناه، لم

الجميع أنها ستكون محل الاختيار الحاسم لمستقبل السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية، كانت يوماً ما مقر لواء شهداء الأقصى التابع لفتح، ولكنها الآن لها صمد، عدلي عيش، خرج جامعا لفيربول، والذي ترشح على قائمة حماس رغم أنه ليس عضواً في القائمة على ٧٣٪ من الأصوات عام ٢٠٠٥. منذ ذلك الوقت قضى في السجون الإسرائيلية خمسة عشر شهراً من مدة ولايته كعمدة دون أن يوجه إليه أي اتهام. وقد حكم قضاة إسرائيليون تسع مرات بالإفراج عنه.

نابلس، المركز التجاري الذي لم يعد يسمح له بالمرور لأنه لا يسمح لأحد بالذهاب إلى هناك، وتلك مشكلة حقيقية لا إلى مركز تجاري. الآن نحن هنا، نمر تحت الأقواس الحجرية الرمادية إلى الأزقة العديدة للسوق المغطى القديم، تلك يمكن أن تكون مراكز، صف وراء صف من اللحوم النيئة والفواكه الطازجة والذباب والمظلات والملابس والمطعم والتوابل، بينما تتجول الكلاب والأطفال، وهناك صواني الكفاية التي يشترها ويغفر بها السكان المحليون، بلباق من الجبن النابلسي تقلى مع السكر في البرون يرتقالي فوسفوري مخضب وينثر عليها الفسق الجروش، إن ذلك دسم جداً بالنسبة لدمي. حتى الرائحة تصدق لساني بسقف فمي. يصل عدد العاطلين في تلك المدينة إلى ٨٠٪ من المواطنين، ولذلك فهناك القليل من الزبائن، والأسعار نصف ما هي عليه في القدس، وهناك غير الناصية حمام إنجيلي عبر زقاق قصير، ليس هناك أكثر من الخبار والمجارة.

نم، أنا سعيد هنا، هذا هو نوع المكان الذي يجعلني سعيداً، يمكن أن تنسى العالم هنا، وصلنا الآن إلى ما يبدو أنه أكثر المقاهي شهرة، في وسط السوق، يبدو كما حدى الصوتيات الزجاجية في حدائق «كيو»، (منطقة حدائق شهيرة بالقرب من لندن، المترجم)، قبل تجديدهما بالطبع، حوافط مسطحة من الزجاج المشروح والأخشاب المتفتنة، ومطل على ساحة مسممة. كان متقي الشيخ قاسم مكاناً شهيراً دائماً، القبلة التي يذهب إليها الجميع، والأن مع امتلاء خمسة فقط من متقاعده الخبيبة الأربعة فإنه يبدو كذلك في فيلم أو مسرحية، ربما في مسرح «جلاسجو سينتيز»، (مسرح شهير في برطانيا، المترجم)، الطلاء المتقشر



نظر الإسرائيليون

إلينا بفطرسية.. ثم لم يسمحو

لنا بالعبور



أينما ذهب سيكون هناك جنود في السابعة عشرة من عمرهم، روس أو إثيوبيون. يميلون عليك كيف تعيش في بلدك

الجدار مهجوراً بالنسبة للبروفيسور لوشري. ولكنه حقيقى تماماً بالنسبة لسكان الضفة الغربية، يحجب الشمس ويحجب الرؤية ويمنع المرور. هناك أناس هنا في الضفة العربية لم يروا كتلة مائية، بحيرة أو بحر. منذ خمسة عشر عاماً. أما الرسم الجدارى الأكثر طرافة على الإطلاق فمبارة عن تعليمات القرب إلى الشخبطة بحروف كبيرة ضخمة على ستة كتل إسمنتية. فقط الحروف CTL ALT DEL، كما لو أنه عند الضغط على ثلاثة مفاتيح كمبيوتر قد يخفى الجدار. إنه ليس جداراً، بل مجرد رسم لجدار.

يستول أحد مسمارفى من الفلسطينيين، ليست هناك مئمة في قتال العرياء. إذا كنت ستقاتل فقاتل داخل العائلة. ذلك أمتع كثيراً، وذلك حقيقى. فاليهود والعرب صائفة، وهم يدكرولك ببعضهم البعض، أبناء إبراهيم، إنهم يدكرون بعضهم البعض ببعضهم البعض. نفس الحيوية ونفس المزاج ونفس الأرض.

قال بنيامين فزانيللى رئيس الوزراء البريطانى اليهودى الوحيد، يمكنك أن تعرف الحكومة الضعيفة من حرصها على اللجوء إلى الإجراءات العنيفة. أما البريت أينشتاين فقال «إذا لم نجد السبيل إلى التعاون المخلص والمفاوضات المخلصة مع العرب، لن نكون عندئذ قد تعلمنا شيئاً مما يزيد على المي عام من المعاناة، ونستحق عندها المصير الذى سيحل بنا».

والآن اجلس لتناول الشاي في دار سينما القصبة في رام الله. إنها دار السينما الوحيدة العاملة في الضفة الغربية. وهي غالباً تعرض أفلاماً كوميدية مصرية، ويديرها جورج إبراهيم الذى يصحك كعادته، «إننا نستمتع الآن جميعاً بالنكات حول تداعى الاقتصاد الغربى لأننا نستطيع أن نضحك ونقول «لن يؤثر ذلك علينا لأن فلسطين ليس لديها اقتصاد». وينضم صديقه الكاتب المسرحى سلمان تامر، إن ما يشعر بالصدمة تجاه

إسرائيل أنه في الوقت الراهن لا يوجد بها حتى حركة احتجاج. في الأيام الخوالى كان هناك أنصار سلام في الشوارع وطلبة دوو شعور طويلة. الآن ليس لديهم تقريباً أى حركة سلام على الإطلاق. ماذا يمكنك أن تقول؟ إن البلد الذى يفقد متحريره هو في ورطة عميقة.

يرتشف جورج الشاي ويستسم «إن الجدار ليس حولنا، إنه حولهم».

في اليوم التالى كنت في القدس اتجاذب الحديث مع دافيد جروسمان الروائى الإسرائيلى الذى قتل ابنه يورى في اليوم الأخير من الحرب اللبنانية. ما زال منزله مشحوناً بالحزن من المؤكد أنه عند تأسيس الدولة كان هناك إحساس هائل بالاعياء، بناء شيء معاً. ولكننا ببدءنا عام ١٩٦٧ الفرصة في جعل الدولة دائمة. فبدلاً

من استغلال المناطق المحتلة كركيزة للتفاوض. أصبحنا عوضاً عن ذلك متعاملين للاحتلال. عندما يعاني شعب مثلما عانينا فإنه ليس شعوراً سبياً أن نصبح أسياء ذات مرة، وقد أصبحنا مدمئين لذلك الشعور وكأنه محذر. والآن نحن لدينا مشكلة زهيدة في تصور أى واقع آخر يحتلف عما نعيش فيه. إنك تعتمد على الأمر ولا يمكنك تصديق أن هناك طريقة أخرى ممكنة للحياة. إنك تحول بكل سهولة إلى ضحية للموقف. وهنا مرة أخرى - يكمن التناقض الجوهرى. كانت الفكرة وراء قيام إسرائيل أنه يجب ألا نستمر كضحايا. وبدلاً من ذلك فقد سلمنا مقاديرنا إلى رجال الأمن. إننا نسمح للحيش بإدارة البلاد لأنه تنقصنا طبقة سياسية ذات رؤية تتجاوز القوة العسكرية. إن البقاء يصبح هو هدفنا الوحيد، إننا نعيش لتنجو لا لنحيا.

أريد أن أبدأ الحياة. أريد بعض البوابات في الجدار. ■





إشكالية الدولة والهوية... والآخرون

عرب إسرائيل

هم سكان البلاد الأصليون وهم جزء من الأمة العربية التي تعيش حالة صراع مع إسرائيل ومن الشعب الفلسطيني الذي تعرض لعملية سطو مسلح على أرضه

عزيمى بشارة

صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام ١٩٩٨. ماذا تمر بعد عشر سنوات؟ تضمن كتابنا الأول تحليلات نظرية بنيت عليها مواقف وشكلت مرشدا للتجربة العملية، بإضافة لقيمتها الأكاديمية، إذ اعتبرت تجديدا في مقاربة مسألة العرب في إسرائيل نظريا، فإن لها كما هي قيمة وثائقية أيضا بالنسبة من يرغب بدراسة نوع التحليل الذي قاد جهدا السياسى في عملية بناء الحركة الوطنية. وفي الواقع لم يتغير تحليلنا النظري في محاوره الرئيسية كثيرا. ونحن ندعى أن الأيام أثبتت صحة هذا التحليل. وأكثر من ذلك فقد تحقق الكثير من التوقعات التي تضمنتها. فالتموج الذي طرحه سمح بتضييق نزعات التطور المستقبلى، خاصة حول فعل صيورتين متزامنتين في المجتمع العربى في الداخل.

١. عملية أسرلة تتجلى في نشوء ثقافة سياسية تابعة، ومشوهة، متولدة دون وساطة الوعي الوطنى. أى متولدة مباشرة عن التهميش الاقتصادى الاجتماعى الحقوقى للعرب في إطار كيان قام على أنقاض الشعب الفلسطينى، و٢. صيرورة تشكل وطنى. وتشوّد هذه الصيرورة عن عملية إقصاء المجتمع

للاستزادة:

العرب في إسرائيل، رؤية من الداخل
عزيمى بشارة
مركز دراسات الوحدة العربية
بيروت ٢٠٠٨

ربما لم يكن لموضوع «عرب إسرائيل / عرب ٤٨» الأهمية ذاتها كما هي له الآن. أخذنا في الاعتبار مشاريع تسوية تتسرب مسوداتها، أو تصريحات وتلميحات نسمعها أو نقرأها هنا وهناك. تتساوى في ذلك. من حيث التحليل النهائي. دعك من التفاصيل، آراء تمهيدى لهنّى «الذاهبة» مع أفيجدور ليرمان «القاد» من خلف الجدار الحديدى المتصلب للهيمن الصهيونى القديم.

هذا كتاب في الموضوع، لكاتب ربما هو أول من طرح على الساحة الفكرية العربية قضية «عرب الداخل» وهو كتاب قديم جديد صدر بداية في الداخل الفلسطينى، كان ذلك في العام ١٩٩٨ تحت عنوان «الخطاب السياسى المتيور»، ثم صدرت عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت في العام ٢٠٠٠ طبعة ثانية. ثم ثالثة «مزيدة» في العام ٢٠٠٨، بعد أن أضيف إليها فصلا أحدهما عن «يهودية الدولة»، وهى المسألة التي كان كاتبنا «عزيمى بشارة» قد طرحها غير مرة على هذه الصفحات من «وجهات نظر».

وفنا بعض مما يقدم به الكاتب لكتابه المهم.

المصر

لقد انطلق تحليلنا للعرب في الداخل من:

١. أنه لا يمكن أن نفهم مسألة عرب الداخل ببنويها فقط بتجرد عن تاريخ هذه المسألة، أى تحليل بنية دولة إسرائيل كأنها دولة وطنية عادية، هى الدولة اليهودية، تعيش فيها أقلية عربية تتعرض للتهميز أو الإهمال (أو تعيش فيها أقليات دينية بموجب الخطاب الاستثنائى الصهيونى). فالعرب في إسرائيل هم سكان البلاد الأصليون وهم جزء من الأمة العربية التي تعيش حالة صراع مع إسرائيل ومن الشعب

الفلسطينى الذى تعرض لعملية سطو مسلح على أرضه شملت هدم مشروعه الوطنى. وقد نشأت قضيتهم تاريخيا كجزء من القضية الفلسطينية، فلو لا نشوء قضية اللاجئين لما نشأت مسألة «العربية» في الداخل. أما الممارسات الإسرائيلية التي تتضمن مصادرة أراضي العرب في الداخل ومحاصرتهم وتجميعهم ديموغرافيا، والعمل على إعادة تشكيل هويتهم الثقافية بما يتناسب مع احتوائهم كأقلية متنافرة متنازلة عن المساواة الكاملة وحس الشخصية العربية الكاملة في دولة يهودية... هذه كلها ليست مجرد مركبات في سياسة تمييز، بل هى جزء من سياسة تشكل استمرارا لتاريخيا لسلطة استعمارية هى قضية فلسطين، وهى تضع لنفسها أيضا أهدافا تاريخية. فهى ما زالت تجرى وتنفذ وعقلية كولونيالية استيطانية إحلالية، وتتخذ أشكالاً كولونيالية أيضا.

٢. أنه لا يمكن أن نفهم قضية عرب الداخل بالمنهج التاريخى وحده، إذ لا يكفى فهم تاريخ تشكل القضية الفلسطينية وكيفية تحول الفلسطينين إلى أقلية في بلدهم في فهم والحكم الحالى. يكفى هذا لفهم نشوء هذا الواقع، ولكن ليس لفهم الواقع ذاته فهناك ما يميز حاضرهم عن تاريخهم، ولما لا تميزا عن بقية المجتمعات الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة والشبكات الفلسطينى، وهم يميزون بأنهم خلافا لبقية الفلسطينين تحولوا إلى جزء (غير مرحب به)



عائلة من رام الله ١٩١٠ (من محفوظات مكتبة الكونجرس)

مؤتمر تسييه عشاق - لندن - سبتمبر ١٩٠٨ Late/Tony Luck





لمستقبل العلاقة بين المواطنين العرب والدولة والمحيط العربي على شكل أرواق وجدوا أنفسهم يطرحون أجوبة تدور حول هذين المحورين: الهوية القومية والمواطنة. ويطرحون بثقوات مختلفة مسألة دولة المواطنين ووجود جماعتين قوميتين وحقوق قومية. كما وجدوا أنفسهم مدفوعين بصورة طرح مشاريع تخطيط دولة لتحطّل لاستيعاب الهجرة اليهودية، ولبناء جيش قوى، واقتصاد يهودي قوى، وتعامل مع وجود العرب كمشكلة وكعدو. في هذه الأثناء حصلت تغيرات هامة تؤكد براهين علميتين متوازيتين جرى الكلام عنهما في الكتاب، لقد حدثنا عن عملية "أسرلة" مرموقة جامعة من البنية الاقتصادية والاجتماعية السياسية والحقوقيّة، وأن هذه العملية تقوم "أسرلة" ثقافية تؤدي إلى تسوية الثقافة العربية، وأن تتحول إلى ثقافة عبرية، كما تتجلى في تحول الاندماج إلى مطلب، وذلك على هامش دولة تعرف نفسها كدولة يهودية، ولا تقبل دولة مواطنة اندماجية. وقد شهدنا منذ كتابة هذا الكتاب ليس فقط مشروع وطني يدمقرط يطرّح نفسه على الساحة بل دولة فعل صهيونية وعربية (إسرائيلية)، عليه من قبل قوى سياسية عربية تقليدية زادت به خطراً، كما شهدنا فاعية أخرى تتركها في غملا، حيث سبق مع القضية الوطنية للشعب الفلسطيني تحت الاحتلال عبر منذ المجتمع العربي العلماني في الداخل على بدائية الانتفاضة الثانية، كما شهدنا ردة فعل إسرائيلية عليها، ليس فقط في تشديد ملاحقة من انتفضهم به المتطهرين، والتضييق عليهم، بل أيضاً في عملية دهم وتشجيع، ما تسميه "العدليين العرب، حتى لو تأطروا في أحزاب عربية.

لقد س البرهان الإسرائيلي خلال السنوات الأخيرة عدة قوانين تراجع الحريات الوطنية، وتحدّد التراجع المفروضة على الأحزاب لتتمكن من المشاركة في الانتخابات البرلمانية، وتضع التواصل الحر مع الأمة العربية، ويشكّل خاص الدول العربية في ما تسميه دول العدو، كما زادت في تحديد مسألة الولاء للدولة والاعتراف بها كدولة يهودية، وقد شكلت هذه تعبيرات حادة عن رد إسرائيل على تطوّرهم هماً:

١. نشوء قوى سياسية عربية تهاجر بموقفها الوطني المتسكك بالهوية العربية والمفترض على سياسة إسرائيلية الصهيونية ودمعها لحق الشعب في معارضة الاحتلال رافضة التوحيد الإسرائيلي الرسمي لعلى الولاء للدولة.

اعتبار كل ما يقوله عربي بصوت عالٍ داخل إسرائيل بطول... مع أن ذلك يجري في دولة يتفوق فيها هامش واسع لحرية التعبير، ولا يكفّ فيها الكلام كثيراً. وكما ينتج هذا الواقع المتيسر وغير العادي تشويبات سياسية وثقافية تطيح بالتجربة العربية في الداخل، كذلك قد ينتج حالة سياسية مركبة وغنية التجربة في الوقت ذاته، إذا نجحت بالمحافظة على الهوية العربية الفلسطينية من جهة، وإذا عرفت كيف تعمل في إطار المواطنة بتحويل خطاب الحقوق إلى خطاب معاد للصهيونية... وطبعاً إذا كانت مستعدة لدفع الثمن، فهذا الموقف يشكل حالة نضالية، وهو لا يواجه مقاومة من المؤسسة الصهيونية الحاكمة فحسب، بل أيضاً من قبل القوى السياسية العربية المحلية الختوة في قضاء سياسي ثقافي اجتماعي على هامش الدولة اليهودية والمربطة بالوضع القائم.

لقد كتب هذا الكتاب مدفوعاً بأكثر من التحليل الأكاديمي الذي اعتبره في حينه تشجيعاً، حتى في الجامعات الإسرائيلية، بل أيضاً بإسراء القاعدة الفكرية لهذا الخيار الأخير الذي لا يتجنب التناقضات بل يشخصها ويحولها من قوة عدم لحتم إلى يعى فعلها. ولا يحاول أن يوجه هذا العمل، إلى قوة دفع عند محتج بعينها ويخصمها لمشروع. ولذلك يجد القارئ في الجزء الثاني من الكتاب محاولة تطرح مشروع وطني ديمقراطي في ظروف الداخل بيني على جدلية العلاقة بين الوطني والمثني، وبين الخطأ العربي الفلسطيني والمواطنة، يصعب تخيل مشروع آخر يطرّح مشروع في هذا الواقع المركب، أي فيما يتجاوز زود العمل الأولية وسجارية الأحداث، ولذلك فعندما حاول بعض المثقفين العرب من اتجاهات مختلفة مؤخرًا، أي في الأعوام ٢٠٠٦-٢٠٠٨، التصدي لهمة طرح مشروع متكامل

الهوية الوطنية، هوية السكان الأصليين، فإنه لا بد أن يتناقض مع البنية القائمة للدولة وتعرّيفها لذاتها كدولة يهودية ومع الوظائف الناجمة عن هذا التعريف. من خلال هذا التناقض يتصل مطلب المساواة الكاملة في دولة مواطنين مع القضية الوطنية الناشئة تاريخياً في صراع مع الصهيونية.

ب. تأطير تاريخية الحالة العربية في الداخل في البنية القائمة. ولذلك نشأ وضع يصاح فيه خطاب وطني ضمن الإطار القائم. ويتخذ شكل المطالبة بحقوق جماعية والاعتراف بالعرب كجماعة قومية في جزء من الشعب الفلسطيني والأمة العربية. والمطالبة بحق وضع برامج التدرّج العربية، وتطوّر الثقافة العربية.

١. ينتج هذا الواقع الذي تجرّى فيه صياغة المطالب المدنية الإسرائيلية لنشأة وطنية فلسطينية وصياغة الخطاب الوطنية الفلسطينية بلغة مدنية إسرائيلية كما هائلنا من التناقضات والتشويبات... من الاندواء تحت لواء الأحزاب الصهيونية، وحتى إقامة أحزاب عربية قولا وإسرائيلية في الممارسة، لقد نشأت قوى متصارعة ذات خططين واحد بالعربية وآخر بالعبرية، كما نشأ في ظل التنافس الانحساري تحت السقف الإسرائيلي ذواب الخدمات الدسّيس يتوسلون بين مطالب المواطن الفرد والسلطة الإسرائيلية الحاكمة بلغتها. أما الموقف الوطني عند هؤلاء فمسألة تمارس خطابية في الإعلام العربي. فالقوى السياسية، العربية الإسرائيلية، لا تتخطى عن الرعية بكسب كافة العوامل، بما فيها خطاب الولاء لإسرائيل والخطاب النضالي الوطني في وسائل الإعلام العربية. ويبدو هذا السلوك ممكناً، خاصة أنه في ظروف نشوء تيار في الدول العربية المحيطة بجاهر بالتطبيع، وبيناضل، من أجل فرض نسبية غير عادلة على الفلسطينيين، فقد انتقل قسم من الرأي العام العربي من موقف خائف هو تخوين عرب الداخل إلى موقف خائف آخر هو

من الكبر الذي قام على أرضهم. ولو على هامش الاقتصاد. كما تحولوا رسمياً إلى مواطنين، بصرف النظر الآن عن نوع هذه المواطنة ومن أية درجة هي... وقد أدى هذا الأمران سوية إلى تغيرات في نمط السلوك السياسي والثقافة السياسية السائدة، خاصة أن ٩٠ من المواطنين العرب في الداخل ولما في هذا الواقع الإسرائيلي، بما فيه من تغيرات ثقافية تفسّر حتى اللغة، الفصحى لغة الخاصة اليومية ولغة المواطنة واللغة السياسية، وتحول القرية إلى هامش اقتصادي للمدينة اليهودية... المرافقة الكبرى التي عاشها العرب في الداخل على عملية التوحيد كانت في الوقت ذاته عملية صادرة وقطع أواصر العلاقة الاقتصادية مع الأرض وعملية تهيمش، كما أن عملية التوحيد ذاتها هي عملية إسرائيلية، وعملية أسرلة في الوقت ذاته.

٢. كما اعطى من أن من قارب موضوع العرب في الداخل ينبغي أن يخطئ منهجياً في فهم تميزهم (لنفسد تميزهم) عن الأقليات مهاجرة في دول أوروبية مثلاً) فحسب، ولم يتجاهل الطابع الكولونيالي لإسرائيل فحسب، بل قاده ذلك إلى طرح مسألة المساواة كما تطرح في الدول المهاجرين في الدول الديمقراطية، أي كملتبب اندماج، ولا يوجد خيار اندماجي حقيقي على العرب في دولة. لا هي دولة مواطنين، ولا هي دولة تعترف ببنية ثنائية القومية، ومن ناحية أخرى، فمن قارب موضوع عرب الداخل من زاوية النظر التاريخية وعندها انتهى إلى عجز أمام فهم السلوك السياسي والثقافة السياسية السائدة عند العرب داخل من التصويت إلى أحزاب صهيونية وحتى نشوء أحزاب وقوى عربية إسرائيلية، وإلى انعدام القدرة على طرح برنامج وطني في الظروف الخاصة لهذا المجتمع، لأنه ليس مسألة بل ير الخصوصية، ولخصوصية العرب في إسرائيل مقابل أليات قومية وإثنية أخرى هي خصوصية تاريخية، وخصوصية عرب الداخل مقارنة مع بقية الفلسطينيين في تبنيوه المطالبة وليست تاريخية فحسب.

وطبعاً يمكننا من هنا أن نشعب أكثر لحد أن التاريخي منيوي وإلا ما تحول إلى واقع قائم، كما أن التبييني تاريخي، تاريخه فاعل في بنيته.

١. بنى دولة إسرائيل ماريحية ليس فقط من حيث تعالوها الاستيعادي بل أيضا في تعريضها نفسها كدولة يهودية في الفكر والممارسة، ولا طرح مطلب المساواة للعرب في الداخل بشكل كامل دون مساومات على الحقوق، ودون التخلي عن

لقد ثارت خاتمة المؤسسة الصهيونية عندما نشأ تيار يرغب بالتواصل مع الدول العربية، كعربي وليس كعربي إسرائيلي



إسرائيل تتجه من التمييز العنصري البسيط إلى التمييز المركب القادر على احتواء مطالب رمزية للعرب المعتدلين، تنفس الاحتقان

٢٠٢٠

المبار، ونشر ثقافة التعايش عند الشعب الواقع تحت الاحتلال وحده، والتحكم بأجندة التنمية السياسية بوضع أجندات غربية في مقابل الأجندة الوطنية وحاجات المجتمع العربي، لقد جرى ذلك لإبعاد كم كبير نسبيا من المثقفين خاصة العلمانيين واليساريين عن دائرة العمل السياسي والوطني، أو إخضاع معلم لأجندة صناديق الدمع، ويجري بشكل واضح حرمان المؤسسات ذات الأجندة الوطنية المستقلة من التمويل بما فيها المؤسسات الثقافية والحديثة التي تصعب صبغ أعينها بإجراء احداث وأجندة وطنية مستقلة، ويفترض أن يشكل المثقفون في مجتمعات العالم الثالث مركبا أساسيا في الحركات الوطنية، وكان الخلاف هو دخول حتى صناديق دعم ماني أميركية مهيمنة ساحة العمل في أوساط العرب في الداخل بعد الانتفاضة الثانية، وذلك بعد أن كان دعمها يقتصر في الماضي على الدولة والمجتمع اليهودي، وطبعاً ما زال دعمها موجهاً بالأساس للمجتمع الصهيوني، ولكن يمكن النظر إلى هذا الإجراء كخطوة استثنائية لأسباب سياسية مستعجلة بدمج «الاعتدال» والتضييق، فزعات التعايش مع الصهيونية عند العرب دون تعيير سياسة الدولة ذاتها.

يزداد الواقع الذي تناوله هذا الكتاب تركيباً إذا، ويفرض في تطوره نفس الصراعات، فشمس القوى التي كانت تعارض تطوير رؤية بديلة لرؤية المؤسسة الحاكمة لاستقبال عرب الداخل كنتم، استسلمت لرغبة العرب أن تكون لهم مؤسسات مستقلة عن الدولة، ولكنها تحاول الآن التحكم بها عبر التمويل وغيره، وتحولها إلى أدوات رقابة وسيطرة وتكريس نهج «اعتدال...» يتخلل صراع الأضداد هـ، على كافة التطورات، فقد استسلمت الدولة لطلب العرب في تحويل وظائف وفرض عمل في المؤسسات الحكومية، ولكنها تحاول الآن أن تتحكم بالبعد والنوع ومواقف الناس الذين يتم تعيينهم، كما تطالب بالولاء وفرض القدماء الوطنية الإسرائيلية على الشباب العرب مقابل ذلك، لا يتوقف التطور بعد تحقيق أمر ما، بل يعاد ابتعاث نفس أطراف التناقض ونفس الصيرورات المتناقضة على حلبة أخرى على مستوى أعلى.

من الطبيعي أننا لن ندم هنا مكافئة التطورات التي وقعت في العقد الأخير وإنما نريها فقط بتقديم لمحة عن نوع التطورات، وكيفية فهمها في إطار النموذج النظري الذي قدمه الكتاب، وفي فهم الحالة التي تشكل موضوع بحثه ■

عن «الولاء للدولة»، وخلق فضاء سياسي «عربي إسرائيلي»..

وعلى أن نذكر أن الحظر مائل في غياب مؤسسات دولة وطنية عربية، وغياب حتى مؤسسات اجتماعية اقتصادية عربية مستقلة، وبرامج التدريس في المدارس العربية لا تمنح الطالب أي نوع من التربية الوطنية، وأى نوع من المعرفة المنهجية لتاريخ شعبه، يفترض إذا أن يتم الحفاظ على الهوية العبرية والعلمانية وتطويرها على مستوى التنظيم الذاتي السياسي والاجتماعي وبناء المؤسسات التي تقدم أطرا ومضامين وطنية بديلة للطلاب.

ولكن محاولات التحكم في أجندات المجتمع العربي وإعاقة تنظيمه على أساس قومي تأتي من مصادر أخرى أيضاً، فمن الطواغر التي نشأت مؤخراً أيضاً في العقد الأخير ولوج مؤسسات التمويل الأجنبية، الأوروبية والأميركية ساحة العرب في الداخل، كما فعلت قبل ذلك طيلة عقود في الضفة الغربية وقطاع غزة حاملة أجندة شبيهة جداً بأجندة حزب العمل الإسرائيلي في دعم المعتدلين ومحاربة التطرف، واحواء مثقفين في صناعة الجمعيات والمنظمات غير الحكومية، وإبعادهم عن العمل السياسي

تضييق مجال العمل السياسي على القوى التي تعتبرها إسرائيل راديكالية، وحين تعرضت هذه القوى للاملاحقة السياسية وأمنية، حدث ما توقعنا في هذا الكتاب منذ العام ١٩٩٨ وهو اتحاد المؤسسة الإسرائيلية تمييز وزير عربي، ذلك لأنه يسهل على المؤسسة الإسرائيلية احتواء مطلب وحلم عرب الأحزاب الصهيونية هذا، فهي تتجه من التمييز العنصري البسيط إلى التمييز المركب القادر على احتواء مطالب رمزية للعرب المعتدلين، تنفس الاحتقان وتورط جزء من العرب مباشرة في المسؤولية عن سياسات الدولة العنصرية، لقد تم تعيين وزير عربي مرتين في حكومات إسرائيل منذ الفترة التي صدر فيها الكتاب، وقد عين واحد منهم في حكومة شارون، وهذا النموذج من مقاطعة عربية لهذا النوع من التطور في السياسة والمؤسسات الصهيونية في محاولة لنزع الشرعية عنه

وهي مقابل توسيع هذا النمط من فهم الحقوق، كاحتواء في سياسة التمييز القائمة، وهذا النموذج من المساواة، تطرح الحكومة الإسرائيلية مساهمة الخدمة الوطنية الإسرائيلية على العرب كبديل عن الخدمة العسكرية وتشكل من أشكال تعبير الشباب العرب

٢. تطوير التيار العربي، وهو إلى حد بعيد نفس التيار الممارس في دعم حق الشعوب في مقاومة الاحتلال، لعملية تواصل بين العرب في الداخل والأمة العربية، لقد تجلى ذلك في زيارة الدول العربية، حتى تلك التي تسمى دول العدو، حين سمحت هذه الأخيرة، وذلك دون تنسيق مع إسرائيل أو طلب إذنها، لم يكن لدى إسرائيل في الماضي أي مانع من أن يقوم مواطنوها العرب بزيارات حتى لدول عربية تعرفها كدول عدو، وقد مكثت إسرائيل في الماضي وفوداً ونواباً عرباً في الماضي من زيارة دول مثل سوريا واليمن، فهي تعتبر مثل هذه الزيارات إذا تمت بإذن منها ويتنسيق معها نوعاً من التطبيع، لقد شاركت المؤسسة الصهيونية عندما نشأ تيار يرغب بالتواصل مع الدول العربية، كعربى وليس كعربى إسرائيليين، ويرفض أن يطلب إذاً لذلك من إسرائيل، لكن لا تتحكم في بنوع العلاقة، هنا بدأت إسرائيل عملية ملاحقة قانونية لهذا التيار وس قوانين تسمح بمحاكمة مثليه، بذلك أوضح التيار العربي في الداخل الفرق بين التطبيع وبين التواصل على أساس قومي، وهذا أحد أسباب ملاحقته حالياً، وفي الوقت الذي يهود فيه إلى س العديد من القوانين التي تهدف إلى



لاجئون فلسطينيون على رصيف مينا، حيفا ينظرون زخريهم إلى بلاد الشتات ١٩٤٨ John Phillips ©Alif

امراة تصدّرت يعيينين واسعتين لبدوية ترفض إغلاقهما والاستسلام



بيرونيات حلمى التونى

وتحتسن طمعا يبدو بالغ الصغر أمام عظمتها. كام لا تتبرا من أولادها. وهى فتاة. فى ملصق كبير استوحاه من أغنية فيروز: «القدس فى القلب». تتهاذى بفستان مزركش بألف لون ولون للفرح. تمائد انتسامة ثغرها قهلا يحاول إغلاقه. بينما طبع مسجد قبة الصخرة على صدرها وفى قلبها. هى التى تنوء تحت ثقل أربع برتقالات تحملها فى صينية على رأسها. ولا تقبل التخفيف منها.

فى بيروت. أطلق التونى العنان لألوانه التى تلفها مسحة من الحزن رغم زهاوتها. من سلسلة الملصقات التى أنجزها لـ «جمعية المقاصد الخيرية». بمناسبة ذكرى المولد الشريف حيث غرف من كنوز تراثه المصرى الفولكلورى إلى الملصقات التى أنجزها لـ «نادى الشافى العربى». كدعاوى الأمسيات الشعرية والمعالجات التى كان النادى ينظمها. حتى لوغو. المرض العربى الدولى للكتاب. الذى لا يزال النادى يعتقد حتى اليوم فى دورات معارضه السنوية فى بيروت. لوغو عمل التوتلى على تلويناته كطفل يضع بين الألوان المبهرة. فُكر نسخا متتالية منه. بألوان مختلفة فى كل مرة. (إلى أن أعلن عنه بحداد عبر ملصق للكتاب يقفل على قصول من الدم خلال الاجتياح عام ١٩٨٢). كتاب يقفل بينما تثبت منه ويدة تقطر دما...

فى المقابل. خصه المعرض بالجائزة الأولى لأفضل خلاف لتصميم كتاب ثلاث سنوات على التوالى. من ١٩٧٧ حتى ١٩٧٩. لم تكن السياسة شغله الشاغل. لكن الهاجس السياسى كان دالم الحضور. حتى فى أعماله ذات المنحى غير السياسى والتى لا تتناول القضايا العربية المحورية كقصيدة فلسطين بشكل مباشر. تتصل إلى أعماله بفخر عبر شخصيات فولكلورية وتقاسيم عربية وترتاج تخرج منه الفنان حتى الثمالة. لا روافد مستوردة فى أعمال التونى. وهى ذلك ترجمة لالتزام سياسى غير مباشر وغير مقصود ربما. فيه تجسيد للتراث الزخرفى العربى بألوانه وتقاسيم أشكاله. فى أسلوبه بساطة «السهل المتع». وفى أعماله رسالة ومنهج لا يمكن إغفالها. ■

رنا حايك

بيروت

المعد ١٢٥ - يونيو ٢٠٠٩ م

وليزين برشيته أغلفة كتب نقدية (الرحلة الثامنة لجبرا إبراهيم جبرا). وروايات (حين تركنا الجسر لعبد الرحمن منيف). ودواوين (للشاعر اللبناني بول شاول). وسلسلة «تاريخ العرب والإسلام للمعتاب والفتحات». (عرض منها فى المعرض الكتاب رقم ١٥ فى السلسلة. وهو عن أبو عبيدة بن الجراح).

هنا أيضا. حاز. جائزة البرونسيك للعام الدولى للطفل. سنة ١٩٧٩ بينما تقاوم مع «دار الفتى العربى». لحاطية أذهان أطفال وناشئة بلون ومصموم. أكثر الفنانين المرححين لحاطيتها: فهما. بريشة تقطر براءة لأربعينى لا تزال طفل شاكس حزين. رسمها «هى».

هى فلسطين جرحها للأطفال نقطة

نقطة من الحسرة والحب على مدى

صفحات كتاب من القطع الصغير. «هى»

امراة تصدّرت غلاف القصة بعينين

واسعتين لبدوية ترفض إغلاقهما

والاستسلام. يسندل ثغرها البرتقالي

الدافئ كأنهى مكتملة الأنوفة والإغواء.

السياسى حصرا. كانت تجمع. كما غيرها. على مراحل. كل ما يقع تحت يديها من أعمال كتبت من لهيب الاجتياحات المتكررة على لبنان.

وجدت لدى عبودي أبو جودة. صاحب مكتبة الفرات. مجموعة من أغلفة الكتب ومن الملصقات التى جمعها بوصفه يهوى جمع الجملات والملصقات القديمة. فتعاوننا معا لقمعنا بمعرض التوتوى سلسلة معارض «سنوات بيروت». التى تسمى باستعادة تلاح فنانين لبنانيين أو غير لبنانيين خلال مرحلتهم «البيروتية».

فمرحلة بيروت. التى شكّلت ملأدا فنيا وسياسيا للتوتوى. كانت من أهم وأغنى المراحل الفنية فى حياته. هنا. صمم أوائل الأغلفة لصالح دار الآداب عام ١٩٧٤. وهنا. عمل مخرجا فنيا فى المؤسسة العربية للدراسات للنشر. ليعتزل بصمة تاريخية فى الواقع الصحافى اللبنانى. بعد أن صمم. لوغو. جريدة السفير المحلية. باللون البرتقالى. رمز المقاومة الفلسطينية.



توتوى
١٩٧٩
١٩٨٢
١٩٨٣
١٩٨٤
١٩٨٥
١٩٨٦
١٩٨٧
١٩٨٨
١٩٨٩
١٩٩٠
١٩٩١
١٩٩٢
١٩٩٣
١٩٩٤
١٩٩٥
١٩٩٦
١٩٩٧
١٩٩٨
١٩٩٩
٢٠٠٠
٢٠٠١
٢٠٠٢
٢٠٠٣
٢٠٠٤
٢٠٠٥
٢٠٠٦
٢٠٠٧
٢٠٠٨
٢٠٠٩
٢٠١٠
٢٠١١
٢٠١٢
٢٠١٣
٢٠١٤
٢٠١٥
٢٠١٦
٢٠١٧
٢٠١٨
٢٠١٩
٢٠٢٠
٢٠٢١
٢٠٢٢
٢٠٢٣
٢٠٢٤
٢٠٢٥
٢٠٢٦
٢٠٢٧
٢٠٢٨
٢٠٢٩
٢٠٣٠
٢٠٣١
٢٠٣٢
٢٠٣٣
٢٠٣٤
٢٠٣٥
٢٠٣٦
٢٠٣٧
٢٠٣٨
٢٠٣٩
٢٠٤٠
٢٠٤١
٢٠٤٢
٢٠٤٣
٢٠٤٤
٢٠٤٥
٢٠٤٦
٢٠٤٧
٢٠٤٨
٢٠٤٩
٢٠٥٠
٢٠٥١
٢٠٥٢
٢٠٥٣
٢٠٥٤
٢٠٥٥
٢٠٥٦
٢٠٥٧
٢٠٥٨
٢٠٥٩
٢٠٦٠
٢٠٦١
٢٠٦٢
٢٠٦٣
٢٠٦٤
٢٠٦٥
٢٠٦٦
٢٠٦٧
٢٠٦٨
٢٠٦٩
٢٠٧٠
٢٠٧١
٢٠٧٢
٢٠٧٣
٢٠٧٤
٢٠٧٥
٢٠٧٦
٢٠٧٧
٢٠٧٨
٢٠٧٩
٢٠٨٠
٢٠٨١
٢٠٨٢
٢٠٨٣
٢٠٨٤
٢٠٨٥
٢٠٨٦
٢٠٨٧
٢٠٨٨
٢٠٨٩
٢٠٩٠
٢٠٩١
٢٠٩٢
٢٠٩٣
٢٠٩٤
٢٠٩٥
٢٠٩٦
٢٠٩٧
٢٠٩٨
٢٠٩٩
٢١٠٠
٢١٠١
٢١٠٢
٢١٠٣
٢١٠٤
٢١٠٥
٢١٠٦
٢١٠٧
٢١٠٨
٢١٠٩
٢١١٠
٢١١١
٢١١٢
٢١١٣
٢١١٤
٢١١٥
٢١١٦
٢١١٧
٢١١٨
٢١١٩
٢١٢٠
٢١٢١
٢١٢٢
٢١٢٣
٢١٢٤
٢١٢٥
٢١٢٦
٢١٢٧
٢١٢٨
٢١٢٩
٢١٣٠
٢١٣١
٢١٣٢
٢١٣٣
٢١٣٤
٢١٣٥
٢١٣٦
٢١٣٧
٢١٣٨
٢١٣٩
٢١٤٠
٢١٤١
٢١٤٢
٢١٤٣
٢١٤٤
٢١٤٥
٢١٤٦
٢١٤٧
٢١٤٨
٢١٤٩
٢١٥٠
٢١٥١
٢١٥٢
٢١٥٣
٢١٥٤
٢١٥٥
٢١٥٦
٢١٥٧
٢١٥٨
٢١٥٩
٢١٦٠
٢١٦١
٢١٦٢
٢١٦٣
٢١٦٤
٢١٦٥
٢١٦٦
٢١٦٧
٢١٦٨
٢١٦٩
٢١٧٠
٢١٧١
٢١٧٢
٢١٧٣
٢١٧٤
٢١٧٥
٢١٧٦
٢١٧٧
٢١٧٨
٢١٧٩
٢١٨٠
٢١٨١
٢١٨٢
٢١٨٣
٢١٨٤
٢١٨٥
٢١٨٦
٢١٨٧
٢١٨٨
٢١٨٩
٢١٩٠
٢١٩١
٢١٩٢
٢١٩٣
٢١٩٤
٢١٩٥
٢١٩٦
٢١٩٧
٢١٩٨
٢١٩٩
٢٢٠٠
٢٢٠١
٢٢٠٢
٢٢٠٣
٢٢٠٤
٢٢٠٥
٢٢٠٦
٢٢٠٧
٢٢٠٨
٢٢٠٩
٢٢١٠
٢٢١١
٢٢١٢
٢٢١٣
٢٢١٤
٢٢١٥
٢٢١٦
٢٢١٧
٢٢١٨
٢٢١٩
٢٢٢٠
٢٢٢١
٢٢٢٢
٢٢٢٣
٢٢٢٤
٢٢٢٥
٢٢٢٦
٢٢٢٧
٢٢٢٨
٢٢٢٩
٢٢٣٠
٢٢٣١
٢٢٣٢
٢٢٣٣
٢٢٣٤
٢٢٣٥
٢٢٣٦
٢٢٣٧
٢٢٣٨
٢٢٣٩
٢٢٤٠
٢٢٤١
٢٢٤٢
٢٢٤٣
٢٢٤٤
٢٢٤٥
٢٢٤٦
٢٢٤٧
٢٢٤٨
٢٢٤٩
٢٢٥٠
٢٢٥١
٢٢٥٢
٢٢٥٣
٢٢٥٤
٢٢٥٥
٢٢٥٦
٢٢٥٧
٢٢٥٨
٢٢٥٩
٢٢٦٠
٢٢٦١
٢٢٦٢
٢٢٦٣
٢٢٦٤
٢٢٦٥
٢٢٦٦
٢٢٦٧
٢٢٦٨
٢٢٦٩
٢٢٧٠
٢٢٧١
٢٢٧٢
٢٢٧٣
٢٢٧٤
٢٢٧٥
٢٢٧٦
٢٢٧٧
٢٢٧٨
٢٢٧٩
٢٢٨٠
٢٢٨١
٢٢٨٢
٢٢٨٣
٢٢٨٤
٢٢٨٥
٢٢٨٦
٢٢٨٧
٢٢٨٨
٢٢٨٩
٢٢٩٠
٢٢٩١
٢٢٩٢
٢٢٩٣
٢٢٩٤
٢٢٩٥
٢٢٩٦
٢٢٩٧
٢٢٩٨
٢٢٩٩
٢٣٠٠
٢٣٠١
٢٣٠٢
٢٣٠٣
٢٣٠٤
٢٣٠٥
٢٣٠٦
٢٣٠٧
٢٣٠٨
٢٣٠٩
٢٣١٠
٢٣١١
٢٣١٢
٢٣١٣
٢٣١٤
٢٣١٥
٢٣١٦
٢٣١٧
٢٣١٨
٢٣١٩
٢٣٢٠
٢٣٢١
٢٣٢٢
٢٣٢٣
٢٣٢٤
٢٣٢٥
٢٣٢٦
٢٣٢٧
٢٣٢٨
٢٣٢٩
٢٣٣٠
٢٣٣١
٢٣٣٢
٢٣٣٣
٢٣٣٤
٢٣٣٥
٢٣٣٦
٢٣٣٧
٢٣٣٨
٢٣٣٩
٢٣٤٠
٢٣٤١
٢٣٤٢
٢٣٤٣
٢٣٤٤
٢٣٤٥
٢٣٤٦
٢٣٤٧
٢٣٤٨
٢٣٤٩
٢٣٥٠
٢٣٥١
٢٣٥٢
٢٣٥٣
٢٣٥٤
٢٣٥٥
٢٣٥٦
٢٣٥٧
٢٣٥٨
٢٣٥٩
٢٣٦٠
٢٣٦١
٢٣٦٢
٢٣٦٣
٢٣٦٤
٢٣٦٥
٢٣٦٦
٢٣٦٧
٢٣٦٨
٢٣٦٩
٢٣٧٠
٢٣٧١
٢٣٧٢
٢٣٧٣
٢٣٧٤
٢٣٧٥
٢٣٧٦
٢٣٧٧
٢٣٧٨
٢٣٧٩
٢٣٨٠
٢٣٨١
٢٣٨٢
٢٣٨٣
٢٣٨٤
٢٣٨٥
٢٣٨٦
٢٣٨٧
٢٣٨٨
٢٣٨٩
٢٣٩٠
٢٣٩١
٢٣٩٢
٢٣٩٣
٢٣٩٤
٢٣٩٥
٢٣٩٦
٢٣٩٧
٢٣٩٨
٢٣٩٩
٢٤٠٠
٢٤٠١
٢٤٠٢
٢٤٠٣
٢٤٠٤
٢٤٠٥
٢٤٠٦
٢٤٠٧
٢٤٠٨
٢٤٠٩
٢٤١٠
٢٤١١
٢٤١٢
٢٤١٣
٢٤١٤
٢٤١٥
٢٤١٦
٢٤١٧
٢٤١٨
٢٤١٩
٢٤٢٠
٢٤٢١
٢٤٢٢
٢٤٢٣
٢٤٢٤
٢٤٢٥
٢٤٢٦
٢٤٢٧
٢٤٢٨
٢٤٢٩
٢٤٣٠
٢٤٣١
٢٤٣٢
٢٤٣٣
٢٤٣٤
٢٤٣٥
٢٤٣٦
٢٤٣٧
٢٤٣٨
٢٤٣٩
٢٤٤٠
٢٤٤١
٢٤٤٢
٢٤٤٣
٢٤٤٤
٢٤٤٥
٢٤٤٦
٢٤٤٧
٢٤٤٨
٢٤٤٩
٢٤٥٠
٢٤٥١
٢٤٥٢
٢٤٥٣
٢٤٥٤
٢٤٥٥
٢٤٥٦
٢٤٥٧
٢٤٥٨
٢٤٥٩
٢٤٦٠
٢٤٦١
٢٤٦٢
٢٤٦٣
٢٤٦٤
٢٤٦٥
٢٤٦٦
٢٤٦٧
٢٤٦٨
٢٤٦٩
٢٤٧٠
٢٤٧١
٢٤٧٢
٢٤٧٣
٢٤٧٤
٢٤٧٥
٢٤٧٦
٢٤٧٧
٢٤٧٨
٢٤٧٩
٢٤٨٠
٢٤٨١
٢٤٨٢
٢٤٨٣
٢٤٨٤
٢٤٨٥
٢٤٨٦
٢٤٨٧
٢٤٨٨
٢٤٨٩
٢٤٩٠
٢٤٩١
٢٤٩٢
٢٤٩٣
٢٤٩٤
٢٤٩٥
٢٤٩٦
٢٤٩٧
٢٤٩٨
٢٤٩٩
٢٥٠٠
٢٥٠١
٢٥٠٢
٢٥٠٣
٢٥٠٤
٢٥٠٥
٢٥٠٦
٢٥٠٧
٢٥٠٨
٢٥٠٩
٢٥١٠
٢٥١١
٢٥١٢
٢٥١٣
٢٥١٤
٢٥١٥
٢٥١٦
٢٥١٧
٢٥١٨
٢٥١٩
٢٥٢٠
٢٥٢١
٢٥٢٢
٢٥٢٣
٢٥٢٤
٢٥٢٥
٢٥٢٦
٢٥٢٧
٢٥٢٨
٢٥٢٩
٢٥٣٠
٢٥٣١
٢٥٣٢
٢٥٣٣
٢٥٣٤
٢٥٣٥
٢٥٣٦
٢٥٣٧
٢٥٣٨
٢٥٣٩
٢٥٤٠
٢٥٤١
٢٥٤٢
٢٥٤٣
٢٥٤٤
٢٥٤٥
٢٥٤٦
٢٥٤٧
٢٥٤٨
٢٥٤٩
٢٥٥٠
٢٥٥١
٢٥٥٢
٢٥٥٣
٢٥٥٤
٢٥٥٥
٢٥٥٦
٢٥٥٧
٢٥٥٨
٢٥٥٩
٢٥٦٠
٢٥٦١
٢٥٦٢
٢٥٦٣
٢٥٦٤
٢٥٦٥
٢٥٦٦
٢٥٦٧
٢٥٦٨
٢٥٦٩
٢٥٧٠
٢٥٧١
٢٥٧٢
٢٥٧٣
٢٥٧٤
٢٥٧٥
٢٥٧٦
٢٥٧٧
٢٥٧٨
٢٥٧٩
٢٥٨٠
٢٥٨١
٢٥٨٢
٢٥٨٣
٢٥٨٤
٢٥٨٥
٢٥٨٦
٢٥٨٧
٢٥٨٨
٢٥٨٩
٢٥٩٠
٢٥٩١
٢٥٩٢
٢٥٩٣
٢٥٩٤
٢٥٩٥
٢٥٩٦
٢٥٩٧
٢٥٩٨
٢٥٩٩
٢٦٠٠
٢٦٠١
٢٦٠٢
٢٦٠٣
٢٦٠٤
٢٦٠٥
٢٦٠٦
٢٦٠٧
٢٦٠٨
٢٦٠٩
٢٦١٠
٢٦١١
٢٦١٢
٢٦١٣
٢٦١٤
٢٦١٥
٢٦١٦
٢٦١٧
٢٦١٨
٢٦١٩
٢٦٢٠
٢٦٢١
٢٦٢٢
٢٦٢٣
٢٦٢٤
٢٦٢٥
٢٦٢٦
٢٦٢٧
٢٦٢٨
٢٦٢٩
٢٦٣٠
٢٦٣١
٢٦٣٢
٢٦٣٣
٢٦٣٤
٢٦٣٥
٢٦٣٦
٢٦٣٧
٢٦٣٨
٢٦٣٩
٢٦٤٠
٢٦٤١
٢٦٤٢
٢٦٤٣
٢٦٤٤
٢٦٤٥
٢٦٤٦
٢٦٤٧
٢٦٤٨
٢٦٤٩
٢٦٥٠
٢٦٥١
٢٦٥٢
٢٦٥٣
٢٦٥٤
٢٦٥٥
٢٦٥٦
٢٦٥٧
٢٦٥٨
٢٦٥٩
٢٦٦٠
٢٦٦١
٢٦٦٢
٢٦٦٣
٢٦٦٤
٢٦٦٥
٢٦٦٦
٢٦٦٧
٢٦٦٨
٢٦٦٩
٢٦٧٠
٢٦٧١
٢٦٧٢
٢٦٧٣
٢٦٧٤
٢٦٧٥
٢٦٧٦
٢٦٧٧
٢٦٧٨
٢٦٧٩
٢٦٨٠
٢٦٨١
٢٦٨٢
٢٦٨٣
٢٦٨٤
٢٦٨٥
٢٦٨٦
٢٦٨٧
٢٦٨٨
٢٦٨٩
٢٦٩٠
٢٦٩١
٢٦٩٢
٢٦٩٣
٢٦٩٤
٢٦٩٥
٢٦٩٦
٢٦٩٧
٢٦٩٨
٢٦٩٩
٢٧٠٠
٢٧٠١
٢٧٠٢
٢٧٠٣
٢٧٠٤
٢٧٠٥
٢٧٠٦
٢٧٠٧
٢٧٠٨
٢٧٠٩
٢٧١٠
٢٧١١
٢٧١٢
٢٧١٣
٢٧١٤
٢٧١٥
٢٧١٦
٢٧١٧
٢٧١٨
٢٧١٩
٢٧٢٠
٢٧٢١
٢٧٢٢
٢٧٢٣
٢٧٢٤
٢٧٢٥
٢٧٢٦
٢٧٢٧
٢٧٢٨
٢٧٢٩
٢٧٣٠
٢٧٣١
٢٧٣٢
٢٧٣٣
٢٧٣٤
٢٧٣٥
٢٧٣٦
٢٧٣٧
٢٧٣٨
٢٧٣٩
٢٧٤٠
٢٧٤١
٢٧٤٢
٢٧٤٣
٢٧٤٤
٢٧٤٥
٢٧٤٦
٢٧٤٧
٢٧٤٨
٢٧٤٩
٢٧٥٠
٢٧٥١
٢٧٥٢
٢٧٥٣
٢٧٥٤
٢٧٥٥
٢٧٥٦
٢٧٥٧
٢٧٥٨
٢٧٥٩
٢٧٦٠
٢٧٦١
٢٧٦٢
٢٧٦٣
٢٧٦٤
٢٧٦٥
٢٧٦٦
٢٧٦٧
٢٧٦٨
٢٧٦٩
٢٧٧٠
٢٧٧١
٢٧٧٢
٢٧٧٣
٢٧٧٤
٢٧٧٥
٢٧٧٦
٢٧٧٧
٢٧٧٨
٢٧٧٩
٢٧٨٠
٢٧٨١
٢٧٨٢
٢٧٨٣
٢٧٨٤
٢٧٨٥
٢٧٨٦
٢٧٨٧
٢٧٨٨
٢٧٨٩
٢٧٩٠
٢٧٩١
٢٧٩٢
٢٧٩٣
٢٧٩٤
٢٧٩٥
٢٧٩٦
٢٧٩٧
٢٧٩٨
٢٧٩٩
٢٨٠٠
٢٨٠١
٢٨٠٢
٢٨٠٣
٢٨٠٤
٢٨٠٥
٢٨٠٦
٢٨٠٧
٢٨٠٨
٢٨٠٩
٢٨١٠
٢٨١١
٢٨١٢
٢٨١٣
٢٨١٤
٢٨١٥
٢٨١٦
٢٨١٧
٢٨١٨
٢٨١٩
٢٨٢٠
٢٨٢١
٢٨٢٢
٢٨٢٣
٢٨٢٤
٢٨٢٥
٢٨٢٦
٢٨٢٧
٢٨٢٨
٢٨٢٩
٢٨٣٠
٢٨٣١
٢٨٣٢
٢٨٣٣
٢٨٣٤
٢٨٣٥
٢٨٣٦
٢٨٣٧
٢٨٣٨
٢٨٣٩
٢٨٤٠
٢٨٤١
٢٨٤٢
٢٨٤٣
٢٨٤٤
٢٨٤٥
٢٨٤٦
٢٨٤٧
٢٨٤٨
٢٨٤٩
٢٨٥٠
٢٨٥١
٢٨٥٢
٢٨٥٣
٢٨٥٤
٢٨٥٥
٢٨٥٦
٢٨٥٧
٢٨٥٨
٢٨٥٩
٢٨٦٠
٢٨٦١
٢٨٦٢
٢٨٦٣
٢٨٦٤
٢٨٦٥
٢٨٦٦
٢٨٦٧
٢٨٦٨
٢٨٦٩
٢٨٧٠
٢٨٧١
٢٨٧٢
٢٨٧٣
٢٨٧٤
٢٨٧٥
٢٨٧٦
٢٨٧٧
٢٨٧٨
٢٨٧٩
٢٨٨٠
٢٨٨١
٢٨٨٢
٢٨٨٣
٢٨٨٤
٢٨٨٥
٢٨٨٦
٢٨٨٧
٢٨٨٨
٢٨٨٩
٢٨٩٠
٢٨٩١
٢٨٩٢
٢٨٩٣
٢٨٩٤
٢٨٩٥
٢٨٩٦
٢٨٩٧
٢٨٩٨
٢٨٩٩
٢٩٠٠
٢٩٠١
٢٩٠٢
٢٩٠٣
٢٩٠٤
٢٩٠٥
٢٩٠٦
٢٩٠٧
٢٩٠٨
٢٩٠٩
٢٩١٠
٢٩١١
٢٩١٢
٢٩١٣
٢٩١٤
٢٩١٥
٢٩١٦
٢٩١٧
٢٩١٨
٢٩١٩
٢٩٢٠
٢٩٢١
٢٩٢٢
٢٩٢٣
٢٩٢٤
٢٩٢٥
٢٩٢٦
٢٩٢٧
٢٩٢٨
٢٩٢٩
٢٩٣٠
٢٩٣١
٢٩٣٢
٢٩٣٣
٢٩٣٤
٢٩٣٥
٢٩٣٦
٢٩٣٧
٢٩٣٨
٢٩٣٩
٢٩٤٠
٢٩٤١
٢٩٤٢
٢٩٤٣
٢٩٤٤
٢٩٤٥
٢٩٤٦
٢٩٤٧
٢٩٤٨
٢٩٤٩
٢٩٥٠
٢٩٥١
٢٩٥٢
٢٩٥٣
٢٩٥٤
٢٩٥٥
٢٩٥٦
٢٩٥٧
٢٩٥٨
٢٩٥٩
٢٩٦٠
٢٩٦١
٢٩٦٢
٢٩٦٣
٢٩٦٤
٢٩٦٥
٢٩٦٦
٢٩٦٧
٢٩٦٨
٢٩٦٩
٢٩٧٠
٢٩٧١
٢٩٧٢
٢٩٧٣
٢٩٧٤
٢٩٧٥
٢٩٧٦
٢٩٧٧
٢٩٧٨
٢٩٧٩
٢٩٨٠
٢٩٨١
٢٩٨٢
٢٩٨٣
٢٩٨٤
٢٩٨٥
٢٩٨٦
٢٩٨٧
٢٩٨٨
٢٩٨٩
٢٩٩٠
٢٩٩١
٢٩٩٢
٢٩٩٣
٢٩٩٤
٢٩٩٥
٢٩٩٦
٢٩٩٧
٢٩٩٨
٢٩٩٩
٣٠٠٠
٣٠٠١
٣٠٠٢
٣٠٠٣
٣٠٠٤
٣٠٠٥
٣٠٠٦
٣٠٠٧
٣٠٠٨
٣٠٠٩
٣٠١٠
٣٠١١
٣٠١٢
٣٠١٣
٣٠١٤
٣٠١٥
٣٠١٦
٣٠١٧
٣٠١





ابتداء حركة الفن الفلسطيني ما بين العداثة والماصرة*

واحدة من أكثر الساحات تأثيراً في العالم العربي، كما نشر جبرا العديد من الدراسات حول الفن العربي فضلاً عن كتاباته النقدية عن أعمال الفنانين الفلسطينيين في الثشت^(١)، وهو ما شكل قاعدة نظرية ونقدية لا غنى عنها للحائثة، بما تصوغه من رؤية للفن العربي بصفتها فن عصري وإنساني وكوني.

هذا وقد صدرت عدة مؤلفات في مناسبات متميزة لوكالة عدد غير مسبوق من المعارض الدولية المخصصة للفن الفلسطيني^(٢)، التي راحت تقام بانتظام منذ إبرام اتفاقات السلام عام ١٩٩٣، والتي أضحت على الفلسطينية صورة جديدة أكثر إيجابية، فضلاً عن ذلك، تمت دعوة العديد من الفنانين الفلسطينيين بصفة شخصية للمشاركة في التظاهرات الثقافية الكبرى على الصعيد الدولي، ويُمْتَنَبط من تلك المؤلفات اتجاهان متباينان: أولهما يسعى لإسراء المساليم الوافقة على الفلسطينيين، والثاني يركز على السمات الإنسانية المشتركة مع جمهور تلك المعارض، من خلال اختيار أعمال تصور الحياة اليومية الفلسطينية.

إن هذه الدراسة - على اقتصادها - تقرا الممارسة البصرية الفلسطينية بصفتها عملية تحقق باعث للتحرر وعلى الطابع، وهي ممارسة مبرجة في واقع سياقات فكرية محلية وما بعد كولونيالية. الأمر الذي يعيد التبرقي ملاحظات إدوارد سعيد^(٣) بشأن ضرورة قراءة الممارسات السرديّة الوطنية بصورة معاكسة للأساق المحلية، وعلى ضوء ذمة إنسانية.

وهو ما يعني تتبع مسار من الممارسات التي ولدت على أثر التلاقي مع القوة ومواجهته في أن، بصمته فوق استعمارية وثقافة مغايرة. وينفتح المسار على خلفية من الممارسات البصرية المكونة من أثر من الفنون الحضريّة والفولكلورية، وهو ما أعقبه عودة الفنانين المحليين لاعتتماد الأسلوب التصويري الغربي، وتطوير مختلف التيارات الفنية الحديثة، وإبداء ردود الأعمال الشاجّة عن تطوير التيارات الفنية البدائية، أو عن تحديث الممارسات الفنية ما قبل الكولونيالية، ليفض المسار على الحقبة الماصرة التي تهجر الصياغات الجمالية التي ابتدعها الأسلاف الحداثيون؛ لصالح تَبَنّ حماسي للعتاد الفني الذي يفرضه تيار ما بعد العداثة.

من أهم وجود الحياة الأدبية العربية، قد بدأ حياته المهمة كرسام في القدس، لكنه ارتحل إلى العراق بعد الثكية. وهناك نشر رواياته عن القدس، وترجم أعمال شكسبير، وأسهم في تشكيل الساحة الفنية العراقية الماصرة، التي كانت

الحلى، بعيداً عن تلك الصور التي كان يلتقطها المصورون الأوروبيون الرحّل، الذين كانوا يسعون من خلالها إلى إبراز مشاهد توراتية أو سياحية بقصد اجتذاب الجمهور الغربي.

كان جبرا إبراهيم جبرا. وهو واحد

تعد الكتابة عن الفن الفلسطيني بمثابة مهمة مقدّمة، نظراً لكون التاريخ له يعكس ملامح الثشت والتقطع التي وصمت المجتمع الفلسطيني منذ وقوع الثكية عام ١٩٤٨.

وعليه، فإن عدد المطبوعات التي تناولت ذلك الموضوع ظل محدوداً، وخاضعاً لتباين التصورات التي تعلّمها المواقف السياسية الخاصة بمؤلّي تلك المطبوعات، فابتداءً بتخلّق جوهر الممارسة الفنية الفلسطينية. تلك الخصوصية التي طال إنكارها شأن سائر أبعاد تلك الهوية السياسية التي انضوت لصالح هوية عربية مجردة - وارتباط ذلك الجوهري بتصوير العداثة واثار الاستلاب، وانتهاءً باكتشاف ذلك المحي. تلخصت تلك الممارسة في الالتزام السياسي بل الثوري. وهي المقابل، قد تصور تلك الممارسة الفنية ذلك الطابع الهجين المميز لتيار ما بعد الكولونيالية، أو يمكن مقارنتها بميلتها لدى الأقليات الاجتماعية والعرقية داخل إسرائيل؛ كيهود السفريديم، والمهاجرين الجدد، والنساء الخ.

غير أن الغالب على هذا التوثيق التاريخي هو الاعتماد على الأبحاث الرائدة للفنان كمال بلاطة^(٤)، الذي يعود إليه فضل الكشف عن الأثر الأساسي الذي تركه هنانو الأيقونات المقدسيون على رواد الفن التصويري قبل عام ١٩٤٨، بالإضافة إلى فضله في القول بأن التجربة البصرية إنما تتحدد بمقدار القرب من فلسطين، بمعنى تميز الفنانين الفلسطينيين فيها وهي البلدان المتاخمة لها بمرزعة تصويرية، بينما يتميز فنانون الثشت بميل إلى التجريد أو إلى انتهاز ممارسة تصويرية، تهدف إلى بحث الخطي، لا جتياز المسافة إلى فلسطين.

في ميدان التصوير الفوتوغرافي، كُشِمت الدراسات الأخيرة للمورخ عصام نصّار^(٥) عما قام به المصورون من عمل ضخم في مطلع القرن العشرين من أجل خلق لغة بصرية وعلمية تخاطب الجمهور

عبارة مأخوذة عن:

Satoshi Ukai, L'Image de la Palestine et la genèse d'une Mémoire-monde. In: Palestine Rien ne nous manque si, A. Laidi-Haneh, Ed. Bruxelles, Revue Ah 2008

ترجمة داليا توفيق سمودي

رد لا حلال

عدالة العايد هنية



ميراث تماري - نزهة في الخليل



المحدودة أو تلك التي كان ينفذها رهن الطلب، والتي كان يطوع فيها جماليات الفن الإسلامي بصورة تصلح للاستخدام اليومي أو للدمج مع عناصر الديكور المصري، وهو ما يشابه ما صنعه في الجزائر فنان المتمنعات الحداثي محمد رسيم.

وباستثناء انتماء جبرا إبراهيم جبرا إلى مدرسة «الفوضوية، أو الوحشية،» والتهاج ناهل بشارة لتيار الفطرية الفني، تميزت أعمال بقية فنانا تلك الفترة - عند مقارنتها بأعمال مجابليهم العرب من أمثال داود كورم في لبنان ومحمود سعيد في مصر - تميزت بتصويرات تصويرية كلاسيكية وبالأرتكان إلى الأعمال التي تصور الأشخاص والمناظر الطبيعية المحلية، ومحاولات خلق هوية بصرية محلية عن طريق رسم لوحات للشخصيات الوطنية والثقافات العربية، وثانيتها إعادة إحياء الشخصيات والمشاهد التاريخية في لوحات تحكي العصور العربية القديمة (أو العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية).

مابعد الكولونيالية، حيث اكتشاف وتعلم أصول الفن والرسم كانا غالبا ما يعهد بهما إلى معاهد للفنون الجميلة التي كانت تنشئها الإدارات المستعمرة أو النخب للأساليب والممارسات الدارجة في الحضارات الغربية الكبرى. ويفسر من تلك التحولات الاجتماعية، قام تلاميذ هذين الفنانين بشق طريقهم في ميدان في التصوير (ومن بينهم زلفي السعدي ومبارك سعد)، ومنهم من أكمل دراساته بالخارج (مثل داود زلاطيمو الذي درس بالجنزرا). وقام البعض الآخر برسم مشوارهم الفني من دون المرور بتجربة فنانا الأيقونات، بأن تلقوا دراستهم للفنون الجميلة في الخارج (مثل حنا مسمار في ألمانيا، وصوفى الحلبي في باريس، وفاطمة محب وخليل بدوية في القاهرة، إلخ). أما الاستثناء اللافت فقد كان الفنان جمال بدوان الذي درس الفنون الإسلامية بمصر ثم في لندن، ليعود من ثم إلى القدس ويفتح مشغلا ومتجرًا، حيث عكف على صناعة قطع مجموعاته

التي تمت في نهاية القرن التاسع عشر عن حقبة زمنية تنسب بالأمن النسبي والرفاهية في المناطق الحضرية، الأمر الذي حدا بكان المدن الرئيسية (القدس، ويافا، وعكا، وحيفا) إلى الخروج عن نطاق المدن القديمة لبناء مساكن شخصية مستقلة. كما أدى فرض السيطرة البريطانية على البلاد منذ العام ١٩١٧ إلى إضفاء صيغة غربية على نسق الاستهلاك الثقافي بين أوساط النخب من أهل المدن.

ويذكر أن فنانا الأيقونات القديسين يقولوا صايغ وخليل الحلبي قد لعبا دورا مفصليا في تلك التغيرات، بما قدموا إلى الطبقة المتوسطة الوليدة آنذاك من لوحات ابتعدت عن الخط الديني السائد، كانت تقيم غالبا نقلا عن الصور الفوتوغرافية التي تمثل المناظر الطبيعية المحلية، وأيضا بأساليبها في تعليم المراهقين من البنات والبنين المسلمين والمسيحيين أسس فن رسم الأيقونات وأوليات في التصوير. وكانت تلك أشبه بحالة استثنائية لافتة بالنسبة لبلد عربي، وحتى في مضمنا

بكل ممارساته التصويرية، المكتفية بالحد الأدنى من التفاصيل، والمتعمدة في وسائطها التعبيرية.

وتبقى الخصوصية الفلسطينية كركيزة لتبني عليها جميع تلك الممارسات، عن طريق تجذر الإبداع الفني فيما سماء ميشيل فوكو ممارسة حرية تحكمها استثنائية حالة استعمارية منطوية على مغالطة تاريخية.

تطور عبر التاريخ،

يتكون الإرث الفني الفلسطيني من ممارسات حضرية كلاسيكية، قوامها فن الزخرفة المدنية الرفيعة، في العمارة، والعميسا، والفسيج، والزجاجيات، والصدف، والعدان، والسيراميك، والرسوم المدنية الإسلامية، والأيقونات، كما يضم ذلك الإرث فنانا بدوية ريفية تتضمن أعمال التطريز المحلي، وصناعة السلال، وأعمال الفخار، والرسوم الزخرفية لتزيين حوائط المنازل. ولقد أسفرت الإصلاحات العثمانية

عن طريق تجذّر الإبداع فيما سماه ميشيل فوكو ممارسة حرية تحكمها استثنائية حالة استعمارية منطوية على مغالطة تاريخية . تبقى الخصوصية الفلسطينية

٢٠٠٩

سها شومان - نشر ٢

وفي العام ١٩٤٨ . ضربت النكبة المجتمع الفلسطيني في الصميم . لكن غالبية الطبقة البرجوازية لم تلتجئ إلى المناطق التي عهد بها إلى السيطرة المصرية أو الأردنية . وإنما ارتحلت إلى مدن المشرق والخليج حيث كان لها إسهامها الواضح في تطوير تلك المدن . أما معظم الفنانين الذين احتضنهم المنفى . شأنهم شأن أولئك الذين بقوا في وطنهم السليب . فقد تحولوا إلى امتهان وظائف غرضها الإعاشة كالتعليم . أو الرسم التخطيطي . ليهجروا بذلك ممارساتهم الفنية

وما تزال هذه الصورة غير مكتملة بعد . نظرا لتأخرنا إلى دراسات بشأن الحياة الفنية في الحاضرتين الفلسطينيةين اللتين كانتا بمثابة قطبين اقتصاديين فيما قبل العام ١٩٤٨ ، إلا وهما يابها وحيفا . إذ من المرجح أن ما كان بهما من ديناميكية وانفتاح كان سببا لحملهما أكثر ترحيبا بالفنانين مما كانت عليه القدس ببيئتها المحافظة . وما يعرقل سير الدراسات ما كان من اندثار الأعمال الفنية . فقلقت اختفت بالطبع اللوحات والمنحوتات التي أنتجت هناك إثر عمليات النهب التي تعرضت لها المدينة . من دون أن يتم تسجيلها في كتالوجات شأن ما وقع للعديد من المكتبات الفلسطينية الخاصة والعامة على يد إسرائيل .

وبحلول عقد الستينيات . بدأت مرحلة ثانية تزامن ما اتسمت به من ديناميكية مع حالة من الاستقرار السياسي والاقتصادي . لكنها انقطعت على أثر العزو الإسرائيلي عام ١٩٦٧ . وفي هذه المرة . قام الفنانون الذين كانوا قد ظهوروا في القدس إنما باستكمال نشاطاتهم الفنية في مدن أخرى . أو في الخارج (سامية راو في رام الله فسي الأردن وعفاف عرفات في رام الله فسي نابلس . وكمال بلاطة في الولايات المتحدة . وفلاديمير تماري في اليابان . إلخ) .

ولقد أدى الانهيار السياسي الذي أحدثته تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ أو بداية مرحلة الكفاح المسلح إلى إحداث حالة من العزلة الثقافية في حيفا . وبيروت . وعصان . ومضيق . وهو ما عرف بالمرحلة الثورية المنفى الفلسطيني .

أما أكثر الفنانين تأثيرا في تلك المرحلة بما استحدثته من تغيير بصري

جديد . وبما أسداه لهذا

التغيير فيما بعد من بنية



ما بين الحداثة والمعاصرة

التقسيم والإقامة الجبرية في المنازل، بالنسبة لهؤلاء كان الحزب الشيوعي الإسرائيلي المؤسسة الوحيدة التي فتحت أبوابها لمطويعاتهم ومخبريهم، ومنحتهم معصومات بحثاً دراسية إلى بلدان الكتلة الشرقية. ولدى عودتهم، قام البعض، على غرار عابد العابد، بتكوين مجموعة «أبداء» وشاركوا في إقامة نصب تذكارية مع فنانين يهود إسرائيليين يساريين، وواصلوا مشيهم كعمال أو معلمين للفن. وكان عمل فنان الضفة وغزة - شأن بقية أوجه حياتهم اليومية - يتم تحت قبضة الاحتلال العسكري. نظراً لما لاوه رفض لطلبات التمسك بالاحتياحات المعراض، وحظر تشكيل الجمعيات الفنية، وسجن الرسامين الذين يظهرون في لوحاتهم ألوان العلم الفلسطيني الحظوظ، وإرسال عملاء لتعريب الفنانين، فضلاً عن إغلاق الجامعات.

ونظراً لتعريضهم بصورة مباشرة تحت مجهر الرقابة العسكرية، صمد هؤلاء الفنانين إلى تطوير عملهم باتجاه رسم المناظر الطبيعية للحدائق المحلية التي تقطنها المستوطنات الإسرائيلية. (إضافة إلى ذلك، كان هناك تصوير يجمع بين الفن المثالي للحدائق والالتقاء والعمارة والمطهرات التقليدية. يذكر هذا الفن، الذي عرف بقرن «الصدوء»، برود الأعمال الفنية ذات الشغافات ما بعد الكولونيالية، وخصوصاً ثقافة السكان الأصليين أو الأندلسيين-سيمو، في المكسيك، يمثل ما يذكر بما لا يحفه قانون من شدة التعلق بالفولكلور لدى بعض المجتمعات الساعية للتخسر من الاستعمار.

ولقد كان اندلاع الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ بمثابة عامل محفز لفنانين الأكثر ميلاً إلى التجديد في تلك الفترة، مثل سليمان مخسوس، وهيار شاري، ونيلب عسائي، تيسير بركات، فظنوا لتحررهم من مسؤولية المحاكاة الحمائية التي كانوا يضطربون بها، لظهور التغطية الإعلامية الدولية الإيجابية تسبباً للانتفاضة، وكذلك نظراً للنجوة بين ما كانوا يقدمون من استعارات بصرية وعلنية تعتمد على القرابة والملاحين وبين واقع الانتفاضة التي كان أبطالها هم شباب وأطفال الحجارة، وأخيراً، نظراً لملمة الاكتفاء الذاتي للانتفاضة، استبدح الفنانون منبهياً جمالياً جديداً يتوهم على استخدام خامات محلية، ورسم هوكولورية مستحدثة. وتتشابه تلك الممارسة مع تيار كبير آخر من تيارات الفن العربي الحديث، بداء من العرب

هو تيار التحرير. الذي كان قد انتهجه كل من السوري زياد دنول، والعراقي شاكر حسن السعيد، والبناني شفيق عبود وسليبا صويحي، والثاني هو تيار إدمج الخط العربي كعنصر تشكيلي، ويمنح إلى مع العراق عصام السعيد، وحسين زنديري وضيياء الزاوي، ومن بين الفنانين الفلسطينيين المتمين إلى كلا التيارين على التوالي: جومانا الحسيني وحسن رضوان، ثم عزيز عمورة، وحمود طه، وإيسر الديوي، وسمر سلامة، أما محلياً، فهناك تيسير شرف وعصام بدر.



وخلافاً لهدى التيارين، ثمة فنانان فلسطينيان الخنا من الأردن مستقراً، برز كل منهما بفنل ممارسة فردانية فريدة: أما الأول فهو أحمد فواش الذي تتميز لوحاته ذات القطع الصغير بامتلاكها بسواغت الصيق وتكسيريها الدائم لشخص فلق، ومفككة الألوان، وشبه كاريكاتورية، يصعب تقدير أعمالها، ببهتة الهائلة وأصالتها البهتة أحياناً. في جوده عالية، لكنها تفتقر بالذات بنك عى حيرة اللاجئ. وعلى النقيض، هناك لوحات سهى شومان، التي تتراوح بين القطع المصغر والثلاثين التي أهدت للكوك، التي تستلهم عظمة البتراء، تلك المدينة البسيطة البعيدة، تنتقل إليها المثقلى، وخصوصاً بعد انتهجا فكرة التركيب الفننى التي مزج بين اللوحات والحجارة. وتنفرد شومان أيضاً بنشاطها في اقتناى المجموعات ورفاعى العتو، لكونها القوة المحركة لدراسة الفنون وموسسة خالد شومان، التي أسست عام ١٩٩٣، والتي تعنى بنشر الكتب وباستضافة المعارض، والصفقات الموسيقية، والندوات، فضلاً عن عرضها وضفها بين جنباتها لأهم مجموعة خاصة من أعمال الفن العربي الحديث.

وبصورة مماثلة، قام الفنانون الفلسطينيون القسومين في مناهيفه بالبلاد الغربية باعتماد التيارات السائدة هناك، لاسيما قيارى الـ «أوب آر ت، (Op Art) والفرى الحركى الذى سامية حلبة، والمجروفا الهندسية عند كمال بلاطة وسارى خورى بالولايات المتحدة وفلاذمير تمارى باليابان.

أما بالنسبة للفنانين الذين بقوا في الداخل، وأضحوا في عداد مواطنين إسرائيليين من الدرجة الثانية، وعاضوا من ١٩٤٨ حتى ١٩٦٦ في ظل نظام عسكري استثنائى قوامه الاحتجازات

الحقيه التي أعقبت عام ١٩٤٨ وانضحت على التشتت والدمار الناجمين عن النكبة، كانت قد انعكست من خلال المراهى البصرية للفردوس المفقود (من أعمال شموط والرسام نايف إبراهيم غشام). وقد المنحى إليها تعبير بعد عام ١٩٦٤ ليتخذ صورة انطلاقة فورية تعكس إيماناً صادقاً فى إمكانية العودة. غير أن تلك الفترة قد انقضت بوقوع محارر مخيمات اللاجئين فى لبنان، والخروج من بيروت عام ١٩٨٢، كما انقضت رمزيا بتدمير مقتنيات متحف التضامن مع فلسطين، فى بداياته (أو ما به من أعمال لفنانين الإسيان أنطوى تالبيس، وحوان مير، وإلدارو شيليد، وغيرهم). ومعيداً من ذلك الفن الثورى الطابع الذى مورس بتوسيع فى دمشق وبيروت، قامت فى نفس الفترة وحتى بداية التسعينيات، ممارسات فنية فلسطينية تنامت فى المهاجر العربية والعربية حيث عكست التيارات الفنية السائدة هناك، أو أقيمت مسارات تعبيرية فريدة. ومن بين القامات الساقطة فى ساحة الفن اللبناني الحديث فى فترة ما قبل تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية كان هناك الاجتياح الفلسطيني بول جيرا جوسيان وجوليانا سيراقيم. للذات عكست أعمالهما الجريدية الرمزية والسريالية البحوث الجماعية التي أهدت من جاليوها من الفنانين. وهو ما أدى إلى خلق حداثة تشكيلية عربية.

ثمة تياران أساسيان فى مجال تجديد الفن العربى الحديث (فيما بين بداية الستينيات ونهاية الثمانينيات) قد عاودا الظهور فى إطار الفن الفلسطينى لاسيما الناشئ منه فى الستات، أولهما



تحتيه مؤسساتيه، هلعد كان واحداً من تلامذة داود ولأطيمو القدامى، ألا وهو إسماعيل شموط. كان ما يزال شاباً لاجئاً من اللد إلى غزة، حين أقام هناك معرضه الأول عام ١٩٥٣. تعرض لوحاته عن النزوح الفلسطيني. تلا ذلك معرضه الثانى بالقاهرة عام ١٩٥٧، الذى افتتحه جمال عبد الناصر، وأكثر ما ميز هدى المعرضين - شأن بقية مشواره الفننى - هو ما كان لهما من أهمية سياسية. وهو ما كان عبد الناصر، وأكثر ما ميز هدى فلسطيني مستقل، وأثر تقلد إسماعيل شموط مناصب هامة داخل منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت، تحولت لوحاته إلى صور خلية بمتحف شعبى، توسع فى نشرها المطبوعات الصادرة عن مختلف منظمات التحرير الفلسطينية، ولقد تعمد شموط أن يسير عكس التيارات الفنية السائدة لكى يصور المأساة الفلسطينية بصورة أكاديمية صرفة. وسرعان ما انتقل هذا النهج إلى أعمال الفنانين الذين تأثروا به بشكل مناسبه، ليسهم بالتأثرى مع المناخ المتماثل المتأصل الذى ساد تلك الفترة. فى إنتاج منجز هائل من أعمال فى التصوير المنجز، الأخرى بحسبالية والقيمة اشتراكية بطولية، والحافل بالإشارات والخطوط الفولكلورية.

ومن ضمن أهم فنانى تلك الفترة يذكر الرسام والناشط برهان الدين كركوتلى، والرسامين عبد الرحمن المزين وتمام الأكحل - زوجة إسماعيل شموط - السرى التمسكى مصمضى الحلاج الذى تميزت أعماله الحجرية وجدراياته جمالية ملحمة استلهمه العتاد العرسى البصرى الذى تحصل به للأساطير المصرية والكنعانية، وهناك أيضاً رسام الكاريكاتير ذا عبق، الذى ابتدع شخصية الصبي عطللة، " ذلك لولد الذى يتراءى وكأنه، جافروش، فلسطينى حزين (التمزيق)، جافروش شخصية انتدعها اللسان الفرنسي فيكتور هوغو فى رائعته «المؤساء، وهى لعبت صمبر جيسد روح الثورة ولا يتورع عن الإبتسام فى وجه الموت).

وتوافق هاتان المرحلتان المتعاقبتان مع المسار التقليدى الذى كانت ترضه الانتفاضة الوطنية، للبلدان الساعية إلى التحرر من الاستعمار آنذاك، وهو المسار الذى وصفه فرانز شانون فى كتابه «العدوى فى الأرض، عام ١٩٦١. أما تطور من الأسلوب المأساوى الشاعرى، لدراسى لاستعراض الظروف الالهية، لتسهم ثقافة تصال ذات طابع ثورى كالت نسبة للفلسطينيين، كانت

إن كان تاريخ الحداثة الفنية الغربية يتلخص في سعي إلى تجريد المفاهيم. فلقد كان الرهان الفلسطيني هو السعي إلى التحقق من خلال ممارسة الجحريه

سيد الرمح افرس



الفترة المعاصرة:

حصريا على فهم عمليات إعادة تقييم أو مقاومة التيارات الفنية الدوائية داخل مجال إقليمي محدد. أملا في اختلاق صمدات حداثة غير غربية. ولكن ذلك الإبداع لكي يتم. عليه أن يتبع نتاجا فنيا متناسرا. وأفرادا وجماعات منسرفة في غاليته. وإن كان فانوا الشتات قد قدموا أعمالا متمشيه مع محيطهم. فلقد كانت أعمال نظرائهم الذين بقوا في فلسطين أشبه ما تكون جهودا دائية الانكفاء. تتم في ظروف من الافتقار إلى الحرية. والهاشاهة الاقتصادية. تتخللها صروف التقلبات السياسية. وهكذا كانت التطورات تتم وفقا لتقواات الانقطاع وإعادة الاستداع. لا تبعا للمراكز والحاكاة. تحسوبا شواغل ثابتة من طلب اليقظة وتأكيد الحرية وعزم على المقاومة.

ومن الناحية المعكبة. إن كان تاريخ الحداثة الفنية العربية يتلخص في سعي إلى التحديد. والتخصيص. وتجريد المفاهيم. والنزعة العالمية. فلقد كان الرهان في مختلف تجارب الفن الفلسطيني الحديث - في المنفى كما تحت الاحتلال - هو السعي إلى التحقق من خلال ممارسة الحرية أو تطوير فكر جمالي وثقافي على خلفية من الحداثة الداتية.

لم يجد تماثل المرحلة الثورية منتهاه في الاستقلال. بل واجه اتفاقات السلام المؤقتة ١٩٩٣. وسرعان ما تحول الأمل إلى خيبة. ليبرز شكوك أولئك الذين ما آمنوا قط بعملية السلام- تحت وطأة فساد السلطة وسوء إدارتها. وسيب توسع الاستيطان. واستمرار الاعتقالات التعسفية. ليصل الوضع إلى ذروة من التناقض أدت لاندلاع الانتفاضة الثانية (٢٠٠٠-٢٠٠٥). وما أعقبها من عودة الاحتلال. وقصف المدن والقرى ومخيمات اللاجئين. وسقوط الآلاف من القتلى. وتدمير الآلاف من المنازل واعتقال الآلاف. وأخيرا. بناء الجدار العازل الذي يمتد - ٥٠ من المسعة الغربية التي يعانى أهلها بالفعل من شلل في الحياة اليومية يمسب تعرضهم لمئات من نقاط التفتيش. ويوسط هذه الإزاحة المجتمعية أو كادحي سائنها. وقفت مواجهات داخلية متقطعة التوتر. أدت إلى إرساء حكم حماس في غزة في يونيو ٢٠٠٧.



ولقد توافقت هذه

ولقد اهضمت الانتفاضة إلى مفاوضات السلام عام ١٩٩١ (عملية مدريد-واشنطن). فألى اتفاقات أوسلو ١٩٩٣ التي أرست سلطة وطنية للحكم الذاتي على قطع محدودة من أرض فلسطين. وشهدت انسحاب إسرائيل من بعض المناطق الحضرية. تبنيا منذند هكذا لا يقتصر إدراك الفن الفلسطيني الحديث - كما قد يكون الحال في منظومه ما بعد الكولونيالية

الحر. أم تآزى فقد كرس نقوشه على السبراميك لتصوير مشاهد والقيمة للقرية الفلسطينية. وخصوصا للمنازل المدمرة من قبل الجيش الإسرائيلي. كما أعرض سليمان منصور عن رسم قراد وفلاحاته ذوات الأجساد المعاصرة والمتماهية مع محنات القتل. ليصنع لوحات مكونة من تركيبة خاصة من الصلصال النقي المحلى. وتتميز لوحاته بتنوع في استخدام الأشياء المستعملة. أو المعاد طلائها بصبغات نباتية محلية.

فريد بلقاهيه. ومن الجزائر جماعة AOUCHEN والفنان رشيد القرشي. ومن تونس الفنان قويدر تريكى. حيث يتحول الفن إلى أداة للتحريض. هكذا سلك نبيل مناني مسلك بلقاهيه باستخدام الجلود الملونة بالحناء والأصباغ النباتية. وهجر بركات ألوانه المائية ولوحاته ذات الأشكال الغائمة والمستفافة من عالم الأحلام ليتجه إلى أعمال مركبة من كتل خشبية طبعت عليها الرسوم والرموز بواسطة تقنية

أما ريادة عدد الشباب فهي بالأحرى ظاهرة ثقافية، استبقت كثير من مجامع من الفنانين (في لقاء مجموعة من الفنانين في Parnassia Idioms Films، في رام الله، شرفة، في Ram Studio و Zano Studio، في محطه، في غزة، مجموعة شبابيك، واللقاء)، وإن كان قد مهد لها ذلك الهيكل المؤسساتي الجديد الذي ينظم العمل الثقافي، ويمنح المساعدات للفنانين في المصاحبات الأولى، ويقدم الجوائز والمسابقات إلى الخراج لشباب من الحاشية والخلائين، وتمتاز ملاحظة هذا التغيير نظرا لعدم كمال المتوفر من هيكل التعليم الفني. فمعظم الفنانين في هذا الجيل الجديد قد تلقوا مهاراتهم إما في الخارج (فنانو الشتات) أو في إسرائيل (الفنانون الفلسطينيين من ذوي الجنسية الإسرائيلية)، أو تلقوا دراسات غير نظامية مكثفة، أو دروسا، والمهارة، أو الهندسة، أو الثقافة تدربا على المنهج المعاصرة. أما الفنانون القلائل الذين حصلوا على شهاداتهم في القمم كلية محلية للفنون الجميلة - الكاندة بجامعة النجاح بنابلس - فهم متأثرون مما تقدمه من تعليم كلاسيكي، مؤداه ممارسة غير تصورية تتشحوح حول الخرسطة والرسم التصويري - التجريدي. في عام ٢٠٠٨، تم تأسيس هيكلين تعليميين متخصصين، أحدهما في بيت لحم ويعد وكأنه جديد، نفس الخط السائد في جامعة النجاح، الآخر في رام الله فهو مفتوح أمام المهامات الثقافية حديثة. بيد أن مسألة التمويل والإقامة تثار تساؤلات حول استمراريتها.

وقد أتت وسائل الإعلام، فضلا عن الخدمات الحاصلة، لمساعدة العمل للجهة

ومن هنا، راح التشكيكيون المعاصرون يتطورون داخل الدائرة المتخصصة من المعارض، الإهمارات، وعروض البيئالي. ومجال الإمارة، كما عاودا يتعاملون مع جمهور محلي غير مطلع، خلاب دباب أسلافهم، الذين الخرطوا في العمل الجماعي وشاركوا في فروع فنون مختلفة. ومن طابعه الفني التجهيزي أنه يعزز تلك الجفوة مع عامة الجمهور، لاحتياجها غالبا إلى تفسير من قبل ناقد.

هؤلاء الصانين الشكليات فلم يعد إرث
فريديمان زابا من جماعات نازي
غربية ما قبل حداثية، بل أصبح صابر
الأخرى إرثا متعلقا بنوع من الحداثة
الحسين، مستتبعا راحة في التعامل مع
النوع ونظم معياري من جميع استلزامي
وإفقا شعبية اجتهدوا العولة. كما
يضيء هذا التباين في مجال الموسيقى
أحيانا موسيقى الراب والهيب هوب
متواجدا بحماس كبير في بلاد العرب،
كما في مخيمات اللاجئين في لبنان،
في فلسطين نفسها، وفي الجيوش
الفلسطينية في إسرائيل، ونتيجة
لذلك الحال أن بلدان أخرى
منتمية لمجموعة ما الكولونيالية، أو
عربية، أو خارجة من نزاعات مسلحة، لم
تجد الممارسة الفنية كافية بل مرحلة
انتقالية للوعي اللغوي، الذي راح يأت
تفقد جمالية خالصة مجردة
أما على مستوى الموضوعات، فارت
التي هيمنت المصنوع والحلقة شبه
الإكلينكية، والضيق، وتبدد الأرواح
والجماعية في غياب الإلهام الأبدي، لعل
سبيل موضوعات سابقة للفلسطينية

وفي ميدان الدعم المردى، راح بعض المستثمرين المواطنين يقتنون الأعمال المتنية من المعارض المحلية المقامة منذ العام ١٩٨٠، ولعل من أبرزهم المحامي مازن قبط، صاحب المجموعات القيمة

تم كسر الاحتكار الذكوري لتصوير المرأة . التي كانت تستخدم في السابق كاستعارة للوطن وللشرف القومي

إسماعيل شموط - الأرض والحب



طيران، أو بيع المراتد العنينة المحتفل، لفنان خليل رياح، وكذا فيلم الفيديو الذي يصور عرضاً لأزياء الرجال عند نقاط التفتيش الإسرائيلية للضمان شريف واكد، ولوحات الهلوسة التي تصور معارك الحيوانات الرافضة فوق دراجاتها بريشة الفنان محمد فاضل، والتكوين المعنى المؤلف من سيارات مهشمة على طريق مقطوع، للنانة هيرا تماري^١، ولوحات المسح العارض لشريف واكد، وفيديو «باندييرو» للمخرجة لاريسا منصور، الذي يظهر يدا تشبه السلاح على خلفية من الجدار العازل .

تأكيد الهويات الفرعية، وبالأخص الهوية النسوية، حيث تم كسر الاحتكار الذكوري لتصوير المرأة، التي كانت تستخدم في السابق كاستعارة للوطن وللشرف القومي^٢، لتؤكد الهوية الأنثوية في أعمال غير مسبوقة تدور حول الجسد والجنس، فما هي الرسوم ولوحات السيراميك ذات الطابع شبه التناسلي، للفنانتين جومانا عبود ومنا مرقص، وكذلك الأعمال التركيبية وأفلام الفيديو القصيرة، التي تتناول الرضا الذكوري، للنانة حنا أبو حسين، وهناك أيضاً عروض الأداء الحي والصور الدائرية لرائدة سمادة، التي تدور حول القوالب الأنثوية النمطية، الاجتماعية منها واليهودية، وكذلك، الصور الفوتوغرافية التي تبين المسار الشخصي لتحرر إيناس ياسين، وعروض الفيديو والأداء الحي لخار زعبي، والتي تدور حول التدين المزجج الذي توصم به المرأة الفلسطينية داخل المجتمع الإسرائيلي، وهناك أيضاً الأثواب الطيفية أو المزقة التي تقدمها ماري توما، والصور الفوتوغرافية التي تصور عملية الولادة، للمخرجة والمصورة سهير هراج، والصور والأعمال التركيبية وعروض الأداء الحي لشروق حرب والتي تناولت فيها جرائم الشرف، وكذلك موضوعي الوضعة والسوق.

كسر المزرلة، ويظهر هذا التوجه عبر تركيبات الكمنديرا حنظل، والتي تتناول الحياة في جمهورية الدومنيكان، وكذا هي فوتوغرافيا أحلام الشيلي وريده شعث حول المناظر الطبيعية في الحاضرات الأوروبية والاسيوية والعربية، وهناك أيضاً فكرة رفض الاستئراق في عروض الأداء الحي التي تقدمها نيسة الأشقر، التعبير عن الهوية المهمشة هنال

أعمال رائد بوابية الفوتوغرافية بالأبيض والأسود، التي تصور عمالاً غير شرعيين، وفلاحين مغربيين، ونزلاء مستشفيات الأمراض

اليوم عبر وجهة النظر الفردية، ولعل أهم التوجهات الجديدة هي . المكاهة الساخرة هناك التركيبات والعروض المقدمة في متحف أو شركة

جديد، والإحسان بالسلوكية الجماعية عن محاكاة الواقع، حتى عمليه السرد الجمعي، التي يمتدعي استثمارها استثماراً حفظاً للاحتلال، بالثبوت

الثورية، والنوستالجيا الرعوية، والمبالغات الرامية لاستدراخ التعاطف، والتوجيه السياسي، والأطماع التحديشية الساعية لخلق تعبير بصري

العقلية، وجميعهم من المهمتين داخل المجتمع الفلسطيني. وهناك رسوم أطفال مخيمات اللاجئين الذين فقدوا براعتهم، المقدمة من قبل محمد جحا. وهناك صور الفوتوغرافيا وعروض الأداء الحي، التي يقوم بها طاقم الفنانين الفلسطينيين المرحّل المنتدب.

تبدد الأوهام، والعيشية، والعدمية؛ فهناك التركيب الفني الذي يمثل ثلاثة في مشرحة، وأعمال إشارة للخواف البدائية، للفنان شادي حبيب الله، وهناك أفلام الفيديو التي صورت فيها وفاء ياسين جنارات مقاماة في ساحة تلخيف، أو مشرحة تزحف على وتيرة مربعة. وهناك لوحات وتركيبات شادي زفروق التي تتجلى فيها فوضوية غرة، وأفلام الفيديو التي صور فيها أيمن الأزرق نوبات من الفزع.

السيرة الدالّية المعاصر، وتذكّر هنا أعمال الفنانين مهدي يعقوبي ويوزن خليبي من البورتريهات الذاتية والصور الشخصية للأقارب والأصدقاء، وكذلك سرديات، النشأت، بالعربية والانجليزية لجوما ماما مناع.

فضلا عن هذه التيمات الجديدة، هناك لوات النص الفلسطيني، كالتذكرة، والمنفى، والأرض، والشهداء، ولكن اليوم هجر الفنانون ما سماه كوكبير، "الانفوج" المبتذل للأشباح المهيبة"، وصاروا يصورون التواتات الفنية عبر منظار الفردانية أو على العكس صاروا يمحونها تحت وطأة الواقع بما فيه من عبث ويؤس.

صار التعامل مع ذكرى الأشخاص والأماكن يتم بلا حين للمعاضى، فهناك التوشيح بالمصور الفوتوغرافية، وبيات التركيبات الفرافية مع استخدام اللخامات المحلية كالصبار، والخضر، والتوابل، في أعمالها بد نشارة، وهناك الفردانية حول الفن الفلسطيني، المدمرة، من خلال الصور الفوتوغرافية، وسرور الألام الحسى، وأعمال السيراميك، وأفلام الفيديو، التي قدّمها حنا فرح"، ووالدة أدور، وعرفت عيسى وهناك أيضا صور وتوثقات الفنانة إيمان أبو حميد التي تناولت فيها ذكريات طموهنا وفوتوغرافيا ستيف ساميلا وتذكياته حول مدينة القدس كما خبرها في طموهنا.

ولقد شهد موضوع المنفى تحولا، فلقد تمكن بعض الفنانين من العودة بعد ١٩٩٣، ولكن بالنسبة لآخرين، أصبح المنفى تسديا وعمرصيا، إذ صار من الممكن باستخدام جواز سفر غريسي زيارة فلسطين كما السائح، فضلا عن الإقامة بها لعدة أسابيع، ولكن كقل من غير

الذي تطور من مرحلة رسم المناظر الطبيعية المرفقة في المثالية في عقدي السبعينيات والثمانينيات، إلى مرحلة لوحات الصلصال التي فيها بعد ١٩٨٧، فهو يمدد حاليا منحوتات باستخدام الطين اليابس، والمناضب، والمتشقق، والمقبض، وأيضا باستخدام الصفيح الصدئ. أما الفنان التشكيلي، فهن جيسن هذه الحقيقة بصورة أشد قوة وأكثر جلاء. فمن خلال ملاحظة أعمالهن في مجالات الفيديو، والكولاج، والتركيبات، والتصوير الفوتوغرافي، يتضح مبلغ خلوهن من أي ملصح رومانسي؛ شأن أعمال كل من أحلام الشبلي، ورولا حلواني، ودانا عريقات، وإيرين انستار، وروزا لاند النشاشيبي، وسيميرة بدران، وتليلى الشوا، وساندى هلال.



وبالمثل، صار تناول موضوع الشهداء يتم بهدف التركيز على إصمانياتهم العادية هم وذويهم، مثل ما قام به نويل جبوري في أعماله الفوتوغرافية؛ أو قد يكون التناول لتقدير فعل حياتهم، كما في أعمال أشرف فاهري التركيبية. وقد يأتي التناول بدحابة كترامهم بصورة رهيبة مثلما تم من خلال معرض، مائة شهيد، مائة حياة"، أو يأتي بغية إبرار عيشية قدّمهم كما تبدي عبر مصصات بشأن الحروب وإسهامه الحضري. وبصورة التفرغ لأعمال الصنف عبر تصوير الدقة النمسي الشخص كما في لوحات الرسام هاني زروبى التعبيرية. وبالطبع، يحمل كل تصنيف دلالاته، كما أن العديد من الفنانين قد جمعا في ممارساتهم ما بين أكثر من موضوع، وأكثر من مقاربة، وأكثر من استراتيجة.



خاض الفن الفلسطيني عمليات الاستكشاف الفكرية

ما بعد الكولونيالية العربية، ليسفر عن حداثة تتجاوز الأشكال الغربية بالتألف مع الجماليات المحلية



كما هو الحال على سبيل المثال، بالنسبة لثنتين من أهم فنانين هذه المرحلة المعاصرة، وهما منى حاطوم وإيميلي جاسر. ولما كانتا قسّمتان إلى جيلين مختلفين، فصارهما إلهامان جيدا تطور الفن الفلسطيني المعاصر، من اتخاذه وجهها أكثر شوبوية وتسوية، وامتناله لحركة الذهاب والإياب المتكررة ما بين المنفى وفلسطين بصمتها تيمة شبه ثابتة، والممارسة التجريدية عبر الوسائط المتعددة من تركيبات فراغية، وأداء حي، ونصوص وأفلام فيديو، والإعراض عن الرومانسية، والنزعة الصليبية، والإرشاد السياسي أو التوجيه الثقافي الحداثي، من أجل التحول إلى ممارسة فنية ذاتية، وأخيرا، تشهير ما حصلت عليه كلتا الفنانتين من جوائز وإمكانيات إلى تلك النظرة الجديدة التي صارت توجه للفن الفلسطيني (فبالنسبة لحاطوم يذكر ترشحها لجائزة ترنس، وفوزها بجائزة سونج، إلى جانب عرض أعمالها في صالات ثيت، ومركز بومبيديو، وبينالي فينيسيا، وعرض ديوكومونا، السنوي، فضلا عن تواجدها ضمن فنانين جاكسون، وايت كوبيو، الشهير، إلخ. أما إيميلي جاسر، فيذكر عرض أعمالها وحدها في فنانة فينيسيا، وترشحها لجائزة هوجو بوس-جوجنهاي، إلخ. الأمر الذي يعن عن اجتياز الفنانين الفلسطينيين لصحراء العزلة

هذا وقد تطورت حاطوم من مرحلة عروض الأداء الحي، التي كان يقدم فيها جسدها العاري والمجرد من جنسائته، مجازا مرسلان من فلسطين المقسمة، والمجرّفة، والمعاصرة، لتتجه نحو اشتغال مباشر بفلسطين، قامت به في القدس، حيث استخدمت الصابون النابلسي التقليدي كناية عن الأرض المجزأة لتعبر أثر المصائب أسلول. أغضب ذلك تطور الفنانة نحو كسر المألوف فيما يتعلق بالأشياء اليومية والأدوات المنزلية، بجعلها استعارات عن البيت المفقود والوطن المحتل؛ يصحب ذلك اشتغال الفنانة المستمر على خرافات العالم، بتشكيلها بواسطة الورق، أو بواسطة كرات الزجاج ومصابيح الفلوريسنت المتوهجة، للدلالة على هشاشة كوكبنا، وضف الحدود، واستمرار النزاعات، وعلى الرغم من كون أدوار سبيد قد رأى أن حاطوم تجسد بقوة التجربة الفلسطينية"، فإن أعمالها لا تتبقي جميعها مباشرة من اللصود، بل ترجع بالأحرى إلى حالة الإنسان المنفى، المقتلع من مجوره، المقتدر إلى الراحة في بيئته الجديدة. وإن كانت أعمال حاطوم توصّل

كتاب الزاوية



من يتحدث باسم الإسلام؟ قالوا عن هذا الكتاب

«بينما يتزايد الانفلات من الانضباط في عالمنا، مع المزيد من العنف وسوء التفاهم بين الغرب والعالم الإسلامي، فإن كتاب: من يتحدث باسم الإسلام؟ يتجاوز الجدل المتعارض لدى السياسيين والفنّاء، ويقدم صوت المسلمين في كل مكان. وهو غالباً ما يتعرض للإسكات».

«ديباك شوبرا، (Deepak Chopra)
مؤلف كتاب: السلام هو السبيل

«إن البيانات المقدمة في هذا الكتاب لا تستدعي الانبهار فحسب، ولكنها لا غنى عنها ويُنْبَغ أن تكون قراءة كتاب: «من يتحدث باسم الإسلام؟» واجبة على صنّاع السياسة والصّحفيين ورجال الإذاعة والمدرسين والطلاب والدارسين».

«كارين أرمسترونغ، (Karen Armstrong)
مؤلفة كتاب: تاريخ الله

«هذا الكتاب النافذ المثير عند أول وهلة حافل بنظرات عميقة قيمة في أفكار المسلمين حول الدين والديمقراطية وحقوق النساء والتطرف وعلاقات المسلمين بالغرب وهو كتاب واجب القراءة على النقاد وصناع السياسة والمتخصصين وغير المتخصصين من الأمريكيين أو المسلمين».

«والي نصر
مؤلف كتاب: صوحة الشيعة، كيف تؤدي المصراعات في داخل الإسلام إلى تشكيل المستقبل؟

«الكتاب هو «من يتحدث باسم الإسلام» وتصدر ترجمته قريباً عن «دار الشروق» ويحمل غلافه اسمي مهمين: أحدهما جون أسمويثو الأكاديمي الأمريكي المتخصص في العقائد الدينية، والثاني دانيال محامد التي انصمت إلى قائمة مستشاري الرئيس أوباما وهي أمريكية من أصل مصري

Hagar Contemporary Palestinian Art Tel Aviv, Hagar Association 2006
- Sama A Halaby. Liberation Art of Palestine New York H T T B Publications 2001
- T Ben Zvi & Y. Lehrer, Eds Self Portrait Palestinian Women's Art. Tel Aviv, Andalus 2001
إسماعيل شموط الطن التشكيلي في فلسطين.

الكويت، القسم، ١٩٨٩
٢- الفن الفلسطيني، ١٩٨٥-٢٠٠٥، لندن دار
الساق، ٢٠٠٩

استحضار المكان، تونس، الكسو، ٢٠٠٠.
Artistes palestiniens Contemporains. - ١٩٩٧ Paris, Institut du Monde Arabe
٣- لفحات معاصرة رام الله مؤسسة قطان، ٢٠٠٥.
٤- الفن والتمثيل، عمل، دائرة الفنون /المجلس
العربية للدراسات والفنون، ٢٠٠٠

9- Gonzalo Fernández & José Antonio Sanchez. Palestina: Tierra, exilio, creación
- Fundacion Antonio Perez & Diputacion de Cuenca, 2006
- Station Museum. Made in Palestine Houston, Ineri Pub. 2003

- Ulf Thomas Moberg: Palestinian Art Uppsala, Almqvist & Wiksell 1998
٥- الجاه الفلسطيني، يتألى فينيسيا، ٢٠٠٩
٦- مسارات، طليخا، ٢٠٠٨، معطلة غير أهلة
٧- بيشرة، أكاديمية دو فرينج، أهلي، ٢٠٠٨

فلسطين الحياة يمتهن البساطة، يوم ميزان،
مارس، ٢٠٠٨، عصر صائر، ميزون دي ميثاق
٨- مارس، ٢٠٠٨، هذا اليوم، تيت بريغاني لنهر،
٩- فلسطين الأرض، الفن، الإبداع، كونيكا،
١٠- صنع في فلسطين، الولايات المتحدة
١١- ٢٠٠٣-٢٠٠٤، جاليسري Konstadtemien
Fredsagan، Vastru Gallenert، ستوكهولم،
١٩٩٨، «ربيع فلسطين»، فرنسا، ١٩٩٩

١٢- Culture and Imperialism, New York, A. Knopf. 1993
١٣- شخصية صبا شجاع يدور ظهوره للمتلقي،
http://www.najwala.com

8- San Hanafi & Linda Tabar. The Emergence of a Palestinian Globalized Elite. Ramallah, Muwatin 2005
9- Edward W. Said: After the Last Sky New York, Columbia University Press, 1986

10- Y. Tamari: Going for a Ride? In: Palestine. Rien ne nous manque ici. Op. cit.

11- Tina Sherwell: Imaging Palestine as the Motherland. In: Self Portrait Palestinian Women's Art. T Ben Zvi & Y. Lehrer, Eds. Andalus 2001.
12- Milan Kundera. Die Welt Literatur The New Yorker. 8 Janv. 2007.

13- Jean Pierre Perrin: Israël. Ici, le clocher sans village. Libération. 13 06 2008
14- http://www.nghttoenter ps
15- The Sky over Gaza. In, Palestine Rien ne nous manque ici. Op. cit.

16- A. Luid-Hanich/Isabel de la Cruz: 100 Shahids-100 Vies. In. Palestine. Rien ne nous manque ici. Op. cit.
١٧- منى حاطور، معرض: العالم بأسره أرض غريبة، لندن، ليت جاليري، ٢٠٠٩.

للمتلقي إحساساً قوياً بالصيق وعدم الراحة، فإن أعمال ايمل جاسر تغريه بالمشاركة المباشرة عن طريق الشعور بالتألم معها. فإن كانت أعمالها الأولى قد تناولت قيمات المعنى ومرآة الغياب، فلقد صارت فلسطين موضوعها الأثير منذ عودتها الأولى إلى الوطن. لكن خيط الوصل هاهنا قد تمثل دوماً في اعتماد إستراتيجية التجربة الذاتية والحميمية، إما تلك الخاصة بجاسر نفسها، أو بوجود فلسطينية معينة يمكن لشعور بالتألم معها بهدف خلق مواجهة محركة للتألم مع التجارب المعاشة التي تلخص مشاهد يعيرون في مجتمعات حرة ومرفهة.

خاتمة:

بدءاً من المتحقق عبر إفتاح المعنى، إلى الانقسام عما وراء المعنى، خاص الفن الفلسطيني عمليات الاستكشاف الفكرية ما بعد الكولونيالية العربية. ليسفر عن جدالة تتجاوز الأشكال الغربية مالتف مع الجماليات المحلية، ومقاومة الاستلاب والاحتلال، وإلهام الجماهير وحشدنا. الأمر الذي أعاد التمرکز حول الذات من أجل مخاطبة العالم.

ولقد أفصى النظم التحديثي الأول عن أعمال تجريبية جمالية متوقفة: فكان الإعراض عن الديني لصالح الدنيوي في لوحات خليل حبيب، وتجلي الفن الإسلامي الجديد عند جمال بدران، ولوحات الألوان المائية ذات الطابع التأثيري الحالم الجديد عند صوفي حبيب، وأعمال التجريد وفنون الخط الهندسية لكمال بلاطة، وجداريات الحلاج الأسطورية، وتجريدات شومان، وتعبيرية نواش، وإسكاتات منصور وتمازي وبركات وعشاني.

ولقد كان نشأ المعرفة ما بعد الحداثية الجديدة أن تم هجر تلك المطامع الجمالية الجماعية، لتتجه محاولات الجديد صوب اليات تحقيق التفرد ومحاورة المتلقي، في إطار عملية ديناميكية متصاعدة الوتيرة ومنقطعة النظير. ■

هوامش:

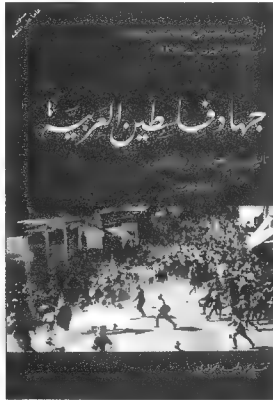
1- Reem Fadda, Ed. Arte en Palestina: Artistas palestinas. Jérusalem, Al Hoash. 2007
- Gamit Ankon. Palestinian Art Londres. Reaktion Books, 2006
- Tal Ben Zvi, Ed.



إعادة قراءة

فلسطين ١٩٣٦

وليد الخالدي



باستثناء صفحاته العاطفية الأولى، مؤلف رصين موقف، يجمع بين السرد والتحليل ويعتمد على وثائق أولية دبلوماسية، وبيانات سياسية رسمية، وتقارير لجان بريطانية ملكية هنية، اعتماده على إحصائيات حكومية، ومصادر أجنبية صهيونية وغير صهيونية، بحيث عكس الخلفية القانونية للمؤلفين إبراهيم نجم وأميس عقل، وإلماسها الميداني المباشر بممارسات الحكومة البريطانية.

وتشير ظروف تأليف الكتاب إشارة لاهثة إلى موقع لبنان في عالم النشر العربي في أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين، وإلى العلاقة الحميمة بين العاملين في الحقل الوطني في البلدين، وإلى حرص أبناء فلسطين الشديد على تعريف سائر الوطن العربي بمعاناة بلدهم خلال الثورة عبر وسائل النشر والإعلام اللبنانية، ذلك بأنه في أوائل صيف سنة ١٩٣٦، وبعد مرور ثلاثة أشهر ونيف على قيام الثورة الفلسطينية الكبرى، التفت عصبة من الشباب الوطني الفلسطيني الصحفى والأديب اللبناني عمر عبد الكريم أبو النصر في بلدة بجمدون في لبنان (وكان هذا قد دافع صيته واشتهر بكتاماته التاريخية عن الرسول العربي والخلفاء الراشدين وخالد بن الوليد ومعالية بن أبي سفيان وغيرهم)، وكان بين أعضاء هذه العصبة السادة رشاد بيبي وأحمد الشيع على من يافأ وحلمى حنون من طولكرم، فطرق الحديث إلى ضرورة إنشاء كتاب يعرض للقضية منذ نشأتها حتى الثورة الحاضرة، وطلب الشباب إلى أبو النصر أن يقوم هو بتأليف الكتاب فاعتذر بأن «الموضوع قريب عنه»، واتفق الجميع على دعوة الحاميس الفلسطيني الأستاذان أمين موسى عقل وإبراهيم رازم محمود نجم من يافأ للقيام بالعمل، على أن يعاوضهما أبو النصر في ذلك، وقدم الأستاذان عقل ونجم إلى بيروت، حيث صار تأليف الكتاب وطبيعته في أقل من شهر، وكان تاريخ الانتهاء من تأليفه يوم الأربعاء الواقع ١٦ أغسطس ١٩٣٦ «في اليوم السادس عشر بعد الألة من تصال فلسطين العربية، أي من اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى في أبريل ١٩٣٦». وتولى عمر أبو النصر الإشراف على طباعة الكتاب، وتكفل أحمد الشيع على بكامل تكلفتها، وبلغ

■ ضم برنامجهما النشرى الخاص بمناسبة الذكرى السنوية لتكبة ١٩١٨. تعيد مؤسسة الدراسات الفلسطينية نشر كتاب «جهاد فلسطين العربية»، الصادر في بيروت سنة ١٩٣٦. هذا الكتاب يعالج التطورات في الساحة الفلسطينية في العشرة التي امتدت من نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ لغاية أوسط المرحلة الأولى من الثورة الفلسطينية الكبرى ضد بريطانيا، التي اندلعت في أبريل ١٩٣٦ ولم تخبث حتى أواخر سنة ١٩٣٩.

وسبب اختيار المؤسسة هذا الكتاب بالذات كونه أول محاولة جدية بالعربية لشرح القضية الفلسطينية بعد صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧. وبعد اضطلاح بريطانيا بمهمة تقييد من خلال صدق الانتداب الصادر سنة ١٩٢٢ عن عصبة الأمم (League of Nations) في جنيف، والذي كان بمثابة ورقة التين التقمصية لـ «الشريعة الدولية، لتحقيق حلم الصهيونية في إنشاء الدولة اليهودية على التراب العربي في فلسطين.

وكان سبق صدور «جهاد فلسطين العربية»، عدة مؤلفات بالعربية أهمها «الصهيونية، لتجيب نصار» (حيفا ١٩١١)، «فلسطين وتجدد حياتها»، تحرير حنا صلاح (ليبيروت ١٩١٩)، «الأرض المقدسة والصهيونية، لبولص عبود (بيافأ ١٩٢٠)، «فلسطين بعد الحرب الكبرى، لخليل السكاكيني (القدس ١٩٢٥)، تحليل وعد بلفور، لحمد يونس الحسيني (القدس ١٩٢٩)، المال والسعار، لحمد عزة دروزة (نايلس ١٩٣٤)، وتناول هذا الكتاب الأخير مختلف أساليب الصهيونية للاستيلاء على الأراضي العربية، ويلاحظ أن ليس بين هذه المؤلفات جميعاً كتاب يعطى الصورة التي يعالجها كتابنا، «جهد

فلسطين العربية»، بل بعضها يقتصر في مضمونه على نواح معينة من القضية فحسب.

وسد بعد «جهد فلسطين العربية»، خلال سنة ١٩٣٦ كتابان بالإنجليزية لمؤلفين فلسطينيين هما وديع البستاني: «The Palestine Mandate Invalid and Impracticable» (Berrut, 1936) وتوفيق كنعان «Conflict in the Land of Peace» (Jerusalem, 1936)، ودراسة قانونية لحسن مدققي الدجاني، تفسير ظلمات فلسطين، (القدس ١٩٣٦). كما صدر في السنة التالية (١٩٣٧) ثلاثة كتب لمؤلفين فلسطينيين دفعة واحدة هي: «فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية،

لميسى المسفرى في جزئين (يافأ ١٩٣٧)، «القضية الفلسطينية، تحليل ونقد، ليوسف هيكل (بيافأ ١٩٣٧)، «ثورة فلسطين عام ١٩٣٦، للجامعة الإسلامية (يافأ ١٩٣٧)، وكذلك صدر في هذه السنة أيضاً وبالإنجليزية للسيدة متيل مغنم: «The Arab Woman and the Palestine Problem» (London Herbert Joseph, 1937).

وهكذا يبقى فهد السبق في الكتابة بالعربية عن الانتداب البريطاني والمقاومة الفلسطينية لكتاب «جهد فلسطين العربية، الذي اخترعته. بيد أن اختيارنا هذا لم يستند إلى اعتبار السبق الزمني فحسب فالكتاب في صلبه،

ستون عاماً من التكبة
جهد فلسطين العربية
أول كتاب بالعربية عن فترة الانتداب
البريطاني وبداية الثورة الكبرى سنة
١٩٣٦
إبراهيم نجم وأميس عقل وعمر
أبو النصر
بيروت: مؤسسة الدراسات
الفلسطينية، ٢٠٠٩، ٢٩١ صفحة

كتاب الزاوية



من يتحدث باسم الإسلام؟ من هم المسلمون؟

بينما يتحدث الناس عادة عن الإسلام والمسلمين في تهميرات شاملة فضفاضة، فإن هناك تفسيرات عديدة للإسلام، ومسلمين كثيرين مختلفين، يتعذر المسلمون من قوميات مختلفة، وجماعات عرقية وقبيلية وثقافية، كما يتحدثون لثلاث عديدة، ويمارسون عادات متميزة، ويميل أغلب المسلمين في العالم في آسيا وأفريقيا؛ لا في العالم العربي، وتبلغ نسبة العرب المسلمين نحو واحد من خمسة في العالم، كما توجد أغلب المجتمعات الإسلامية في إندونيسيا وبنغلاديش وباكستان والهند ونيجييريا، أكثر مما توجد في العربية السعودية أو مصر أو إيران.

يعيش ملايين من المسلمين في أوروبا وكندا؛ حيث يمثلون الديانة الثانية والثالثة العظيمين (ويمثل الإسلام الديانة الثانية، المسلمين في أوروبا، وكندا والديانة الثالثة العظيمى في الولايات المتحدة). ونظرا للديانة والهجرة، فإن المدن الرئيسية اليوم لا تقتصر على ما توحى أسماؤها بالأمكان الخارجية مثل القاهرة ومدني وسفاد ومكة وإسلام آباد وكوالالمبور، وإنما تشمل لندن وباريس ومرسيليا وبروكسل ونيويورك وديترويت ولوس أنجليس.

هناك صود وخقائق متعددة عن الإسلام والمسلمين من النواحي الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

يعيش ١.٣ مليار مسلم في سبع وخمسين دولة، مع سببة كبيرة أو أغلبية من السكان المسلمين في أوروبا وأمريكا الشمالية وسائر أنحاء العالم، ولا توجد المجتمعات الإسلامية الكبرى اليوم في دكاكر والخرطوم والقاهرة ومدني والرياض وطهران وإسلام آباد وكوالالمبور فحسب، ولكنها توجد أيضا في لندن وباريس وروما وبرلين ونيويورك وواشنطن العاصمة، لا يتحدث المسلمون اللغة العربية فقط، ولكنهم يتحدثون كذلك اللغات الفارسية والتركية والأردية والسواحلية والهاسية والإندونيسية والصينية، كما يتحدثون الإنجليزية والفرنسية والألمانية والمانمركية والإسبانية.

كذلك يختلف لباس النساء المسلمات والفرص التعليمية والمهنية لهن وإسهاماتهن في المجتمع إلى حد بالغ جدا أيضا؛ إذ لا تستطيع النساء قيادة السيارات في بعض المجتمعات الإسلامية، وهن معرولات في المناطق الجنوبية، لكن النساء في كثير من المناطق الأخرى في العالم الإسلامي يقدن السيارات، ويركبن الدراجات النارية، بل يقدن الطائرات.

يكون قد تم تأليف كتاب "جهاد فلسطين العربي" وطبعته وسط هذه الأحداث الجسام وقبل إنعاز اللجنة العربية لنداء الملوك نحو ثلاثة أشهر. أما بالنسبة إلى مؤلفي الكتاب الرئيسيين: فإن الأستاذ أمين موسى عقل ولد في القدس سنة ١٩٠٢، ونال شهادة المحاماة من كلية الحقوق فيها، وعمل رئيساً لمحكمة يافا البلدية، وكان يمارس المحاماة في يافا سنة ١٩٣٦ عند اشتراكه في تأليف الكتاب، وكان عقل وثيق الصلة بالحاج أمين الحسيني، واعتقلته سلطات الانتداب البريطاني خلال المرحلة الثانية من الثورة (١٩٣٧، ١٩٣٨)، وانتخب لاحقا رئيساً للجنة يافا القومية (١٩٤٧، ١٩٤٨)، ثم عضواً في المجلس الوطني الأول الذي عقد في غزة سنة ١٩٤٩، واختير وزيراً في حكومة عموم فلسطين التي أعلن قيامها في السنة ذاتها، وتولى منصب مدير المندلة السياسية في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في القاهرة، وتوفي في لندن سنة ١٩٧٠ وظن في القاهرة.

أما إبراهيم نجم فقد ولد في القدس سنة ١٨٩٥، وتلقى العلوم الابتدائية والثانوية فيها، ثم التحق بالدراسة العربية في استنبول وقصر منها برتبة ملازم، وخدم في الجيش العثماني طوال مدة الحرب العالمية الأولى، وبعد الاحتلال البريطاني لفلسطين نال شهادة المحاماة من كلية الحقوق في القدس، وأثناء مكتباً خاصاً له في يافا، ونشط في الحقل الوطني، وكان من مؤسسي الجمعية الإسلامية المسيحية وعضواً في لجنة صندوق الأمة، ومن مؤسسي النادي الرياضي الإسلامي، ويؤسفاً أننا لم نتمكن من التحقق من سيرته بعد التكية.

أخيراً وليس آخراً، فإن عمر عبد الكريم أبو النصر ولد في ميناء حصن بيروت سنة ١٨٨٨، وتلقى علومه الابتدائية في كتاب أبي الكائن أمام المسجد العمري الكبير، وعمل منذ شبابه في الصحافة، والتحق بجماعة "المقطع"، وصحبه (السياسة، في القاهرة محرراً، وساهم في تأسيس جريدة "الجامعة السورية" في دمشق، وانضم إلى جريدة "العهد الجديد" في بيروت، وترك بعد مساهمته الخيرة في الإعداد لطباعة كتاب "جهاد فلسطين العربية"، كما صممها من المؤلفات التاريخية والمسيحية والأدبية، وتوفي في بيروت سنة ١٩٦٠.

كتاب "جهاد فلسطين العربية، الذي بين أيدينا يتضمن ملحق صور بدلاً من الصور التي كان الكتاب الأصلي يتضمنها، والتي شوهدا عامل الزمن. ■

عدد النسخ المطبوعة ٤٠٠٠ نسخة (وهو رقم لاقت حتى مقاييس إيماناً) وتقرر أن يرصد ربع الكتاب لـ مكتوبي الثورة، بإشراف لجنة من المحامين العرب في يافا، وخُتمت كل نسخة بختم اللجنة. واعتمد السيد أحمد الشيخ على الإشراف على جمع التبرعات، وأرسلت نسخ من الكتاب إلى الصحف الرئيسية في المواسم العربية لتتريظله، مساعدة لجهاد فلسطين.

ويلاحظ من مراجعة قائمة محتويات الكتاب أنه يتألف عملياً من ثلاثة أبواب: أولها تمهيد تاريخي عن الفترة السابقة لإقرار نظام الانتداب البريطاني على فلسطين (الأقسام ٨-٢)، وثانيها عرض لنظام الانتداب ذاته ولعلازماته الإدارية والمالية والفنانونية (الأقسام ٩-١٨)، وثالثها سرد لوقائع المقاومة للحكم البريطاني منذ نشأته، مع التركيز على الثورة الكبرى منذ انطلاقها في أبريل ١٩٣٦ ولغاية تاريخ الانتهاء من تأليف الكتاب في أغسطس ١٩٣٦ (الأقسام ١٩-٢٤)، أي قبل وصول المرحلة الأولى من الثورة لثلاثة أشهر.

وتوضيحا للإشارة إلى المرحلة الأولى من الثورة نقول إن الثورة انقسمت إلى مرحلتين اثنتين، أوألهما المرحلة التي امتدت من تاريخ اندلاعها المائل الفكر لغاية ١١ أكتوبر ١٩٣٦ عندما استجابت اللجنة العربية العليا (أعلى هيئة سياسية في البلاد)، برئاسة الحاج أمين الحسيني، لنداء ملوك وأراء العرب (اليمن والعراق والسعودية وشرق الأردن) بوقف الإضراب العام وأعمال المقاومة مهدداً لوصول لجنة بريطانية ملكية (Royal Palestine Commission)، برئاسة اللورد بيل (Peel)، إلى القدس لتقصي أسباب اندلاع الثورة. وقد وصلت اللجنة فعلاً في ١١ نوفمبر ١٩٣٦ وبقيت في البلاد لغاية نهاية ١٩٣٧، واستعمت خلال إقامتها إلى هياتين مثيلتين للإدارة البريطانية المحلية وللقضايا السياسية الفلسطينية واليهودية، وأصدرت في يوليو ١٩٣٧ تقريرها الأسود الذي أوصى بتقسيم البلاد إلى دولة يهودية وكيان فلسطيني عربي يضم إلى شرق الأردن، على أن يسيتم الإجراء القسري (Compulsory Transfer) لثلاث الألاف من الفلسطينيين عن الدولة اليهودية المقترحة. وما إن صدر هذا التقرير حتى انصهرت الثورة ثانية حشفاً وغضباً، وتاجبت واتسع نطاقها المسلح ولم تخمد إلا في أواخر سنة ١٩٣٩ تحت وطأة الضربات العسكرية البريطانية الوحشية المتراكمة التي ألزمت الجيش البريطاني بالشعب الفلسطيني ومناضليه، وهكذا

جوزيف مسعد بعد إدوارد سعيد

الاشتهاء .. عربيا

سامية محرز

والهويات الجنسية في النصوص العربية المدونة في القرون الوسطى ويوضح كيف أنها تتكشف وتكشف عن مدى كون التصورات العربية الحديثة عن الذات العربي في نتائج الكولونيالية والأمبريالية الثقافية.

لا يقدم مسعد في مجمل الكتاب حجة لتأييد المحلية القومية غير الغربية، ولا لتأييد وجهة النظر القائلة بوجود ماضٍ سعيد خالٍ من اليأس والاضطهاد يسبق العنف المعرفي والأخلاقي والسياسي الذي تمت ممارسته على غير العربيين. بل بالأحرى تتجه نيته إلى الاعتراض على المحلية القومية الغربية المدممة بالحجاسة الروسية التي تصر على إغرام الناس على الحرية، أو محلية قومية غربية تعتبر دمج العالم في سويتها على أنه التحضر والتقدم بداته، وخطة نحو تجميع ما تعتقد أنه مفهومها «الأسوي» للإنسان (صفحة ٤٢).

وكمثال على هذه الممارسات المهيمنة، يظهر مسعد الانشغال الحديث بشخصية الماخن في الأدب العربي الكلاسيكي. فيحاول الخمسينيات قام مؤرخو الثقافة العربية كرهة فعل على التصويرات الاستشراقية للهويات والممارسات الجنسية العربية بتحويل الماخن إلى شخصية مرضية منحرفة، ومن ثم تم تحويله مؤخرًا إلى «المثلي».

وأصبح المثلي فيما بعد الثمانيات يشكل «قلقاً رئيسياً شعبياً وسياسياً» عند الإسلاميين ومنذ الفشتات والجماعات العربية التي تنادي بتعميم هوية المثلية الجنسية على المستوى العالمي على حد سواء. وكنتيجة لذلك وعلى نحو متزايد أصبح المثلي يشكل قلقاً بالنسبة للدولة وأدائها القومية والإنجابية، (صفحة ٤١٦)

وكي يكشف كيفية حدوث هذه التحولات والتي أدت إلى الوصف الاستشراقي للهويات العرب الجنسية وشهواتهم المثلية أدرج مسعد لنفسه ثلاث مهمات.

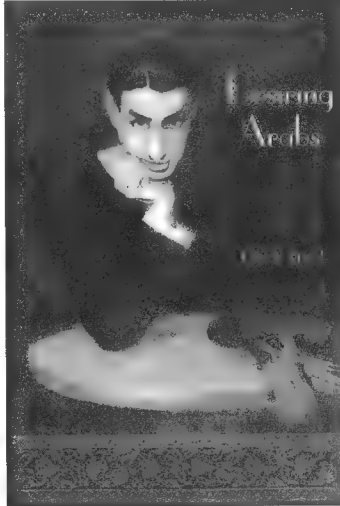
(١) تنظييم أرشيف حديث من الكتابات العربية الحديثة عن الجنس والشهوة مؤلف من الأعمال المكتوبة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

■ ■ ■ اشتها العرب، للكاتب جوزيف مسعد، ذلك المشروع المتميز الذي يفاخر في منطقة مجهولة هو بمثابة تكملة لكتاب «الاستشراق» لإدوارد سعيد ولأعمال ميشيل فوكو حول الجنسية

فيبينما يركز مشروع سعيد على إنشاح المعرفة في أوروبا عن العرب والمسلمين أثناء القرن التاسع عشر، والروابط المعقدة لهذا المشروع الاستعماري والمسؤولية المباشرة لتكوين ذات «الشرقي»، يسعى «اشتها العرب» بشكل آخر إلى سد الفجوة في الدراسات الأكاديمية التي حلت التصوير الاستشراقي موضعاً تأثير الاستشراق، والنعرة العرقية، حسنة النية، في خطاب الدفاع عن حقوق الإنسان، (صفحة ٤١٨)، على تشكيل إدراك العرب أنفسهم لذواتهم ولبعضهم البعض منذ نهضتهم في القرن التاسع عشر (صفحة ٤٨)، وعلى نفس القدر من الأهمية، فإن اشتها العرب يجيب على إغفال الدور الذي أداه المشروع الاستعماري في التصورات حول الجنسية والشهوة في كتاب فوكو المهم والرئيسي تاريخ الجنسية.

يختبر كتاب مسعد «اشتها العرب» رحلة فكرية جريئة تؤرخ لكيفية تطور الكتابة التاريخية العربية الحديثة والمعاصرة بمقدار كبير غير التبرؤ ليس فقط من عشق الرجال للرجال فحسب ولكن أيضاً من كل الرغبات الجنسية التي يتم تعريضها على أنها جزء من ماضي العرب والتي تشجبها أوروبا الآن وأحياناً أخرى تناصرها. (صفحة ١)

وكما يبين عنوان الكتاب، فإن مشروع مسعد الطموح يفتح طريقين متوازيين. فهو يصف كيف أن الخطاب الثقافي الاستعماري المهيمن على العرب شكل تصوراتهم حول أنفسهم في الإنتاج الفكري المحلي الحديث، وفي نفس الوقت يلفت الانتباه للممارسات



Desiring Arabs, by Joseph A. Massad, University of Chicago Press, Chicago, 2007, 453 pp., £18.00 (hardback), ISBN 978 0 226 50958 7



عالية تسمح بتطور متزامن لبحثه بعيد المدى
ممكن أساليب التحليلية من القيام
بحفريات في مجالات وتخصصات
متعددة تكمن مسألة الثقافة.
اختراعها وإنتاجها وفهمها في عهد
الاستعمار وبعد الاستعمار في الشرق
الأوسط. وشأن أعمال مسعد
الأخرى، يتحرى «اشتهاء العرب»،
الفضاء الخطابى والمساكن التى من
خلاله تُخترع الثقافة تحت كل من
الحكم الاستعماري. من خلال

الممارسات الاستعمارية التى حاولت
تشير، الاختلافات العربية والدينية.
وكذلك من خلال السياسة الثقافية
لبول الاستقلال ما بعد الاستعمارية
في جهودها لتوحيد الأمة والهوية
والانتماء القومى. وفى حدود هذا
الإطار، يوجه بحث مسعد الجدير
نفسه ويتناول مع عدة تخصصات مثل
الدراسات الشرق أوسطية، التاريخ
المصري. الدراسات الثقافية. دراسات
ما بعد الاستعمار ودراسات النوع
الجنسى. إن المشروع الأرشيفي
الضخم في «اشتهاء العرب»، يؤكد قدرة
مسعد اللافتة في تقوية أسلوب
البحث عبر تحويله إلى بناوات عابرة
للتخصص وأصلية لأقارب مجالات
وتخصصات مختلفة من الدراسات
الأدبية

هذه الكتاب إذن هو مساهمة
رئيسية في الكتابات الأكاديمية في
تخصصات عدة منها دراسات الشرق
الأوسط. الدراسات من الجنسانية
والنسوية. وتاريخ العرب السياسي
والدراسات الإستراتيجية. كما سيكون له
تأثير ملموس على دراسات الأدب
العربي الحديث أيضا. ولذلك لم تكن
مفاجأة أن حاز «اشتهاء العرب»، جائزة
ليونيل تريلينج للكتاب عام ٢٠٠٨. وهي
جائزة مرموقة تقدمها جامعة
كولومبيا. ويشير منح الكتاب هذه
الجائزة التي تكرم دكتور الأكاديمي
والنقث ليونيل تريلينج إلى الإقرار
بدور مسعد الموارى كمثقف يخطب
قاعدة واسعة خارج الأكاديمية من جهة
وعلى أن إنتاجه الأكاديمي يظهر نفس
المستويات المتميزة التي عرفت عن
أعمال تريلينج. ٣

الإنتاج الثقافي العربي من قبل رموز
فكرية عربية بارزة مثل رفاعة
طلهطاوى. جرجي زيدان. قاسم أمين،
طه حسين. أحمد أمين. سلامة موسى،
سيد قطب. نوال السعداوى، فاطمة
مرنيسى، حسين مروة. صلاح الدين
التجدد. والروائيين وكتاب المسرح الرواد
مثل نجيب محفوظ. رليف خوري.
سعد الله ونوس. يوسف إدريس، صنع
الله إبراهيم، غادة السمان. محمد
شكري. حنان الشيخ. جمال الغيطاني.
علاء الأسواني وغيرهم الكثير.



فيعتبر الهدف من هذا الأرشيف
الحديث وجهات مسعد وتحليله
التميز لهذه المادة التي كوت بحثه
مبتكرا وفاتنا ومؤشرا في أن واحد،
والأبعد من ذلك هو أن أهمية عمل
مسعد الأرشيفي تكمن ليس فقط في
تسجيل وإعادة إنتاج المجالات حول
الشهوة الجنسية التي تم كتبها (أي
المجالات نفسها) ولكن ما هو أهم في
كتابه. وكما يقول هو. يكمن في الإشارة
نحو مستقبل لم يأت بعد. لا سيما
لقاومة المحاولات من جانب عدد من
القوى لتحديد وكتابة هذا المستقبل
مبقا. (صفحة ٤١٨).

وبعد «اشتهاء العرب» بحثا شديدا
الجديد ومدرسا ومسقلا بشكل
ملحوظ وهو دراسة مدعمة بوثائق لا
تعد ولا تحصى. وفى الواقع، يشكل
بحث مسعد الجدير في مجموعه الكلى
أسلوب بحث متماسكا وفعالا بدرجة

تنبههم نظرة المعهد الفيكيتورى عن
«الجنس الفاضح».

وقد تخلل هذا المشروع الدمجى
نملاج عدة من الكتابة العربية عن الأدب
كما بينت كتابات معلمين لبراليين
ومؤرخين ملتزمين بالتحجر الجنسي
منذ القرن التاسع عشر بالإضافة إلى
أدباء الوطنيين والقوميين العرب
ومفكرين علمانيين واديكاليين
ومتدين وإسلاميين كما هو الحال
أيضا في أدبيات المحليين النغميين
العرب ونقاد الأدب والماركسيين
والنسويين والنسويات إلى جانب
الروائيين والشعراء في جل أعمالهم.
كما يحتاج مسعد أن المفكرين العرب
يحاولون في هذه الأدبيات «إثبات لكل
العرب... من ناحية، ولكل الأوروبيين
من ناحية أخرى، أن العرب شأنهم شأن
الأوروبيين في مستواهم الثقافي
والحضاري، على الرغم من أن
الأوروبيين مصممون على معاملة
العرب على أنهم أقل منهم، (صفحة
٤١٧).

في الستة فصول التي يتكون منها
الكتاب، يقدم مسعد تحريا جديدا عن
تاريخ تصورات الشهوة الجنسية في
مجموعة متنوعة من الإنتاجات
الأدبية العربية في التاريخ والأدب
والثقافة والإنتاج العلمى. وهو أول
مفكر يجمع هذه الأدبيات معا كي
ينظم أرشيفا عربيا حديثا. وتقتض
مادته كتب تاريخية وكتب رحلات
ومذكرات وكتبا طبية واجتماعية
ونفسية إلى جانب كتب عن المين
وروايات وأقلام ومقالات في مجلات
وجرائد وصحف تمثل هرتين من



يؤسس مسعد ببراعة العلاقة الحاسمة بين دور الغرب والاستعمار في بناء خطاب جديد عن الشبهوات والسلوكيات الجنسية عند العرب



التي تقوم بحفريات في التاريخ
والثقافة العربية والإسلامية منذ بزوع
الإسلام.

(٢) عرض مدى تكيف وتشكل الكم
المعرفى الفكرى والأدبى العربى مع
الاقتراضات والتصورات والخطابات
الغربية الموجودة أصلا عن الجنسية
والشهوة في ماضى وحاضر العرب.

(٣) وشرح كيف أن هذا الأرشيف
الغربي الذي يتراوح ما بين الاقتراضات
الاستشراقية والداروينية الاجتماعية
وبين الخطابات التنموى وخطابات
حقوق الإنسان هو عامل مؤثر رئيسى
في بناء الذاتية العربية الحديثة
بالإضافة إلى تصورات السلوكيات
الجنسية العربية في التاريخ الفكرى
والثقافى العربى الحديث.

من خلال رسمه لهذه الخارطة،
يؤسس مسعد ببراعة العلاقة
الحاسمة بين دور الغرب والاستعمار
في بناء خطاب جديد عن الشهوات
والسلوكيات الجنسية عند العرب
وكيف تم استدخال هذه الافتراضات
تاليا من قبل العرب أنفسهم. فهو
يحلل كيف أن خطاب الداروينية
الاجتماعية والثقافية والدراسات
الاستشراقية الغربية أصبحت مفتاح
تقييم الحضارة العربية والإسلامية
على أنها «متخلفة» وتعيش في عصر
انحطاط، بالإضافة إلى اعتبارها

فضاء ثقافى للجنس المتهتك في
القرن الوسطى وفى باكورة العصر
الحديث. كما يحلل مسعد كيف أن
هذه التراكيب الاستعمارية في القرن
التاسع عشر تجاهلت التصورات
الإسلامية والعربية في القرن
الوسطى حول الجنسية والشهوة
وتقريباً مكنت الخطاب الإمبراطورى
الحديث من العالم العربى كما لو أنه
موقع، للمكب، الجنسي. ومنذ القرن
التاسع عشر شرع المفكرون العرب في
عمليات حفر تاريخى لإيجاد دلائل
تحدى هذه التصورات العربية ولكن
بدلا من مساءلة هذه الافتراضات
الأساسية والتصورات العرقية، فإن
الكتاب العرب استدلوا وابتنوا وأعادوا
إنتاج وعجزوا عن الاعتراض على هذه
الأفكار المخترعة حديثا في الداروينية
الاجتماعية فيما يتعلق بمفهومي
الحضارة والثقافة بالإضافة إلى



النيل .. مساره

عبد القدما نهر النيل وتغزل فيه الشعراء. ثم يكن النهر مهماً للزراعة فقط. بل كان أيضاً المصدر الرئيس للمواصلات. أنشأ القدماء مقاييس دقيقة على طول النهر ليقسوا مدى ارتفاع المياه وليحددوا موعد كسر الجسور ليغفل الضيضان الأرض لمدة قرابة الشهرين ابتداءً من النصف الثاني من أغسطس وكان ذلك مصحوباً باحتفالات عديدة .

لم يتغير حال النيل كثيراً منذ القدم إلى أن جاء محمد على ثم الخديو إسماعيل بمشروعهم الكبير للتقدم بمصر. اهتموا بالنيل داخل مصر وخارجها. وسُمّت الترع القديمة على طول مصر وعرضها. شقت الكثير من الترع والتي كان أهمها ترعة الإبراهيمية والأسماعيلية. قويت الجسور وأُنشئت قناطر على عديد من الترع لضبط مياهها للارتفاع بالرى من خلالها وكان أهمها القناطر الخيرية وقناطر التقسيم ببديوط. أما خارج مصر فكان الاهتمام بالسودان لتأمين منابع النيل والبحث عن الذهب. ويقول عبد الرحمن الرافعي، في كتابه عن تاريخ محمد على، إن الانجليز بعد فشل حملة فرينز لاحتلال مصر سنة ١٨٠٧ فكروا في احتلال منابع النيل، وكان رأيهم أن النيل يسير على مصر. كان ذلك أحد أسباب اهتمام محمد على بالسودان. سنة ١٨٢٠ بدأ محمد على حملاته لاحتلال السودان وكانت أهم أهداف تلك الحملات

فكري أندراوس

خوفى عليك وخوفى منك يملؤنى

رعباً من اليوم مصحوباً برعب غدٍ

-الصادق المهدي- رئيس وزراء السودان السابق-

مياه النيل وإن كان ذلك سيقبل مستقبلاً . السودان هي ثاني دولة تنتفع ببعض مياه النيل وإن كان لها مصادر أخرى للمياه إلا أن كل المياه التي تصل مصر تأتيها عن طريق السودان. بالرغم من وجود نقص وتنافس على المياه إلا أنه من الممكن إيجاد تعاون بل تكامل اقتصادي معيد للجيمع

[١]

لقد وهبت الطبيعة مصر وشعبها هذا النيل الذي لولاه لما كانت مصر لحد

■ ■ ■ إن الأمن القومي الحقيقي للشعب المصري يكمن في ضمان استمرار سريان مياه النيل وفي حسن استخدام ما يصلنا منها. كان النيل - وإلى عهد قريب - شأناً مصرياً لا يهم الآخرين. وكان الخطر الوحيد يأتي من التذبذب البسيط في إيرادات النهر تبعاً لعدل الأمطار في دول المنبع وخصوصاً إثيوبيا والتي تسدنا بحوالي ٨٥ ٪ من مياه النيل. أما الآن فالوضع مختلف. فنبول المنبع لها متطلبات وتعداد سكانها يزداد بينما معدل الأمطار يقل. وقد بدا الجفاف يتأب محص مصادر المياه في إفريقيا.

يؤكد الكثير من العلماء أن الاحتباس الحراري سيقلع خطره الأكبر على دول العالم الجنوبية ومن المتوقع أن تعاني إفريقيا من جراء ذلك. إنما نرى بوادر ذلك بحفاف بعض المناطق مثل دارفور وجفاف بحيرة تشاد بعد أن كانت مليئة بالمياه سنة ١٩٦٣ وكذلك ذوبان الثلوج على جبال كالمناخاري في تنزانيا. إن إثيوبيا من المتوقع أن تعاني من الجفاف، وسينعكس ذلك على مصر والسودان.

إن نصيب الإنسان المصري من المياه ٧٩٠ متراً مكعباً (م ٣) في العام. ويمثل هذا ٤٧ ٪ مما كان عليه سنة ١٩٦٩. إن المستوى الحالي لما يخص الفرد المصري يعتبر تحت مستوى خط الفقر العالمي المحدد للمياه والذي يقدر بحوالي ١٠٠٠ م ٣. إن العدد لا مجاله ويجب علينا جميعاً أن نلحق ونفكر في مستقبل الأجيال القادمة ما تأثير هذه التغيرات على مصر؟ هل هناك خيارات مصرية ؟

هل حسن استغلال ما يصلنا من مياه النهر (وهي قليلة رغم ما يعتقده الكثيرون) ؟ ما هي سياسة مصر تجاه دول المصدر؟ وما الوضع القانوني لمياه النهر والذي تشارك فيه عشر دول؟ هذا المقال يتعرض لبعض هذه التساؤلات مع مقدمة مختصرة عن تاريخ السياسة والنهر. ساهمت أساساً بمصر والسودان وإثيوبيا وهي دول حوض النيل الشرقي. إن مصر تكاد تكون الدولة الوحيدة في العالم التي تأتي كل مياهها تقريباً من خارج حدودها : الأمر الذي يضعها في موقف حرج للغاية. إثيوبيا وحتى الآن تحول مصر بحوالي ٨٥ ٪ من

اكتشاف مابع النيل والاطمنان عليها.
عهد محمد على إلى الجكباشى سليم بك
قبطان وهو احد ضباط البحرية المصرية
باكتشاف منابع النيل، وقامت ثلاث
حملات اكتشفت بعضى واهل النيل
الابيض فى جنوب السودان وبلغت جزيرة
جودكر ١٧٠٠ كيلومتر جنوب الخرطوم
وتسرت اكتشافات تلك الحملات فى
مجلة الجمعية الجغرافية المصرية سنة
١٩٤٢.

امتد نفوذ مصر إلى «سواكن» على
البحر الأحمر، ومصوع، بالقرب من
حدود الحبشة. في عهد إسماعيل احتلت
مصر مديرية هاشودة والتي تعد مفتاح
النيل بالقرب من ملتقى روافد النيل
التي تصب في النيل الأبيض ومنها نهر
سوبات ويحجر النجزال بالإضافة إلى
خمس فروع أخرى.

بدا الأوروبيون يكتشفون منابع النيل: هاكتشف الإنجليز بان سبيك

يؤكد الكثير من العلماء
أن الاحتباس الحراري
سيعظم خطره الأكبر على دول العالم الجنوبية
ومن المتوقع أن تعاني
إفريقيا من جراء ذلك

العلمية. نسبت لذلك المعاهدة في عهد
العباسيين وأتباعه والدوين وقد رفضها
أوغند. وبكينيا. وتحاديا بعد حصوله
على الاستقلال في أوائل الستينيات
كان مشروع الجزيرة أول مشروع كبير
للري في حوض النيل خارج الأراضي
المصرية لم يكن اهتمام إنجلترا بالأمم
مياه النيل فقط بل اهتمت بوزارة
الأشغال وتربيع بعض العاملين بها بعض
الكتاب المهج. هناك كتاب الدليل في
موايد أعالي النيل، الذي كتبه سرويلم
جاستن عام ١٩٠٤. ويقع في ٦٦ صفحة،
وقد أعادت مكتبة مدبولي نشر الكتاب
عام ٢٠٠٠. وتحت الموسوعة التي كتبت
لهرست وفلاك ويوسف سيكدا ونقله
الفرسي حسن أحمد الشرييني سنة ١٩٤٦
من أهم ما وجد حتى ذلك التاريخ وفي
موسوعة علمية عظيمة عن النيل
وقطع المستقبل. وقد صدرت بهذا
الاسم. أما في العصر الحديث فإن هذا
الترسم سعيد النصر النيل لسنائه
واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل،
يعد مرجعا مهما لكل مهتم بشئون
النيل

كان هدف مصر وحتى منتصف القرن الماضي هو التخليز الموسمي للاستفادة من جزء من المخزون المفيض والتي يذهب حوالي ٦٠٪ منها للبحر الأبيض المتوسط، من هنا تم إنشاء خزانات أسبوط سنة ١٩٠٢، ثم بحيرة خزان نجع حمادى، فحزان أسبوط ثم خزان رقتى. كانت عملية تخزين أسبوط الخزان على عام ١٩٢٢ والتضامنية على أساس ١٩٣٣، مع الاحتياجات المتزايدة للمياه فكرت الحكومة في إنشاء خزانات في دولتي التخليز المستمر وأيضاً لتجنب الفيضانات المخفضة. فكرت مصر في إنشاء خزانات بحيرة فكتوريا، بحيرة البريت، وبحيرة تانا. لم يكن هناك في ذلك الوقت أي اعتماد ميهام الشيل جاك الهضامات خاصة ويصير الالتزامات السودانية، حيث إن الأطنان في تلك المناطق كانت كافية لاحتياجات تلك الدول. الخزان الوحيد الذي بُنى على البحيرة كان خزان أسبوط الذي في بحيرة فكتوريا والذي بُنى سنة ١٩٤٨ بناء على طلب أوغندا لتوليد الكهرباء وقد تمضي في ذلك المشروع. رغم أن التخزين المستمر في دول الخليج هو المصلح الحالي حيث إن المياه خزنت هناك لتفقد بالحوار حيث جرت عملية سدود التمثال حيث برزت الحاجة العارئة، لم يكن المناخ السياسي ملائماً في ذلك الوقت، فكرت مصر في إنشاء السدود داخل أفريقيا رغم ما شهدته السودان من بعض الآثار السلبية التي ذكرها رضى سعيد في كتابه بموسوعة

أصبح مشروع السد العالي مشروعاً قومياً أثار خيال البعض داخل مصر وغضب البعض خارج مصر خصوصاً عندما تعرقل

تكن ألمانيا بعيدة عن كل ذلك بل كانت
تراقب ما يحدث وأصبح لها وجود في
زائفا. في مثل ذلك الموجد الأوروبي
احتلت إنجلترا بعض منابع النيل
وعقدت المعاهدات لضمان عدم تدخل
في الدول الأوروبية في مياه النيل التي
تصل لمصر. أهم المعاهدات التي عقبتها
إنجلترا كانت مع الحبشة في عام ١٩٠٣
على نصحت إيطاليا التي تسمح بأى
على النيل الأزرق، ثم السويسيات وأهميرة
تانا لا بعد موافقة إنجلترا والسودان
والمقصود حقيقة هو مصالح مصر في
مياه النيل.

بعد أن استقرت إنجلترا في السودان
بدأت تطوير الزراعة على يد فاهرنتز
مستورع الجزيرة والذي يقع جنوب
الخرطوم بين النيل الأزرق والنيل
الأبيض وكانت المساحة المستقرة ٣٠٠
الف فدان لزراعة طويول التيلة
لتلبية احتياجات مانشستر التجارية،
عارضت مصر ذلك المشروع بشدة لعدوان
سنوات، إلا أن مصر تداركت أنها والسودان
في واحد، افترحت إنجلترا ترسية
مصر وأن يتشأ سد آخر في جبل
مستورع الجزيرة وسد إغري في جبل
الولياء لتوفير مياه إضافية لمصر،
مقابل ذلك يحق لهم استخدام الغنيو
ضد أي مشروع يقام على النيل؛ ولكن
رفض مصر على مقابل ذلك أن تساهم في
تقديم عمورة الجزيرة، دون كل ذلك في
مساعدة سنة ١٩٦٩ والتي مكسبت

السودان ٤ مليون رطل مكعب (٢٢
م) والمصري ٨ م م بما لا يلبي الاحتياجات

يخدم الإنجليز. ماذا حصل لصرد بعد هذا التوسع الهائل ؟ كانت إدارة مصر في تلك الحقبة التي سبقت فتراتها حين توجد الصلوة بين الحلم والحقيقة ويعتق الحكام العظماء وملاك الحضارة وأكثر الناس تسامح به ظروف الدولة تتحطم الأحلام وتنتشر مظاهر العظمة.

كانت المنافسة بين إنجلترا وفرنسا لاتزال قوية. اعتقد الأوروبيون أن انجلترا ستسيطر على منابع النيل وسيطر على مصر سنة ١٨٨٩ دخلت فرقة فرنسية متقدمة قادسة وهي مصر والنيل- تنفذ نفوذ الانجليز في مصر ولكن القوات المصرية والابجليزية تشكلت من طرفهم، ثم حدث القفاز بين إنجلترا وبريطانيا فتوترت العلاقات فكانت كثيرة ولم يكن هناك داع للخلاف .. أضيفت يد الانشطار في مصر وحوض النيل وبدا فرنسا في القرب العرب.

بعد احتلال مصر اهتم الانجليز
بمياه النيل لتأمين مصالحهم في مصر.
رغم أن واجهة الاحتلال الانجليزي
للمسودان كانت الثورة المهدية، إلا أن
السبب الذي قد يكون رئيسياً هو تأمين
مسار النيل.

في إفريقيا الاستوائية كانت هناك الكونجو (الفرنسي)، وحامية فرنسية في جابوتي، إضافة إلى المحاولة الفرنسية للسيطرة على مفتاح النيل في فاشودة والتي سبق الإشارة إليها. وكان هناك وجود أو نفوذ إيطالي في إثيوبيا والصومال، وآخر بلجيكي في الكونجو (البلجيكي)، وفي رواندا وبوروندي، ولم

بحيرة اكروى والتي سموها بحيرة
هكتوريا سنة ١٨٦٠ ومولت الجمعية
الجغرافية للإنجليزية ذلك الاكتشاف
عام ١٨٦٤ اكتشف سموييل بيكر
الانجليزى بحيرة نفسه بحيرة
البرت. مولت حكومة إسماعيل سنة ١٨٧٤
الكولونيل الأمريكى شالى لونغ،
Chaille, Long, الذى اكتشف بحيرة كوجا غرب
إيران هكتوريا وسمها بحيرة إبراهيم،
ولما من فتورا الأطلال بعد ذلك عادوا
إلى الاسم الأصلى كوجا.

امتد نفوذ مصر ليشمل إقليم خط الاستواء، وسيطت مصر نفوذها على أوغندا. أما الحبشة فقد فشلت حملات مصر لاحتلالها سنة ١٨٧٥-١٨٧٦ لصعوبة طبرأهايتها. فقد حصنتها الطبيعة ضد الغزاة والمستعمرين وقد خسرت مصر الكثير من المال والرجال في تلك المغامرة، إلا أن مصر تمكنت من ضم ساكنين ومصرع والمناطق بين الحبشة والساحل الأحمر.

هكذا كان اهتمام محمد علي وإسماعيل بالتقنيات مناع النيل ووضعا تحت الحماية المصرية وقد أرسل شريف باشا وزير الخارجية المصرية مملكة معضمون ما تسيطر عليه مصر في إفريقيا إلى سمراء الدول بالقاهرة. ولكن كانت هناك قوى أخرى لها مصالح طامع كبيرة سنة ١٨٨٢ دخل الانجليز مصر بحجج استثمارية وهدفهم تأمين الطريق إلى الهند. إلى ذلك إلى تقبل نفع مصر في ابقاء على اوضاع



السابق أن يقول في كتاب (مياه النيل) : «الخرطة السكانية الجديدة للسودان سوف تظهر الحاجة لحقن سكانية لمناطق مقبلة في السودان. إن التفكير في هجرة مصرية للسودان أكثر جدوى من محاولة تعمير أراض شبه صحراوية (أو حقيقة صحراوية) تكلف الكثير من الماء والمال» (ص ١٢٦).

بل اقترح أن تتركز مصر على الصناعة وأن تركز السودان على الزراعة.

إن السودان لديها طاقة كبيرة في إنتاج اللحوم والحبوب. هذا ما قاله رئيس وزراء السودان السابق ، وإن كان رجال السياسة يقولون خارج الحكم ما لا يفعلون عندما يقولون إليهم السلطة . مشاريع من هذا القبيل قد تكون صعبة التنفيذ إلا أنها غير مستحيلة ، خصوصاً إذا ما رُفِّعت إلى المستوى الاقتصادي والفني وعلى الأقل هناك جزء من هذا متاح لمصر بدلاً من المصاريف الهائلة التي تنفقها على مشاريع صعبة النجاح وليس لها مستقبل كبير مثل مشاريع زراعة الصحراء . يقول الصادق المهدي أيضاً وهو على حق : «إن السودان يعلم كثيراً عن مصر ولكن معلومات المصري عن السودان ناقصة. إن التكامل الاقتصادي مع السودان هو أمل المستقبل لكلا البلدين ولكن يجب على الشترتين في هذا التكامل أن يكونوا على علم بالتاريخ والخصائص الموجودة بين الطرفين ولن يتحقق ذلك إلا بالتعليم المستمر».

[٣]

علاقة مصر بإثيوبيا علاقة قديمة فشلتاها من أقدم الدول الإفريقية وكلتاها لها تاريخ قديم . كانت تلك العلاقات تتأرجح بين الود والهادنة إلى عدم الثقة والعداء . كانت الكنيسة الإثيوبية تتبع الكنيسة المصرية وكان رئيس الكنيسة الإثيوبية مطراناً مصرياً يرسمه بطريرك الاسكندرية . وكان ذلك المطران يقال له في الحبشة «أبونا» ، وكان يتنوع ملكاً أو إمبراطوراً إثيوبياً

مع حركة الاستقلال التي اجتاحت إفريقيا . استقلت الكنيسة الإثيوبية عام ١٩٥٩ . كانت إثيوبيا أحياناً تستخدم خبراء وموظفين مصريين وكانت مصر مهيأة لتتدخل في شئون الحبشة من طريق الكنيسة .

كانت مصر والإثيوبيا ومنذ القدم على

السودان الحالية . السودان به ٣٣٥ مليون فدان فصلح للزراعة المطرية والرعي المتنقل ، أما المساحة المروية فحوالي ٣٠٠ مليون فدان . وإن كانت أغلب الأراضي الصالحة للزراعة تعتمد على معدل الأمطار . بعض هذه الأراضي بها مياه جوفية متجددة من الممكن استغلالها في الزراعة في حالة قلة الأمطار . والحقيقة أن مشكلة دارفور في أساسها مشكلة قلة الأمطار .

السودان تستخدم ١٤.٥ م م من حصتها في مياه السد رغم أن حصتها ١٨.٥ م م ، وتستخدم مصر الفائض من احتياجات السودان وقدره ٤ م م وهذا طبعاً لن يدمر السودان لديها مشاريع ترى ٦ ملايين فدان إضافية تحتاج إلى تخزين ٨ م م وإن كان ذلك مرهوباً مزيداً من الخزانات والقامة خزانات أخرى . إن العديد من تلك المشروعات توجد في جنوب السودان التي بالافتقار .

اشتملت المعاهدة المصرية السودانية سنة ١٩٥٩ على أن تتولى الدولتان إنشاء مشروعات زراعية إيرادات الترع المنع الضائع منها . مشروع جونغلي مثلًا خلق قناة تتحدى ضياح المياه خلال منطقة السود وهي منطقة مليئة بالأحراش ، من الممكن أن يوفر ذلك المشروع لكل من مصر والسودان ١.٩ م م . اقترح ذلك المشروع أولاً عندما كان الإقليم ليس بالسودان ولكنهم لم يوافقوا عليه لإضراره بقبائل الدكا من ضمن إضراره بالبيئة .

وقعت معاهدة مشروع جونغلي وبدأ العمل فيه سنة ١٩٧٨ إلا أنه توقف بعد الاضطرابات الجنوبية وحتى الآن . في إمكان السودان لو استقرت به الأمور أن يمول مصر وبعض الدول الإفريقية والعربية وبفرض من المحاصيل الزراعية وخصوصاً القمح . وهذا ما دعا الصادق المهدي رئيس وزراء السودان

وعدها عشر دول قاسمة لتزايدها بفعل التقسيم

إن أغلب مياه النهر تأتي لمصر من الحبشة عن طريق السودان وهناك بعض الخلافات بين مصر والسودان ومصاعب دين مصر والحبشة . ورغم ما عن ذلك فهناك احتمالات كبيرة للتعاون المثمر بين هذه الدول الثلاث . سأحاول هنا أن أتناول بعض الخلافات المصرية - السودانية - الإثيوبية باختصار .

إن السودان في أقرب دولة عربية لمصر من حيث العلاقات والصالح وتعد عمق مصر الجنوبي . كما أن مصر هي عمق السودان الشمالي .

إذا نظرنا إلى العلاقات المصرية السودانية في القرنين الماضيين نجد أن معارمة محمد علي وإسماعيل لم تترك أثراً طيباً لدى الكثيرين من السودانيين رغم أن المصريين كانوا أيضاً مغلوبين على أمرهم . واستمر نفس الشيء خلال الحكم الثنائي للسودان .

بعد استقلال السودان سنة ١٩٥٦ كان هناك قلق مصري على السودان . عارضت حكومة السودان الجديدة مشروع السد العالي وكذلك معاهدة ١٩٢٩ وطالبت بتعديلها استولى الجيش السوداني على السلطة وأصبحت العلاقات على مصر أفضل بكثير حيث أن الحكومة المصرية فضلت التعامل مع النظم العسكرية الحديثة عن النظم الديمقراطية فلم يكن لها صبر على ذلك . نظرت مصر للسودان ولباقي الدول العربية باعتبار أن هناك أصدقاء وأعداء وحاولت إضعاف من اعتبرتهم أعداء بدلاً من التعامل معهم . بيت الشعر الذي ورد في أول هذا المقال قاله الصادق المهدي في وصف علاقة مصر بالسودان : أما بخصوص مياه النيل فهناك تفاهم لا بأس به وإن كانت مشاكل الجنب وكردفان تشل حكومة

التمويل من العرب ولجان مصر للاتحاد السوفيتي .

كانت إحدى مشاكل مشروع السد هي موافقة السودان والذي ستتعرض بعض أراضيه في النوبة السودانية للخطر . حصلت السودان على استقلالها سنة ١٩٥٩ . عارضت الحكومة النسخة لمشروع السد العالي وأيضاً معاهدة سنة ١٩٢٩ وطالبت بتعديلها . وكانت هناك مشاحنات أخرى بين مصر والسودان . استولى الجيش السوداني سنة ١٩٥٨ على الحكم ووافقت حكومة السودان العسكرية على مشروع السد وقعت المعاهدة بين مصر والسودان بشأن السد سنة ١٩٥٩ . قبل توقيع المعاهدة مع روسيا بثلاثة أسابيع . كان نصيب السودان من المياه المخرجة ١٤ مليار متر مكعب (م م) بعد أن كان نصيبها ٤ م م فقط ، وأصبح نصيب مصر ٧ م م ، بذلك يصبح نصيب مصر من حقوقها التاريخية بالإضافة إلى ما يخرزه السد حوالي ٥٥ م م ونصيب السودان ١٨ م م .

كانت معاهدة السد هي أول معاهدة تعقد بين دولتين على حوض النيل بعد استقلال دول النهر . لم تشمل المعاهدة أيًا من دول أعالي النيل وخصوصاً الحبشة والتي تمول بمصر بمسألة ٨٥٪ من مياه النهر . كانت مصر والسودان على دراية بذلك . ولذلك أضيف بند في الاتفاقية (بند رقم ٢ في الأحكام الخاصة للمعاهدة) يذكر أن البلاد الأخرى لها مطالبات في مياه النيل وعلى مصر والسودان أن يتسقا على رأي موحد تجاهها . وفي حالة حدوث تغيير ، تقسم الكميات المخصصة للدول الأخرى مناصفة بين مصر والسودان محسوبة عند أسوان . ولم تحدث أية معاهدة بهذا الخصوص حتى الآن رغم مطالبة الدول الأخرى بحصة من مياه النهر . كانت مصر وحتى عهد قريب ترفض بالمرصاد لأي مشروع على النهر من الممكن أن يؤثر في نصيبها من المياه أو حتى مجرد فتح باب المشاركة في مياه النهر . كانت وجهة النظر المصرية أن أي استهلاك من دول المنبع سيقلبه نقص فيما يصل لمصر وهو ما يعني

«بالعادة المصرية» .

[٢]

إن مستقبل حوض النيل يعتمد على إبرام اتفاق شامل بين كافة الدول النهرية -

أغلب مياه النهر تأتي

لمصر من الحبشة عن طريق

السودان وهناك بعض الخلافات بين مصر

والسودان ومصاعب

بين مصر والحبشة





يشترط مواقعة دول النهر الأخرى مثل هذه المسألة سيكون له ضرر بالغ في مستقبل النيل لقبلة الدول الإفريقية والعالم، والحقيقة أن الإثيوبيين يشعرون بمرارة نتيجة تجاهلهم أو تهديدهم أو ساندته أعدائهم.

إن هناك تغيراً في السياسة المصرية تجاه إثيوبيا: فهي الآن سياسة تعتمد على الحفاظ على الكيان الإثيوبي، بل وتسمى مصر إلى صياغة عربية إيجابية تجاه إثيوبيا. ولا بد لنا من لم شمل السودان وإثيوبيا كجداية لسياسة موحدة لكل دول النهر وهذا ما تسعى إليه مصر هي مؤتمرات دول حوض النيل الشرقي. لعل هذه السياسة تستمر وتؤدي إلى اتفاقيات مرضية.

كان ولا يزال هناك شبه عداوة بين مصر ودول ولا يزال الأخرى لا تشارك مصر باستخدام مياه النيل رغم مشاركة تسع دول أخرى. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، ولا سيما دولة كبرى وغنية بالنسبة للدول الإفريقية، ولا سيما أيضاً بحيرة بشنقو النهر أكثر بكثير من أغلب دول النهر ما عدا إثيوبيا والسودان. والأسف فإن الدين أيضاً يدخل في الصراع الموجود

الآن، ويقول السفير محمد سمير أحمد، إنه لا يمكن إغفال أهمية العنصر الديني وراء بعض الاصطاعات الإثيوبية، وأوغندا وتنزانيا يعذب فيها تواجد الحكام المسيحيين والتأشلي تمثل جبهة لا شعورية هي مقابل جبهة العربية والإسلام في شمال السودان ومصر والصومال. وقد يكون بعض الدعاة لمصر والسودان راجعاً إلى الشعور بانهم - وخاصة مصر - إن إمكانها مساعدة الدول الإفريقية الفقيرة ولكنها لا تعمل إلا أقل القليل، لقد قال مثل أوغندا في أحد اجتماعات تكنولوجيا، بوح علينا أن نطالب مصر والسودان بتوقيضات مائية مقابل قيامها بولاية الخرطوم الطبيعي لمياه النيل. وفي هذا المجال قال رئيس وزراء تركيا عند افتتاح مشروع جنوب شرق الأمازون، لا تستطيع سوريا والعراق أن تطلبنا بنصيب في أنهار تركيا تماماً كما لا تستطيع تركيا أن تطلبنا بنصيب في نهر العراق. وهذا وقد باتت تركيا مياها لإسرائيل خلال النازيين وإن كانت كميات غير كافية إلا أنها سابقة لا يستهان بها ونحن على أبواب صراعات على المياه وإن كانت تركيا غير دول إفريقيا الاستوائية إلا أننا نعيش في زمن يتميز بسرعة المياه أصبح ينطهر لها كسلعة تباع وتنتشر.

من الممكن لصر المواقعة على بعض مشاريع إثيوبيا حتى لو استأملت جزءاً من مياه النيل الأزرق (المطلوب ٦ م م تقسم مناصفة بين مصر والسودان) من الممكن أن تساهم في بعض مشاريع إثيوبية منها مثلاً مشاريع للشعرة الحيوانية من الممكن أن توفر مياها لصر بالإفلال من زراعة أو استيراد مواد الحبوب. تعد إثيوبيا الدولة الرائدة إفريقياً في الإنتاج الحيواني، لديها ١٦ مليون رأس ماشية و٢٣ مليون رأس غنم. خلاف الماعز، بينما مصر هقيرة في الإنتاج الحيواني الرخيص والمتعد على المراعي، ومن ضمن أن يكون هناك تعاون اقتصادي في هذا المجال. بالإضافة إلى إمكان استيراد كهرماء لتصنيع جنوب مصر. هذا ما اقترحه Kifre Abraham وهو يمثل وجهة نظر إثيوبية، إن إنتاج رطل واحد من اللحم يستلزم ١٢٠٠٠ جالون ماء لتغذية وشرب الحواشي. من الممكن أن نلجأ إلى استيراد الحبوب والحبوب من إثيوبيا أو السودان كطريقة لتوفير المياه على أن نركز على مشروعات أخرى وساعدوا إلى

إن إبرام معاهدة طويلة المدى مع إثيوبيا أفضل من إبرامها في المستقبل. يعتقد البعض أن حالة إثيوبيا من الضعف بحيث يمكنها دفع إثيوبيا عسكرياً كما فعل الرئيس السادات في الماضي وأكد ذلك بعض الدبلوماسيين وكبار ضباطنا. هي نفس الوقت فكر الرئيس السادات أن يوصل جزءاً من مياه النيل لإسرائيل فهي مياه تأتي من الحيشة ونريد أن نحررها منها (لاحظ أن قطاع غزة افترق مكان هي العالم هي معدل المياه المتاحة ولم تفكر في توصيل مياه إليه). من حسن الحظ أنه كان هناك من العقلاء من أوقف ذلك حيث أن توصيل مياه النهر لدولة أخرى

إثيوبيا خطة لإنشاء ٤٠ مشروعاً للزراعة البرية. مشاريع إثيوبيا المستقبلية تحتاج حوالي ٧٥ مليار دولار خلال الخمسين عاماً القادمة وهناك مجال كبير لتقديم المعونات ومجال للاستثمار المولى والعربي والمصري. إن استثمارنا في الصحراء المصرية يجب إعادة النظر إليها خصوصاً على ضوء ما سوف يحدث من تغيير في المناخ والذي سيكون مصحوباً بالجفاف.

إن الاستثمارات المصرية (رغم قلتها) والاستثمارات العربية تعد استثمارات طويلة المدى وتؤدي لبعض التكامل الاستراتيجي العربي والإفريقي. هناك احتمالات عديدة للتعاون في إثيوبيا. وما يقف في طريقها هو الفقر والحروب، وانعدام التمويل، ومصر. إن الصراع بين إثيوبيا ومصر هو صراع بين الحق التاريخي لمصر في مياه النيل وبين احتياجات الحيشة للمياه لأغراض التنمية. سياسة مصر كانت استغلال حروب الحيشة ضد كل من إريتريا والصومال بمساندة الآخرين لإنهاء الحيشة. وفي نفس الوقت ترفض مصر مشروعات التنمية الإثيوبية. إن سياسة مساندة إريتريا والصومال أدت إلى طلب مساندة أمريكية إبان أزمة السويس. أصبحت أيضاً لإسرائيل علاقة قوية بإثيوبيا ولا يخفى على أحد مضمون ذلك. ومن ناحية أخرى قال وزير خارجية إثيوبيا في عهد منفيستو عام ١٩٨٦، إن لم يكن قريش (زعيم المعارضة في جنوب السودان) موجوداً لكان علينا أن نخترعنا! عن طريق دعمنا لقريش نفرض عليكم أن تعاونوا في مشكلتنا مع إريتريا. لقد أوقف حروب الجنوب السوداني مشروع جوليبي وإلى الآن (الصادق المهدي، مياه النيل ص ١١٧).

اعتقد أن سياسة كانت قصيرة المدى ولا اعتقد أنها كانت لصالح مصر.

دراية تامة بأهمية مياه النيل الأزرق لمصر وكانت إثيوبيا أحياناً تهدد بقطع المياه عن مصر ولم يكن ذلك ممكناً في الماضي إلا أنه كان مصدراً للقلق وعدم الثقة. يقول Kifre Abraham وهو استاذ جامعي إثيوبي إن امبراطور إثيوبيا لاليبلا Lalibela (١١٣٣ - ١١٣٤) وكان من أقوى حكام الحيشة. اقترح تحويل مجرى النيل الأزرق. ولكنه استمع عن ذلك بعد أن قررت الحكومة المصرية أن تدفع (أثارة) سنوية للحيشة.

مساحة مصر الإثيوبيا أكبر من ضعف مساحة مصر الكلية وتمتدادهما يقارب التعاد المصري ويشق أراضي إثيوبيا ١٢ نهرًا لذلك سميت نافورة إفريقيا، ولكنها لا تستغل هذه الأنهار في الزراعة. أغلب أراضي دات طبوغرافية جبلية إلا أنها خضراء يشغل الأقطار والكثير منها يستخدم في المراعي والزراعة المطرية بكفاءة متواضعة. فرب هذه الأراضي به مياه جوفية متجددة كبرت بمحواي ٢٠ م، من الممكن استخدام بعضها في الزراعة خصوصاً لو اتبعت مصادر الطاقة الكهرتائية من مساقط المياه. استعانت إثيوبيا ببنوت الخبرة الأمريكية لتطوير سياسات وإقليم المياه بها مرتين، كانت الأولى سنة ١٩٧٢ لإقامة سد على بحيرة تانا بتكلفة قدرها ١٢٠ مليون دولار إلا أن إنجلترا أوقفت المشروع.

أما المرة الثانية فكانت خلال أزمة قناة السويس وبناء السد العالي، وكان لذلك مغزى سياسي واضح. استغرقت هذه الدراسة خمس سنوات ونشرت نتائجها في ١٧ مجلدًا سنة ١٩٦٣. واقترح إنشاء سد على مياه النيل الأزرق لتخزين ٥١ م م لتزيد مساحة إثيوبيا المزروعة حوالي ٣٥ مليون هكتار في منطقة النيل الأزرق ونهر سوباط. ستحتاج هذه السدود ١٠٠ مليار كيلواط ناساعة وهي ثلاثة أضعاف ما ينتجها السد العالي. وكان هذا أكثر بكثير من طاقة إثيوبيا الاستهلاكية واحتياجاتها الفعلية ولو تم ذلك لأمكن لإثيوبيا أن تصدر الكهرباء لمصر والسودان ودول أخرى. لم يتعد هذا المشروع لأسباب عديدة فذكر منها أن إقامة السدود الكبيرة قد تؤدي إلى (الإطعام) السريع ترسيب الطمي، ولا يبدو أن هناك حلاً لهذه المشكلة إلى الآن ونهذه يبدو أن إثيوبيا اتجه تفكيرها إلى إنشاء العديد من الخزانات الصغيرة في مشاريعها المستقبلية. في مؤتمر الأمم المتحدة لبحث قضايا التنمية عام ١٩٨٣ قدمت



[٤]

تقدر الاحتياجات المستقبلية من المياه لدول حوض النهر وهي (كينيا، أوغندا، تنزانيا، رواندا، بوروندي، وزائير) بحوالي ٩ مليارات متر مكعب وإن كانت احتياجاتها الحالية أقل من المياه. وكل هذه الدول لا تعترف بمعاهدة ١٩٦٩ والتي تعطي لمصر حق «الفيتو» لأي من مشاريعها. لقد قال أوبودي أوكيدي عميد معهد دراسات التنمية في جامعة موى في كينيا سنة ١٩٩٠، إن ثلثي أراضي كينيا فاحلة بينما لديها بعض الأنهار التي تصب في بحيرة فيكتوريا. إن كينيا ستحاول أن تنقل بعض هذه المياه لتستعملها في الزراعة. لا بد من إعادة النظر في توزيع مياه النيل وروافده . وهناك مشاريع قديمة للزراعة في لنزانيا وإن كان ما بُدع منها أقل القليل. كل دول الحوض تتطلع لزيادة استهلاك المياه في مشروعات التنمية الزراعية وإن كانت وحتى الآن موبوءة بالصراعات واللامراض.

إن التغيرات المناخية في إفريقيا ستكون قاسية. فارتفاع حرارة القارة سيكون صعب المتوسط العالمي، فمناطق زراعة الشاي في كينيا مثلا أزدادت درجة حرارتها ثلاث درجات ونصف درجة مئوية في العشرين عاماً الماضية. وتشير إحدى أبحاث سخونة الأرض إلى أن بعض مناطق إفريقيا بدأ يصيبها الجفاف كما هو واضح في بعض المناطق مثل النيجر ودارفور. إن التغير المناخي في إفريقيا الاستوائية وشبه الاستوائية سيكون شديد التأثير. إثيوبيا من المتوقع أن تقل أمطارها بينما قد تزداد أمطار منطقة خط الاستواء في دول البحيرات. في كلتا الحالتين سيكون ذلك مصحوباً بتذبذب شديد بين الزيادة والنقصان. كل هذه التغيرات ستفرض على الجميع أن يغيروا من سياساتهم فيما يتعلق بالمياه وكيفية استخدامها. إن ما يصل إلى السودان ومصر من مياه النيل سيقبل بدون شك وغالباً سيفقد التأثير الأكبر على مصر.

لقد سادت مصر وشجعت جميعاً الأخيا إفريقيا لدول حوض النيل سمي الأوندوجو، والتي تعني «الأخوة» باللغة السواحلية وتعقد هذه الاجتماعات سنوياً على مستوى وزراء الخارجية وأحياناً وزراء الري والكهرباء. وقد ساهمت الأمم المتحدة في نشاطها الأوندوجو واقتُرحت: خفض عدد

بالجميع، واعتقد أنه ليس أمامنا متسع من الوقت لذلك.

[٥]

«هناك حوالي ٣٧٠ نهرًا تشارك فيها أكثر من دولة. الأمر الذي أدى إلى عقد مؤتمرات عديدة حاولت تسنين استخدام التشارك بين الدول وشروط وقواعد الاستخدام. ورابطة القانون الدولي، معهد القانون الدولي، مؤتمر هلسنكي لرابطة القانون الدولي سنة ١٩٦٦، مؤتمر فيينا عام ١٩٧٨، مؤتمرات النيل - التي عقدت في جامعة لندن وجامعة القاهرة، ومؤتمرات كثيرة أخرى بعضها علمي وبعضها سياسي واقتصادي. وأخيراً كانت هناك اتفاقية دولية بشأن قانون استخدامات المجاري المائية في الأغراض غير الملاحية سنة ١٩٦٧. في كل تسلك المؤتمرات والاجتماعات هناك شبه إجماع على بعض النقاط العامة والتي منها: عدالة التوزيع، سوابق استغلال وتوزيع حصص المياه منذ الماضي البعيد وإلى الآن، مدى احتياج كل دولة، تضاد الإنسراف والأضرار بالمدول الأخرى، أن تمتنع الدول المستفيدة من تغيير مجرى النهر أو إقامة السدود التي من شأنها المساس بخصص المدول بالاتفاق بين الدول المختصة، الالتزام بسياسة زراعية مسئولة تأخذ في اعتبارها قلة المياه مع الترشيد في كافة الاستهلاكات الأخرى، الالتزام بعدم التسيب في ضرر الآخرين، تعاون دول المجري المائية على أساس المساواة في السيادة والمعادلة المتبادلة، وجوب التشاور بشأن إنشاء آلية مشتركة لإدارة المجري المائية. تسوية المنازعات بين دول المجري المائية تتم عن طريق التحكيم فإن استحال ذلك تكون تسوية المنازعات

السكان (والحقيقة أن الخطر مشكلة تواجهنا في الانفجار السكاني، إن تعدد مصر يجب أن يقل)، استقلال إمكانيات الطاقة الكهربائية وتوصيل جميع دول النيل بشبكة واحدة، التغلب على تصحر بعض الأراضي، وتحسين مصائد الأسماك. وفقرت بعثة الأمم المتحدة نفقات تلك المشاريع بحوالي ٥٠ مليون دولار ثلثها سيكوفان عن طريق مساعدات أجنبية. وهناك مشاريع أخرى كثيرة من الممكن إنجاز بعضها لمنفعة الجميع.

لقد أصبح من الضروري تنظيم مياه الأنهار وحسن استغلالها لصالح كل دول النهر. إنشاء السدود والقنوات أصبح ضرورياً لزيادة إيرادات المياه ولإقلال من الفاقد. ولكن مشكلة إطماء الخزانات مشكلة مهمة إذ لم تكن خطيرة. فمثلاً يفقد خزان، خشم القصرية في السودان ٤٠ مليون متر مكعب من سعته التخزينية كل عام نتيجة ترسيب الطمي وكذلك خزان الرصرصر في السودان أصبح عديم الفائدة الآن نتيجة ترسيب الطمي. أما في السد العالي فهناك مشكلة قد تكون خطيرة. لقد قرر حمدي الطاهر رئيس الهيئة العامة للسد العالي سنة ١٩٩٢ من أن الطمي الوارد من البشة من الممكن أن يكون دلتا في جنوب بحيرة ناصر قد تغير مجرى النيل ليجتغ غرباً. إن حدث ذلك ستكون كارثة لمصر. إقامة خزانات في إثيوبيا قد تقلل من الطمي الوارد للبحيرة، ولكن الطمي سيسبب نفس المشاكل لتلك الخزانات في إثيوبيا. وقد تكون مشكلة الإطماء سبباً رئيسياً في إبطاء مشاريع التيوبيات إنشاء السدود. هذه المشاكل يجب التفكير في حلها في إطار دول النهر والأمم المتحدة وبعض الدول الممولة وبمساعدة عن السياسات المتضاربة والتي تضر

[٦]

السؤال الذي يجب على كل مصري أن يسأله هو: هل نحن نستخدم مياه النيل ونحافظ على نالها ؟
لعلني أبداً يتقاه المهر.
إن مصريين كثير من الحوض قد بدأوا أيضاً أكبر ملوث لمياه النهر. وإن كان ضمان استمرار سريان مياه النيل يثير الضيق فإن مدى تلوث النيل يجب أن يثير الذعر في النفوس. إننا نلقى في النيل من أسوان وحتى نصب ٥٠٠ مليون متر مكعب (يعتقد رشدي سعيد أنها ٢ مليار متر مكعب) من مياه من المصانع الصناعية، حمضية حوالي ٥٠٠ منشأة صناعية منها ٣٧٠ منشأة في شبرا الخيمة تلقى مخلفاتها بجوار ماخذ مياه القاهرة الكبرى بالإضافة إلى الصرف الصحي في أغلب قرى مصر التي يذهب للنيل (تأثير مدخل محمد الأهرام ٢٠٢٥-٢٠٠٠). إذا كان هذا حال مصفحات سيكون حال الدول الإفريقية حين تبدأ الصناعة وهل يحق لنا أن نساها المحافظة على سلامة مياه النيل من التلوث وهذا هو حالنا ؟ وإن كانت مياه الاستهلاك المنزلي خالية من الجراثيم نتيجة المعاملات الكيميائية، إلا أنها تحتوي على بعض المبيدات الحشرية والمعادن الثقيلة من نفايات المصانع والتي تسبب العديد من الأمراض المستعصية التي استحل أمرها. إن نفايات المصانع التي تجد طريقها للنهر ستجد طريقها للمزارع والأسماك ومن الطبيعي أن تصل للإنسان.

هل نحن نستخدم مياه النيل؟ كانت طوالت تاريخها دولة زراعية ولا يزال أغلب المصريين يتصورون

قبل أن تستقل بكتيستها

عن المصرية. كانت إثيوبيا أحيانا

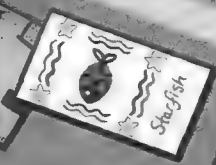
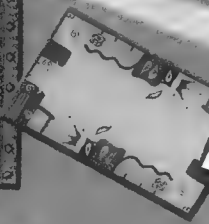
تستخدم خيراً وموظفين مصريين وكانت مصر

أحيانا تدخل في شئون الجبهة

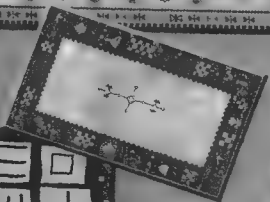
عن طريق الكنيسة



سجاد مساحه الارض لغرض التجميل



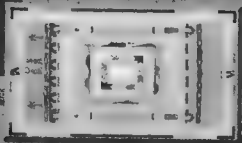
دواسات حمام



متواجدا في مراكز بيع بواقى الت

سجاد

قطع موكيت



سجاد أطفال



مدير المنتشرة في كل ارجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

سادة صلي

www.maccarpel.com

١٤ بعد مرور مائة عام ونيف على وفاة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي، ما زالت صرخته المدوية تتردد حامله معها الكثير من الخيبة والأسف على مرور الزمن واستمرار الأوضاع، وكان يمني الكواكبي قبل مغادرة الحياة، أن ينسأ الناس بعد سنوات عدة لأن صبره على التطور البشري ستعبر أساليبها السياسية والفكرية نحو الأفضل ويتم بالتالي تجاوز الاستبداد بمحتلمت أشكاله إلى نوع متطور من الحياة العامة الفاعلة على ما أسماه بالديمقراطية الدستورية التي تحكم مختلف أوجه الحياة وتدفع بالجماعات إلى تطوير علمها ومعارفها ومكتسباتها وتشكيل الأساس للخروج من دائرة الانحطاط، ولم يرد في خلد أن بعد كل هذه السنوات، سيكون الاستبداد قد تطور وأعيد إنتاجه على نحو أكثر صلابة، بحيث يتم استنهاض آخر ابتكارات الحضارة لزيادة الرقابة على المجتمعات والفعل بها إن هي عبرت عن الرغبة السلمية بالتححر. تهدف هذه المقالة إلى التوقف عند الحديث بدايةً عن الاستقطابات السياسية المختلفة والمتناقضة أحياناً كثيرة، والتي تقع على الفكر النهضوي فتجعله هزلياً أحياناً أو تحوله إلى لغة شعاراتية مبسوجة تخدم فيما تخدم استمرارية الانحلال الفكري والتفوق الأيديولوجي والبحث الدائم عن جمل سهلة من التاريخ تساعد على تجاوز حرج ما في موقع وظرف تاريخي ما، وتتوقف عند موقع العلوم الإنسانية لدى الكواكبي، من حيث أنها علوم متشعبة تدرس الدين والفكر الديني كما تدرس أية ظاهرة اجتماعية أو ثقافية أو حضارية أو غيرها، من دون مقدسات مربية وباعثة على التمسك من تحكيم العقل والمنطق. ومن خلال استعراض أفكار الكواكبي، سأستطرق إلى إسقاطات المفاهيم الحديثة واستخداماتها وعلاقته بالفكر العربي ومناقشته. ولكن، وكتمهيد، أستعيد تاريخه الشخصي تبييناً لواقع اختلف عليها المؤرخون حتى يومنا هذا.

عبد الرحمن الكواكبي.
حياة قصيرة.

ولد عبد الرحمن الكواكبي في حلب عام ١٨٥٤، ودرس في أنطاكية قبل أن ينتقل إلى المدرسة الكواكبية في حلب والتي كان يديرها والده حيث تعلم العربية والتركية والمارسية وتعمق في مبادئ الدين واللغة وأبدى يافعا اهتمامات سياسية حيث كان قارئاً نهماً للكتب والصحف. مما ساعد في تكوين شخصيته الفكرية وتعزيز إرادته بالانتقال من الذاتي إلى العام. فبدأ

الكتابة في الصحافة منذ عامه الثاني عشر. وبدأ محرراً في جريدة الفرات الرسمية ثم أنشأ جريدة الضحايا وهي أول جريدة عربية خاصة صدرت في حلب لتتوقف بعد خمسة عشر عاماً بأمر من الوالي العثماني. وفي عام ١٨٦٩ أنشأ جريدة اعتدال ليتم تعطيلها أيضاً من قبل الوالي لما احتوته من فكر تحريري ضد الاستبداد العثماني. واستمر بالكتابة في الصحف وتقلب بين مناصب عدة حاولت من خلالها السلطة احتواءه واستمالته، وبعد تزايد الصغوط عليه استقال لينتقل لتسجيل شكاوى المواطنين ورفعها إلى الباب العالي من خلال مكتب للمحاماة افتتحه في حلب، مما جعله قريباً من أحوال الناس والأمم معاناتهم. وبعد أن ضاقت به سبل الحياة والتعبير في بلده، وبعد أن ألقى القبض عليه مراراً وسجن وحكم عليه بالإعدام قبل أن تتم تبرلته، غادر حلب سنة ١٨٩٩

إلى مصر سراً، وفي القاهرة اجتمع إلى أصدقاء من المورين لجأوا قبله، فكان اللقاء مع رشيد رضا ومحمد كرد علي وإبراهيم سليم الجار وطاهر الجزائري وعبد القادر المغربي ورفيق المعلم وعبد الحميد الهراوي وغيرهم. ولقد استفاد من تفتح مصر حينه برفض من حرية التعبير وانفتاحها على الثقافة الأوروبية. ولقد صالح مسألة الاستبداد والحكم من تفتح مصر حينه برفض من حرية التعبير وانفتاحها على الثقافة الأوروبية. ولقد صالح مسألة الاستبداد والحكم من تفتح مصر حينه برفض من حرية التعبير وانفتاحها على الثقافة الأوروبية. ولقد صالح مسألة الاستبداد والحكم من تفتح مصر حينه برفض من حرية التعبير وانفتاحها على الثقافة الأوروبية.

الاستبداد المرض المزمن للأمة

لم يرد في خلد
أن بعد كل هذه السنوات،
سيكون الاستبداد قد تطور
وأعيد إنتاجه على
نحو أكثر صلابة

والأرض وشرواتها، فصحت تسميته، الرحالة ك. وبعد نهاية هذه الرحلة التي دامت أشهراً ستة خط كتاباً لم تمهله القية لطابعاته واختفى مع ما اختفى من كتب بعد وفاته مسموماً عام ١٩٠٢ على أيدي عملاء السلطان عبد الحميد، والذين سرقوا ما احتواه منزله في القاهرة من كتب ومخطوطات ويعرف منها كتابا «محافل القروش، والعظمة لله». ويذكر أحد أصحابه، والذي كان يوقع مقالاته باسم «نديم الكواكبي»، واسمه عبد المسيح الأنطاكي. في عام ١٩٠٥ وفي مقدمة طبعة جديدة من «طبائع الاستبداد»، بأنه سينشر لاحقاً كتابين للكواكبي الأول: «أمراض المسلمين والأدوية الشافية لها»، والثاني: «أحسن ما كان في أسس العمران». ويحدث رشيد رضا عن كتاب الكواكبي اسمه «ماذا أصابنا؟ وكيف السلامة؟».

نشأ الكواكبي في حلب عندما كانت



صدامه مع الولد المستبدين واغواهم من المنافقين

الاستقطابات السياسية وتدابيرها

من خلال اعتماد الممارسة السياسية العربية المعاصرة في أغلب الأحيان لادوات ناجعة في تحفيز التفكير والمراجعة. حاولت جميع الأحزاب الفاعلة على المسرح السياسي العربي ان تبحث لها عن مرجعية تدعم من خلالها اطرها الايديولوجية او تعتقد بانها من خلالها تستطيع الوصول الى قباب كانت لها محايمة وان ايراد حالة الرجوع الى فكر عبد الرحمن الكواكبي تنفع كمثال صريح وطريق أحياناً لهذه الظاهرة التي ما فتئت تميز اسلوبية في البحث عن مشروعية سياسية لدى هذا الفكر أو ذاك، حاملة معها تناقضاتها اللامنتظفة

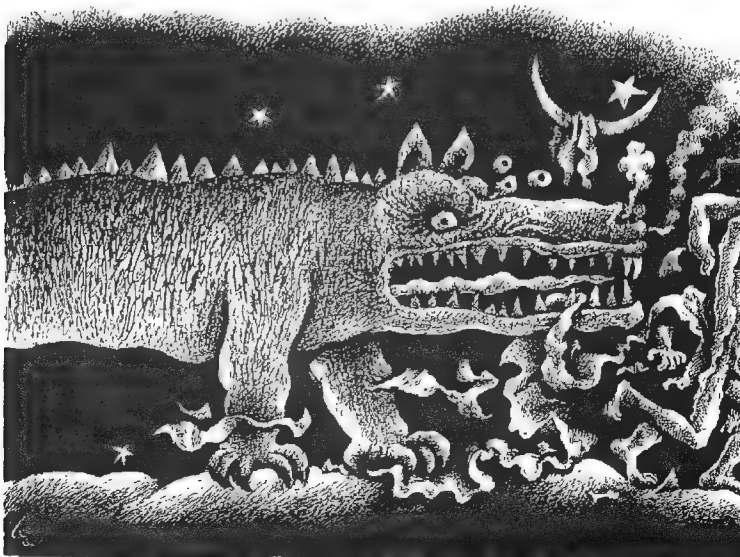
ولاية في السلطة العثمانية المريضة التي دخلت في طور الانحلال، بعد أن تراكمت ديونها واستفحل الفساد فيها. وقد عانت من الظلم والفساد، في ظل سلطان تتسلط مركزية الإدارة، وحول الجيش عن وظيفته الأساسية، من الدفاع عن السلطنة إلى الدفاع عن أمته الشخصي. مستعينا على ذلك شبكة من الجاسوسية الاغيطوطية، ويحرص رقابة مشددة على المطبوعات. بعد مجيء زواد النهضة الأوائل، ظهر الكواكبي ليدفع قدماً مشاريع من سبقوه في محاولة التأثير في السلطة السياسية، وتطوير المجتمع ثقافياً - ليحي دوره في النهضة والتقدم. فكان الكواكبي محصلة اطلاع المفكرين العرب على الفكر الغربي وتكثيفهم من التراث العربي- الإسلامي، وفضلاً عما سبق. نجد عوامل شخصية تكون بعضها من خلال معاناة الكواكبي في انشاء

فكره من الشيوعيين السوريين. قدم ناصافه صورة كبيرة للكواكبي في صدر قاعة مؤتمره الى جانب كارل ماركس ولينين والقائد الودني السوري يوسف العظمة الذي قُتل في يوم دخول الفرنسيين إلى دمشق دفاعاً عنها سنة ١٩٢٠. هنرى هذا الرِبط بين الشخصيات المذكورة على مبدأ التكامل بين الفكرى والروحى والوطنى ولا تحلو بعض الادبيات الحديثة للشيوعيين السوريين من إساءات تتعلق فيما يخص الكواكبي بموضوعى فصل الدين عن الدولة والمعيشة الاشتراكية التي اعتبر ان المجتمع لم يصل بعد إلى مرحلة النضوج للناسيص الصحيح لها.

اما فيما يتعلق بفصل الدين عن الدولة فلهذا اثار هذا الجانب ايضا من فكر الكواكبي انتباه الأحزاب السورية التي حملت لواء العلمانية من السوريين القوميين إلى البعث العربى، ويعتبر

السوريون القوميون، بلوصف الذي أطلقه رعيهمه الطول سعادة حين ذكر بانه يعتبر ان الثورة الفكرية السورية انشأها ناشداه حملة عبد الرحمن الكواكبي. وان كل من اطلع على كتابه قرأ ولا شك عبارة بهذا المعنى: دعونا لنبر شؤنا المدنية ونترك الادبيات تحكم في الأجرة فقط. ومن ناحيتهم، اعتبر القوميون العرب بمختلف أشكالهم ما قبل الإسلامية، ان الكواكبي صاحب ريادة في ترسيخ الفكرة القومية من خلال دعوته الى عودة الخلافة إلى العرب ونبذ عملية التتريك التي تأثرت بها المجتمعات العربية خصوصا في المراحل الأخيرة من عمر الامبراطورية العثمانية

وقام بدورهم أصحاب الاتهامات الدينية المتعددة ودوو الخطاب الدينى التنويرى بجذبه إليهم معتمدين خطابه فى إعادة صياغة بعض مواضعهم، وذلك من خلال



التركيز على مراجعته المعممة لأعراس المسلمين وسبل الفخرف من الأزمات التي تعصف بالمتوسط المعاصرة لتتصكر الإسلامي. مستمدين من ذلك على أن الإصلاح الديني لا يعني إصلاح الدين وإنما هو إصلاح في النظرة إلى الدين والتعامل معه به. ويشهد أصحاب هذا التيار على أن الفكر النهضوي أكد على السلف الصالح والأسس العقائدية لتدسين منهج إياها مما اعتراه من طفيليات سياسية واستبدادية فخرًا وممارسة. ويرفض هذا التيار فكرة أن الكوكبية كان صاحب العلمنة المؤمنة. وينزعون عنه ريادة فكرة فصل الدين عن الدولة.

وتستمر الخلافات بين من يقول بعلمانيته ومن يقول بسلميته، فهي إحدى الدنوت. "احتج أحد الباحثين على تسمية الكوكبية إياها عنها بأنه من رموز العلمانية النهضوية. ودينياً ليس بذى درجة فقهية تسجده هذا اللقب فكان جواب أحد رجال الدين رافضاً أن يكون صفة الإمامة وإلقاها على رجال الدين والفضاء. أي صفة دينية، بل هي صفة مدنية تطلق على كل من يكون راداً في مجاله. كما استخدمها العرب من قبل في صيغ عديدة مثل إمام النجاة وإمام البلاغة.

هناك أيضاً رغبة لدى الباحثين المعاصرين في إيجاد مرجعية فكرية عربية وإسلامية لفهمهم كحضرة الإنسان مثلاً. فأغلب الأعمال الفكرية تبسح ويشكل قاطع، دوراً أساساً لفكر عصر الأنوار الأوربي في تكوين مفهوم حقوق الإنسان لدى مفكرى العرب والمسلمين. ويستأنه قلة، فإن الباحثين في الغرب يفسرون ظاهرة تكون الوعي بحقوق الإنسان عبر دخول الأفكار التقدمية الأوروبية المرحمة. فكانت الحاجة لعودة إلى مفكرين كالكوكبية للإجابة على السؤال الألى: هل حقوق الإنسان ليست غربية جوت رزاعتها في الشرق. أم أنها ظاهرة ذات صدى كوني متواجدة في الإطار الحضارى للمنظمة أيضاً؟ إذا، تعددت الاستقطابات ويمكن اعتبارها ظاهرة إيجابيه من ناحية أنها تشير إلى رغبة شاملة للتصبر في فكر نهضوي تنويري ديمقراطي. ولكنها من جهة أخرى، تدل ويقط، على ضعف عملية إعادة الإنتاج الفكرى العربى وتشبته بالواقع الماشى مهما كانت إيجابية الواقع. إياها بالمحمل، محاولات نجحت في آميحاء، إلى آميحاء أخرى انجرفت نحو مجرد الرغبة في الاستئثار الفكرى والوجه عن شرعية مفقودة.

ولمعرفة الأفكار السياسية القائمة عليها الاستقطابات السياسية الحديثة، يتوجب التوقف عند بعضها بقراءة معاصرة والتفاني فيها بفحص المشاكل

الأهم التي تعترض طريق التطوير والنهضة حتى يائسا هذه.

الحريات الأساسية والاستبداد،

ولما كان ضبط أخلاق الطبقات العليا من الناس من أهم الأمور. أطلقت الأمم الحرة حرية الخطابة والتأليف والطبوعات مستثنية القنن فقط. ورات أن تحمل مضرة الفوضى في ذلك خير من التحديد. لأنه لا ضامن للحكام أن يجعلوا الشرعة من التقيد بسلسلة من حديد يخنقون بها عدوتهم الطبيعية أي الحرية (...). فالحرية إذا، ليست كما تسرده النفوس السالطة. واجبة الارتباط بالمسؤولية. كون هذه الكلمة الأخيرة تحمل ناقوس السبيل كل قيود الحرية ومخاوفها. بل وكل ما ينشئ ضررها. فحتى الفوضى الناجمة عن الحرية محمودة وليست بحاجة إلى قيود.

وكان البرز للشخص والذي أصاب كل توجه الحياة بالنسبة للكوكبية هو الاستبداد. (١٠). ويكفي هنا الإشارة إلى أن صفة الاستبداد، كما تشمل حكومة الحاكم الفرد المطلق الذي تولى الحكم بالعلية أو الوارثة، تشمل أيضاً الحاكم الفرد المقتد المنتخب متى كان غير مسؤول. وتشمل حكومة الجمع ولو منتخبا: لأن الاشتراك في الرأي لا يخلو الاستبداد، وإنما قد يصده الاختلاف نوعاً، وقد يكون عند الاتفاق أضمر من استبداد الفرد. وتشمل أيضاً الحكومة الدستورية المفردة فيها بالكلية قوة التشريع من قوة التنفيذية وعن قوة المراقبة: لأن الاستبداد لا يرتفع ما لم يكن هناك ارتباط في المسؤولية، فيكون المسؤولون مسؤولين لدى المضرعين، وهؤلاء مسؤولين لدى الأمة. تلك الأمة التي تعرف أنها صاحبة الشأن كله. وتعرف أن ثرابها أن تنقضى الحساب. وقد اعتبر أن أشد مراتب الاستبداد التي يتعمد بها من الشيطان من حكومة الفرد المطلق، الوارث للعرش، القائد للجيوش الحانز على سلطة الأمة. ولذا أن نقول كلما قل وصفت من هذه الأوصاف، خف الاستبداد إلى أن ينتهي ليحكم المنتخب المؤقت المسؤول

فعلا وكذلك يخف الاستبداد كلما قل عدد نفوس الرعية، وقل الارتباط بالأملات الثابتة. وقل التثاقب في النزوة. وكلما ترقى الشعب عن العرف. (١١). والحكومة من أي نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد، ما لم تكن تحت المراقبة الشديدة والاحتساب الذي لا تسامح فيه، كما جرى في صدر الإسلام في ما نغم على عثمان. ثم على علي رضي الله عنهما. وكما جرى في عهد هذه الجمهورية الحاضرة في فرنسا في مسائل النياشيس وينامو وديغوش ومس الأمور المضرة طبيعة وتاريخها أنه، ما من حكومة عادلة تأمن المسؤولية والمواخاة بسبب غلبة الأمة أو التمكن من إغفالها إلا وتسانع إلى التلبس بصفة الاستبداد، وبعد أن تتمكن في لا تتركه وفي خدمتها إحدى الويستلتن العظميين: جهالة الأمة. والجنود النطمة. ولا يميز هذه الغلبة، التي هي المبرك لسلالة سيطرة الأجهزة العسكرية على الحياة المدنية مفهوماها الحديث، فيأمرهم من أن هذه الأمة، على حد قول الكوكبية. لازمت العرب والمسلمين بشكل صدم. ولكنها طورت نفسها من خلال إجماع الحداثة في الضمنية العسكرية. عالجندية: تفسد أخلاق الأمة، حيث تعلمنا الشراسة والطاعة العمياء والاتكال. وتؤيد الشايط وكثرة الاستقلال. وتكلف الأمة الإنفاق الذي لا يطاق: وكل ذلك منصرف لتأسيس الاستبداد الشهور: استبداد الحكومات الفاضلة لتلك القوة من جهة، واستبداد الأمم بعضها على بعض من جهة أخرى. فما هي أهم المفاهيم الحداثية المرتبطة بروح العصر والتغيرات الهامة التي عرفها العالم في نهاية القرن التاسع عشر؟

المفاهيم الحداثية واستملاءاتها،

لقد اعتبر عبد الرحمن الكوكابي أن ليس لنا مدرسة أعظم من التاريخ الطبيعي. أو برهان أقوى من الاستقراء في كل شؤون الأمة. واستعاض عن الخصيبيات الملزمة لأصحاب الفكر التقليدي بتوجه علمي استقراني يبحث

فيما يبحث عن أسباب التخلف والأزمات في التاريخ مستخلصاً دروسه من دون أن يجتر قانعا في تاريخ أمجاد وانتصارات ما قتر يرسخ في ذهنيته فاسدة. ولقد واجه كما غيره من نهضيين القرن التاسع عشر مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبد الله تاريخية عنوانها الرئيسي تقدم أوروبا وتقهقر حال العرب والمسلمين في العالم، فكان الأساس في الإصلاح بالنسبة لهم هو الاعتراف بحقيقة أن الانحطاط الداخلي والاع هناك حاجة ماسة للبحث عن مخرج من هذا المازق التاريخي لاستعادة السيطرة على المصير الذاتي. وتيسر من معاصريه وعن الكثيرين ما أتوا بعده. بفضل المطلق لفكرة الاستقراء الاستنير أو الرافض. في كتاباته للتحقق في مشروع أساسي يقوم عليه فكره وهو فصل الدين عن الدولة. ولقد اختلف محطو خطابه الديني والسياسي على هذه النقطة. فمن القول بأنه راد هذا الفكر عربياً التاريخياً لا لاستعادة السيطرة على المصير هذا الموضوع لا من قريب ولا من بعيد. ولكن كإداة متممة للكوكبية لدعم أصحاب فكرة الدين في فصل الدين عن الدولة لأنه ناذي بإلغاء الدولة الدينية كدولة سياسية. وعند دعوتيه لعودة الخلافة إلى العرب، فهو يعتبر أنها ضئيل للرباط الديني حيث تنحصر مهام الخليفة في حل المسائل المدنية ويقول في ذلك: يجب على الخاصة منا أن يعلموا العامة التمييز بين الدين والدولة، لأن هذا التمييز أصبح من أعظم مقضيات الزمان والمكان اللذين نحن فيهما. فإذا لم يردك عامتنا كان الخطر محيطة أبداً بغامتنا. وأضاف، لو سأت صامتاً اليوم منه لوجدتهم يعتقدون أن الدين لا يقوم إلا بالدولة. والدولة لا تقوم إلا بالدين، وأنهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر. وهذا خطأ مبين. وأوضح الكوكابي معالم الخطأ بالقول: بالعرض المخصوص من الدولة والغاية التي تسعى الدولة إليها في زماننا أنه هي غاية الدولة محصية، وأضى بها تأمين الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، ومن الشرائع العارضة لهم وإنفاذها سيم. وأما الدين، فالغاية المخصوصة منه واحدة على اختلاف الزمان والمكان وهي صلاح في هذه الدنيا حتى يدخلوا جنات النعيم في الآخرة. توقف الكوكابي منه ميذا حداسي آخر حول ضرورة فصل السلطات داخل جهاز الدولة لتجنب أن تتحول السلطات إذا اجتمعت إلى مصدر استبداد عظيم، فيستاءل: هل تجمع سلطتين أو أكثر في شخص واحد أم تخصص كل وظيفة من السياسة والدين والتعليم بمن يقوم بها بإتقان؟ ولا إتيان إلا بالاختصاص ولذلك لا يجوز الخلط معنا الاستقلال



قراءة متمعة للكوكابي

تدعم أصحاب فكرة الريادة في فصل الدين عن الدولة لأنه ناذي بإلغاء الدولة المدنية كدولة سياسية



السلطة. لقد طرح أيضاً موقفاً من تطوير أساليب العمل السياسي بعيداً عن وعي عميق لمفهوم الديمقراطية وحتمية التحول إلى النظام البرلماني الحر. انطلاقاً من التنبيه إلى عدم جوار العودة بالتفكير إلى الماضي الجيد والحلم بإعادة إنتاجه والاستعاضة عنه بحضور أكثر واقعية وتعبيراً عن متطلبات العصر السياسية وتعتبر جمعية أم القرى التي تخيلها هي تعبير صريح عن رغبته بوجود مؤسسات يتبادل صمتها أهل العلم الآراء ويعملون على الاجتهاد والتفسير بأسلوب جماعي منتج. وهو يعتبر بأن مجرد قيام مثل هذه الجمعية هي بمثابة قيام المبادرات، خصوصاً إن وقعت بتأسيس جمعية قانونية منتظمة. لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها التأييد على مشروعاتها صمماً طويلاً يفي بما لا يفي به عصر الواحد العزلة وتأتي بأعمالها كلها بهزائم صادقة لا يفسدها التردد. إن هذا يخطو خطوة كبيرة باتجاه توضيح أهمية المؤسسة في نهوض الأمة.

دور العلوم الإنسانية في دعم فكرة الحرية وترسيخ حقوق الإنسان

المستبد يعرف بأنه ليس بمقدوره السيطرة والتحكم إلا في حالة كانت فيها الرعية حفاة تتخبط في ظلامه جهل. وبالتالي، فإنه أعداء المستبد كما يرى الكواكبي هم العاملون في العلوم وليس كلها، فاستبد، لا يخشى علوم اللغة، تلك العلوم التي بعضها يقوم اللسان واكتراه هذا وهذان يضع به الزمان، نعم، لا يخاف علم اللغة إذا لم يكن وراء اللسان حكمة حامس تعقد الألوية، أو سحر الناس محل عند الجيوش، لأنه يعرف أن الزمان صنيان بأن تلد الأمهات كثيراً من أمثال، الكميح وحسان أو مولتسكيو وشيلدر. وكذلك لا يخاف المستبد من العلوم الدينية المتقلبة بالمعاد، المختصة ما بين الإنسان وربه، لا متقلبة أنها لا ترفع أفكاره ولا تزيل غشاوة، إنما يتلوى بها المتوسون للعلم، حتى إذا صاع فيها عصرهم.

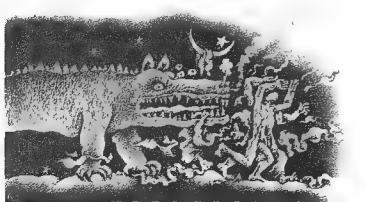
وامتلات بها أدمغتهم، وأخذ منهم العزور. فصاروا لا يرون علماً غير علمهم، فحينئذ يأمن المستبد منهم كما يؤمن الشكران إذا خمر. على أنه إذا نفع من منهم البعض وتناولوا حرمة دين الفواح، لا يقدم المستبد وسيلة لاستخدامها في تأكيد أمره ومجاراة هواه في مقابلة أنه يصحك عليهم بشيء من التحليل، ويبدأ افواههم بلفظيات من مائدة الاستبداد، وكذلك يخاف من العلوم الصناعية حصصاً، لأن أهلها يكونون مسالمين صمداء النفوس صفار الهمم. يشترتها المستبد بقليل من المال والإعزاز، ولا يخاف من المذنبين، لأن أكثرهم مثبوتون بإيثار النفس. ولا من الرياضيين، لأن غايتهم قصار النظر. المستبد يخشى من العلوم الإنسانية التي تستمر مهمته حتى يومها هذا في كل الحضارات العربية والإسلامية، مثل الحكمة النظرية، والعلمفة العقيدية. وحقوق الأمم وطبائع الاجتماع، والسياسة المدنية، والتاريخ المفضل، والحظاية الأدبية، ونحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس، وتوسع العقول، وتعرف الإنسان ما هي حقوقه وكفهم مغبون فيها. وكيف وطن، وكيف التوال. وكيف المخطئ. ولا تلحظ في الجملة الأخيرة الجواهر الأساسية لمفهوم حقوق الإنسان كما ترسخت من خلال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨. ويمارس المستبد قسمة وتهميشه للنشطين في هذه الحقوق وخصوصاً المندفعين منهم لتعليم بقية بالخطابة أو الكتابة. وبالأخص، أن المستبد يخاف من هؤلاء العلماء العاملين الراشدين المرشدين. لا من العلماء المناققين. كما يبعث المستبد العلم لتناجيه، يبعثه أيضاً لدلائه، لأن للعلم سلطاناً أقوى من كل سلطان. فلا بد للمستبد من أن يستحق نفسه كلما وقعت عينه على من هو أرقى منه علماً. ولذلك لا يحب المستبد أن يرى وجه عام عاقل يوقف عليه فحراً، فإذا اصطر لفلن الطبيب والمهندس يختار العلم المتصاغر المتعلق. وعلى هذه القاعدة ينشأ وجه عام عاقل يوقف عليه المتاملون (وهذه طبيعة كل المتكبرين. بل في غالب الناس، وعليها مبنى شأنهم على

كل من يكون مسكيناً خائلاً لا يرجو الخير ولا لشرف. وينتج مما تقدم أن بين الاستبداد والعلم حرباً دائمة وطرداً مستمراً. يسعى العلماء في توفير العقول. ويستحدث المستبد في الإسلام تورها. والطرفان يتجادلان العزوم ومن هم العزوم؟ هم أولئك الذين إذا جهلوا خافوا وإذا خافوا استسلموا. كما أنهم هم الذين متى علموا قالوا. ومتى قالوا فعلوا. والحال أن الاستبداد والعلم صدان متعاليان. فكل إدارة مستبدة تسعى جهداً في إطفاء نور العلم. وحصر الرغبة في حالك الجهل. والعلماء المستبدان يفتنون أحياناً في مصابيحهم. فالحسيد منهم من يتمكن من مهاجرة ديار. وهذا صلب أن كل الأنبياء المطام - عليهم الصلاة والسلام - وكثر العلماء والأعلام والأدباء والتبلاء - تلقوا في البلاد وماتوا غرباء..

كيف النظر إلى الغرب

وعى الكواكبي مسألة التأخر والتقدم من خلال المقارنة التي أجراها بين أوضاع الشرق وأوضاع الغرب. وكان في ذلك يسير على خطى من سبقه من رواد النهضة العربية الذين تثاروا بما سمى به صدمة الاحتكاك بالغرب. وأردك بأن سير المجتمعات الإسلامية على طريق الترقى يتطلب الانتفاخ الحضاري على الآخر، التقدم والاقتباس المشروط منه على قاعدة التعامل الإيجابي والنقد البناء. ويقر الكواكبي بأن الغرب، بالرغم من مبادئه وندائيرد القاسية ونزعته إلى الاستباحة. قد نال المراد أو عصمه من تحرير الأفكار وتهذيب الأخلاق وجعل الإنسان إنساناً. لم يتمكن الكواكبي من السفر إلى أوروبا ولم يتمكن أيضاً من اللغات الفرنسية أو الإنكليزية. ولكنه أبدى معرفة عميقة بالنتاج الفكري الذي عرفه الغرب إبان انبعاث النهضة الأوروبية.

ومثلى ذلك من خلال لترجمات التركية لأبحاث الكتب من قبل بعض المشورين الاتراك مثل نامق كمال. ولكن أيضاً. تعرف لكواكبي من خلال صداقته لعائلات ايطالية كانت متقيمة في حلب التي اتحد فيسوقهم الكبير فيسوزي أنيسيرى. ولقد تبسنى في نظره أني تعرب تفكيراً عقلياً ميز عصر النهضة العربية. حيث اند لبرالية الطبيعة الوسطى في أوروبا. مطالباً بحكومة دستورية. وتحديد سلطة الحكومة. وتأمين حرية الفرد؛ لكن ذلك تم استناداً إلى أسس عقلية من مطلق إسلامي. لقد حاكم الكواكبي الاستبداد استناداً إلى تراث العرب في الحرية. وإلى مايطالند كرات الإسلام. وإلى ما لاحظته في السكر الغربي. فهو بعد أن انتقح عقلياً بالافكار القادمة من الغرب. راج بحث عن جذور دينية لقضاياه. وآياه القائل أن صلاح الحاكم والحكم من صلاح الرعية. إنما يؤكّد مسطقة الإسلام التي يصدر عن حديث: (كما تكونوا يولى عليكم) ومع ذلك فإنه كثيراً ما يورد دلائله من العقل والنقل وهو لا يمانع من الأخذ عى الغرب. مع الإبقاء على الخصوصية العربية الإسلامية. وعدم التقليد الأعمى لا للغرب ولا للتراث. فهي ليست مسألة استعارة بل استيعاب لا يطرحه الآخر. والتصرف وفق الواقع الذي يحيايه والذي علين أن لنطلق منه لإصلاح الحارة الدينية وتحسين الشريعة وشاعة العلم لقائمة الاستبداد. ولقد توقف عند علم السياسة كونه علماً غريباً بامتياز. واعتبر أن العربيين قد توسعوا في هذا العلم وأنفوا فيه كثيراً وأبشعوا تفصيلاً. حتى أنهم افردوا بعض مباحثه في التاليف بمجلدات ضخمة. وقد ميزوا مباحثه إلى سياسة عمومية. وسياسة حارجية. وسياسة إدارية. وسياسة اقتصادية. وسياسة حرفية. إلخ. وقسموا كلأ منها إلى أبواب شتى وأصول وفروع. ويعاقل ذلك. تأخر الشربون عن فهم هذا العلم والتعامل معه بعلمية عصرية عدا بعض الاستثناءات التي جدها بالأسماء. فص



كان الأساس في إصلاح بالانسيبة لهم هو الاعتراف بحقيقة أن الانحطاط الداخلي واقع

النصوص شيئاً.. وجعل المسلمين
الخاصين للاستياد يشغلون أنفسهم
«بالسعادة الآخوية»، ويبعدون عن فكرهم
«أن الدنيا عنوان الآخرة».

هل العودة إلى فكر الكواكبي مجددية في هذا العصر؟

الإجابة على هذا السؤال تكون حتماً
بالإيجاب رغم ما يمكن أن يعترضنا من
نقد، فمراجعة شامية للأفكار التي وردت
في هذه الدراسة تبين مدى أصالة هذه
الفكر وحدائثه، فبالرغم من أنه يمكن
القول بأن الكواكبي كان سلفياً، مثله مثل
غيره من رواد الإصلاح الديني، إلا أن
سلفيته كانت وطيفة بمعنى من المعاني،
لكونها هدفت إلى إضفاء نوع من
المشروعية على توجيه الإصلاح عبر
الرجوع إلى نموذج، مثالي، إقامه السلف
في بدايات الإسلام، أي في عهد النبي
محمد والخلفاء الراشدين الأربعة، وقد
أطلق الكواكبي على هذا النموذج
«الإسلامي المثالي» للحكم والحياة اسم
«الإسلامية»، تمييزاً له عن الإسلام كدين
وعقيدة.

فإن أن شعور الكواكبي بالحاجة إلى
الاستناد إلى نموذج من الماضي لا يعني
بأنه كان ماضوياً، خصوصاً أنه عبر في
كل ما كتبه تقريباً عن توجه نحو
الاستقبال، فحذر قومه من خطر التقليد
والتمية للأسلاف، وخطابهم بقوله: «أنتم
بمديدون عن مفاخر الإبداع وشرف القدوة»
مبتلون مداء التقليد والتبعية في كل فكر
وعمل ويبدأ الححرص على كل متعيق،
فلماذا تقلدون أجدادكم في الخرافات
والأمور السفالات ولا تقلدوهم في
محامدهم؟، وأكد أكثر من مرة بأن رثائه
هو على «الناشئة» من الشباب الذين
يمثلون «ضباب اليوم رجال الغد شباب
الفكر رجال الحد»، وقد توجه إلى هؤلاء
الشباب ودعاهم إلى الكد وبذل الجهد من
أجل أن يحيا «حياة رصية يتسنى فيها
لكل منهم أن يكون سلطاناً مستقلاً في
شؤونه لا يحكمه غير الحق وشريكاً أميناً

لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء
والهناء وولداً باراً لوطنه لا ييخل عليه
بحرمة من فكره ووقته ومحباً للإنسانية
يعمل على أن خير الناس أنفعهم للناس».

وفي ميدان الإصلاح السياسي،
ويستأد إلى تجارب الحكم الديمقراطي
العرب، الركن الكواكبي على ضرورة قيام
أنظمة دستورية برلمانية في المجتمع
الإسلامي على قاعدة الانتخاب الحر
والفصل بين السلطات، فاستلحق من أن
الإنسان القرصي قد نجح في الزمن الأخير
في التوصل إلى قواعد أساسية، في باب
تقرير شكل الحكومة، تضاعف عليها
العقل والتجريب وحصلت فيها الحق
السياسي، فصارت بعد من المقررات
الإجماعية عند الأمم المتقدمة، ووضع
الكواكبي على رأس هذه القواعد قاعدة
تقييد الحكومة بقانون موافق لرغائب
الامة، يضعه «جمع منتخب من الامة»
ويتيح لها فرصة «التصرف في مراتب
العظمة ورواتب المال، ويجعلها مسؤولة
عن تقرير النفقات العامة، والإشراف
على «إعداد المنة»، ويجعلها حق
السيطرة على الحكومة ومساءلتها»
والإضافة إلى هذه المقاصد، أشار
الكواكبي إلى ضرورة انحصار السلطة في
القائدين، إلا في ظروف مخصوصة
مؤقتة، ومساواة الجميع أمام القانون
الذي هو أحكام، تتساوى لديها كل طبقات
الناس وله سلطان نافذ قاهر، وإضافة
مسؤولية إقامة العدل بالقضاء «المصور»
وجدانهم من كل مؤثر، والذين يتمتعون
بإستقلالية تامة، وعدم تدخل الحكومة
في أمر الدين «ما لم تنتهك حرمة»،
وعدم جواز الجمع بين وظائف السياسة
والدين والتعليم، «منعاً لاستعمال
السلطة، وتوزيع الأعمال والوظائف
بحسب الكفاءة، وضبط إنفاق الحكومة
ومنعها من التهاجر «بالترتيبات غير
المفيدة مادياً، وإلزامها بالاعتدال
المتناسب مع الثروة».

والواقع، أن الكواكبي قد ذهب، في
دعوته المسلمين إلى تبني نموذج
الحكومات الدستورية العادلة القائمة
على الفصل بين السلطات وعلى ضمان
الاستقلال الشخصي لأفرادها، إلى حد

اصبر أن تلك الحكومات تجعل الإنسان
يعيش في وطنه، المحبة التي تنهه في
بعض الوجوه، ما وعدته الأندلس لأهل
السعادة في الجنان، مؤكداً بأن أنعم ما
يلهمه الشرق في البشر هو «إحكامهم
أصول الحكومات المنظمة ومناهم سداً
متيناً في وجه الاستبداد، وذلك يجعلهم
لا قوة فوق الشرع ولا تعود لغير الشرع»
ويجعلهم قوة الشريعة في يد الامة،
ويجعلهم المحاكم، تحاكم السلطان
والصعلوك على السواء وتكاد تحاكم في
عدالتها المحكمة الكبرى الإلهية»
ويجعلهم مأموري الحكومة، القائمين
بالأعمال العمومية لا سبيل لهم على
تقدي حدود وظائفهم، كأنهم ملائكة لا
يعصون أمراً، ويجعلهم الامة، يقظة
ساهرة على مراقبة سير حكومتها لا
تفعل ولا تتسامح، ففي نظره ليست
الامة «ركام مخلوقات ثامية، أو جمعية
عبيد لملك متسلط»، بل هي «جمع بينهم
روابط جنس لربعة ووطى وحقوق
مشتركة»، أما الحكومة، فهي ليست أكثر
من «وكالة سياسية تقام من قبل الامة
لأجل إدارة شؤونها المشتركة العامة»
بحيث تضمن الاملاك العامة وتكفل
الحقوق العمومية للجميع، على
التساوي والتشيع».

ولقد وجدنا بأن الكواكبي قد حذر من
الخلط بين حقلي السياسة والدين، ورأى
بأن السلطة الدينية والسلطة السياسية
لم تتحد في الإسلام إلا في عهود
الخلفاء الراشدين، مؤكداً بأنه لا يوجد
في «الإسلامية» نفوذ ديني مطلقاً، «في
غير مسائل إمامة الدين»، كما حذر من
مخاطر «الاتجار، بالدين واستغلاله في
إكداة النزعات الطائفية والتعرة الدينية»
واستشهد، في هذا الصدد، بالأمم الغريبة
وبخاصة في «استراليا وأميركا» التي
«عدها العلم لطراف شتى وأصول راسخة
للاتحاد الوطني دون الديني، والوفاق
الجنسي (القسومي) دون المذهبي»
والإلتزام السياسي على الإداري، داعياً
قومه العرب من المسلمين والمسيحيين إلى
الاقتراف بعد الأمم، «دون تدبر حياتنا
الدنيا، وتجعل الأديان حكم في الأخرى
قط، دعونا نجتمع على كلمات سواء، ألا

وهي فلتحي الامة، فليحي الوطني
فلنحس طلقاء أهواء»
إن التوفيق عند فكر عبد الرحمن
الكواكبي في هذه المرحلة بالذات يدخل
في محاولة لتسيير التسييرولوجي
«التاريخية لمعاداة التناصير العنصرية
والوطني لمناهضة التنوير والإصلاح في
محاح صعب يصل حد العداة اما رسمياً
«و اجتماعياً لأسباب مركبة يتداخل فيها
الديني بالتألفي بالجاهلي، وإن تهيمش
الحوار العكري هو مسبب أساسي لاجتدار
الامة».

ما زلنا اليوم نعيش في ظروف ليست
ببعيدة جداً عما أشار إليه «ما لا يستأد
وتطورت أوانه فهو مازال يرتفع في ريع
العديد من الدول ومجتمعاته والاطلاعية
في بعض من الفكر والممارسة الدينية ما
زالت تثار صرخة صمطا، على الإبداع والفكر
والتصوير».

هناك سؤال ملح يواجهه قارئ رواد
النهضة في ظل السلطنة العثمانية، ما
هو السر في أن يكون متاحاً للشعوب
الاندك تلك الحرية في إعادة النظر في
محرمات غير قابلة للنقاش الآن ومحيية
حق التشك نكل شيء وأعمال العقل؟

ويغني النظر عن التجاذبات العكورية
التي تشكلت مشيداً إيجابياً في مسرح
الحياة السياسية والحياة الثقافية، فإن
فكر عبد الرحمن الكواكبي شني ودم
يدعو إلى مبادئه كل صاحب فكر حر
ومستبدر، إن امبراشه ما زال يحظى
بالاهتمام من خلال حساسيته لموضوع
الديمقراطية وهجومه الضكري على
مفهوم السلطة المطلقة بحثاً عن مشروع
مجتمع مدني كما يدكر جكار داروت وهو
يشير دائماً إلى دور المثقف (الخاصة)
في نشر الوعي وقيادة المجتمع عبر
العلم والمعرفة بعيداً عن كل أشكال
التشويش والمداينة بتوجه إكل افلاذ
ما نال الرماح يصن علينا رجال ينهون
الناس ويرفعون الأتنياس ويكونون حزم
ويعملون عزم ولا ينعكضون حتى ينالوا ما
يقصدون



والسلطان الشرقي

يستحلف الرعية على القاهر والطاعة

سيرة ذاتية

وليد محمود عبد الناصر

وعرض الكتاب لمحاولات توحيد المصالح الشيوعية المختلفة منذ مطلع الحلقة الثانية للحركة الشيوعية المصرية. وساطعة أطراف شيوعية خارجية. عربية وأجنبية. للتوصل إلى هذا الهدف. ويرجع الكتاب فشل محاولات توحيد الفصائل الشيوعية المصرية أيضاً إلى عدم إفصاح المجال، حتى داخل الخلافات، لمناقشات فكرية وسياسية مستفيضة للخلافات تؤدي للتوصل إلى قناعات ومواقف مشتركة. فبدلاً من إيجاز الوحدة داخل الخلافات لتصاصعت الانشقاقات.

وبالرغم من أن الكتاب يشير في مرات قليلة خلال الكتاب إلى دور عوامل خارجية في ظاهرة التشرذم التي أصابت الحركة الشيوعية المصرية في حلقتها الثانية، فإنه، من وجهة نظرنا، لا يوفي هذا الأمر حق قدره. فلا نعرف إلا قليلاً عن دور أحزاب شيوعية خارج مصر - خاصة الحزب الشيوعي السوفيتي - في إحداث هذه الانقسامات أو التسبب فيها أو اتخاذ مواقف إزاءها، كما لا يعرض المؤلف بشكل كاف لدور السلطة السياسية في مصر، في الحقبين الميكية والناصرية على حد سواء، في الدفع نحو هذه الانقسامات. وكذلك دور قوى سياسية أخرى في مصر في تسهيل أو الإسراع بحدوث هذه الانقسامات، خاصة في الفترة الليبرالية السابقة على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

كما يعرض لنا الكتاب لتجادل من لغة الخطاب السياسي فيما بين هذه التنظيمات الشيوعية المصرية أو من أحدها عن باقيها. لنجد أنفسنا هنا أمام لمة اتهامات بالعمالة والخبائنة تكاد تفوق الاتهامات التي تكيها لك التنظيمات الشيوعية لتخصوم الأيديولوجيين والسياسيين للماركسية والحركة الشيوعية. كما تضمنت الاتهامات التبادلية الاتهام بالعداء للوحدة الوطنية (١) والمركزية المطلقة، والأعمال من الشعب والشيوعية العامة، والبياسرية الجوفاء (٢)، بالإضافة لاتهام كل تنظيم لآخر بأنه مكون من أبناء البياضات، وراكي السيرات والخنزيرة، ويركز المؤلف طوال الكتاب على إبراز ظاهرة التفتت التي عانت منها الحركة الشيوعية

إلا أننا لا نجد عبر الكتاب إلا قليلاً من الاستعانة بمصادر إما معادية لهذه الحركة، أو كتابات علمية عن الحركة وتاريخها وبورها، أو عن حقوق تحديد. كما أنه من اللافت أنه بينما استعان المؤلف مثلاً بكتاب مصطفى طيبة عن دمكرات السيد/كمال الدين رفعت، فإنه لم يستعن بالمؤلف الهام لمصطفى طيبة نفسه عن الحركة الشيوعية المصرية ما بين ١٩٤٥ و ١٩٦٥.



والآن لننقل إلى جوهر الكتاب ذاته، فهدنة ينتهي الطارئ من فترة آخر صفحة من صفحات الكتاب، يدرك شيئاً أنه من الصعب الحديث عن حركة، شيوعية مصرية واحدة، فتلك الحركة خلال الفترة التي يتعرض لها الكتاب كانت أبعد ما تكون عن الوحدة. حتى من الناحية النظرية، سوى لفترات وجيزة للغاية، وحتى خلال تلك الفترات المحدودة، فإن الانقسامات كانت متجذرة بداخلها. وكانت المحاور مركزة على الانتماءات التنظيمية لكل شخص أو مجموعة. ويحرص المؤلف طوال الكتاب على إبراز هذه السمة التي يعتبرها مميزة للحركة الشيوعية المصرية في حلقتها الثانية، ويعرض المؤلف أمثلة كثيرة على تبادل الاتهامات فيما بين التنظيمات الشيوعية بالتخوين ومقاطعة كل طرف للباقيين واتهام كل طرف للآخر. «السي تخربون مسيرة الطبقة العاملة، أو التحريفية، بالإضافة إلى اتهامات العمالة بالأجهزة الأجنبية، وكذلك الاتهامات بالانزالية والانهازية وضيق الأفق. وثقلت صفحات الكتاب الاتهامات إلى أمر يبدو غريباً ولكن الأمثلة كثيرة، ألا وهو أن كل فصيل شيوعي مصري في الفترة محل الدراسة كان القدر على العمل والتعاون بل والتنسيق مع قيادات سياسية غير شيوعية بشكل أكثر سهولة من العمل أو التعاون مع فصائل شيوعية! ويكرر الكاتب اعتبار طابع الانقسام والتشرذم مرضاً، جينياً، أمتد لاحقاً إلى الحلقة الثالثة من الحركة الشيوعية المصرية.

الحركة الوطنية المصرية. إلى أن يطلق عليها تعبير وفد الشيوعيين - أي ما يماثل حزب الوفد بالنسبة للشيوعيين المصريين. والمقصود هنا أن، حدثت، كانت تنظيم الأغلبية داخل صفوف الحركة الشيوعية المصرية في سياق الممارسة مع وضعية حزب الوفد المصري كحزب الأغلبية في الحياة السياسية المصرية ما بين عام ١٩٢٣ وحتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢. ويتبع المؤلف نشأة وتطور، حدثت، تلك الفترة الزمنية الثرية بالأحداث. وإن كان تركيزه أكثر على الفترة الممتدة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى قرار الحل أو إنهاء الوجود المستقل في مارس ١٩٦٥. ويستعرض دورها الفكري والسياسي والاجتماعي وعلاقتها ببقية التنظيمات الشيوعية المصرية، وخارج مصر. وبالسلطات السياسية المصرية والجمتمع المصري والمختلفة. وأيضاً بالتطورات الإقليمية والدولية خلال تلك الفترة. أما الخاصية الثانية، فهي أن المؤلف الأستاذ محمود الوردي يقر في مقدمة كتابه أنه، وإن انتمى للحركة الشيوعية المصرية كمرحلة ما من الحلقة الثالثة لهذه الحركة، أي التالية لقرار الحل أو إنهاء الوجود المستقل عام ١٩٦٥، بل يتعرض لاعتقالات بسبب انتمائه للحركة الشيوعية، فإنه لم يهتم قدر إلى تنظيم، حدثت، ولكنه يشير إلى أن ما شجعه على الصبي في إعداد هذا الكتاب هو حد اعتدائه كثيرين له من انتماءوا ، حدثت، على القيام بهذه المهمة. وتعلق الخاصية الثالثة بأن من قدم للكتاب هو الأستاذ محمود محمد يوسف الجندي. أحد الأقطاب البارزين للحركة الشيوعية المصرية. ونجل يوسف الجندي رئيس جمهورية رفعتي خلال ثورة ١٩١٩، والكاتب والناشر الشهير، والذي يقر في تقديمه بموضوعة وحيدة تناول المؤلف محمود الوردي في ، حدثت. وتتصل الخاصية الرابعة باستعانة المؤلف عبر الكتاب بعدد ضخم من المذكرات والروايات والشهادات والمذكرات والكتب، بل والوثائق الرسمية والحكومية. وإن كانت الغالبية العظمى من المراجع التي لجأ إليها المقتر على ما صدر عن قيادات وكوادر الحركة الشيوعية المصرية بتنظيماتها المختلفة، خاصة من حدثت.

كثير هو ما كتب عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وانتهاء الحرب الباردة. ووجود قدر من المهنية العلمية والمنهج الموضوعي في معالجة مسألة التيارات الشيوعية عمومًا، فكريًا وتنظيميًا، وفي منطقتنا العربية على وجه الخصوص. وبعض ما كتب جاء على يد خبراء متخصصين وباحثين جادين بحثاً عن الحقيقة وإحلالاً من أراضية المفترض أنها محايدة. أو من معادين للشيوعية، أو من مؤيدي لها أو حتى منتسبين لها في شكل دمكرات أو شهادت أو روايات. ولا يتسع المجال هنا لتذكر هذه المصادر أو حتى بعضها. ولكن بالرغم من هذا الكم الهائل من الدراسات والمذكرات والشهادات، فما زال المجال مفتوحاً على مصراعيه للمزيد من الإسهامات. والكتاب الذي نعرض له هنا له أكثر من خصوصية، سواء لموضوع الكتاب، أو للكاتب ذاته. فالكاتب عنوانه: «حدثت، سيرة ذاتية لمنظمة شيوعية، وملفوه هو الكاتب والأديب الأستاذ محمود الوردي. ويقع في ٥١٥ صفحة. ومن إصدارات دار الهلال المصرية.

فموضوع الكتاب يتعلق بأحد التنظيمات الشيوعية المصرية الهامة. بل واحد من أبرز هذه التنظيمات، إن لم يكن أبرزها على الإطلاق، في إطار ما يسمى بالحلقة الثانية للحركة الشيوعية المصرية، أي تلك الممتدة زمنياً ما بين منتصف عقد الثلاثينيات من القرن العشرين حتى قيام أكبر تنظيمين شيوعيين مصريين بعد انقسامهما أو بلفه أكثر دقة «إنهاء وجودهما المستقل، في مارس وأبريل ١٩٦٥ على التوالي وفي عضوية هذا التنظيم الذي تستمد عنه هو التنظيم السياسي وتشمي الوحيد حينذاك «الاتحاد الاشتراكي العربي». وهذا التنظيم الذي تستمد عنه هو «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني» التي عرفت واشتهرت اختصاراً باسم «حدثت»، والتي وصل الأمر ببعض مؤرخي

حدثت سيرة ذاتية لمنظمة شيوعية محمود الوردي دار الهلال - القاهرة

موضوع الكتاب يتعلق بأحد التنظيمات الشيوعية المصرية الهامة، بل واحداً من أبرز هذه التنظيمات. إن لم يكن أبرزها على الإطلاق



هنري غوريب

تدبيره للشيوعيين المصريين عقب تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ من المبالغة في «توحيد» الرئيس الراحل جمال عبد الناصر نظراً لأن نظامه استبدادي وغير ديمقراطي، ولكن المؤلف انتقد كورييل بشأن قبوله قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، وإيمانه بحق إسرائيل في الوجود الآمن في نفس الوقت الذي كان يجلس فيه معارضته للصهيونية وللزعة التوسعية لدولة إسرائيل. ويشير المؤلف إلى ما يسميه تحول هنري كورييل للصهيونية عقب حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ كما انتقد دوره في محاولة الوساطة في السبعينيات من القرن العشرين بين دولة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. ولأخفا دعمه لزيارة الرئيس المصري إبراهيم أنور السادات للقدس في ١٩ و ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧

ولكن المؤلف يستدرك مقرباً بأن الحكومات العربية والقيادة الفلسطينية تبنت بشكل متزايد موقفاً متخذاً في مواجهة حقوق الشعب الفلسطيني في نفس هذه الفترة، ويتم الحكومات العربية بأنها استخدمت قضية فلسطين لتبشير ما أسماه «القمع الداخلي» لشعوبها. ولا يفوت المؤلف هنا إشادته بما أسماه «المؤلف الصلب» للشيوعيين الفلسطينيين، خاصة بعد حرب ١٩٦٧. بل إن المؤلف يسبب في الإساءة للمؤلف شيوعيين مصريين، خاصة من «حدثو» الذين رفضوا أصلاً أي حق لإنشاء دولة يهودية في فلسطين وتحدثوا عن عروبة فلسطين، بينما فرق بعضهم بين «الطبقة العاملة اليهودية» في فلسطين ومن أسموهم «الرأسماليين الصهاينة» الذين غرروا بالطبقة العاملة اليهودية في ضوء مصالحهم لإنشاء دولة يهودية. ووصف هؤلاء الشيوعيين المصريين في تلك المرحلة المبكرة الصهيونية بالفاشية والاحتلال مع الاستعمار واعتبروا إسرائيل رأس حربة الشيوعيين المصريين ضد الشعوب العربية. ولكن هؤلاء «الحكومات» من أسموهم بـ «الحكومات» العربية الرجعية، بنفس القدر. ولكن بعض هؤلاء الشيوعيين غلب عليهم الخطاب

المصرية. حتى داخل السجون والمعتلات باستثناءات قليلة يشير إليها في الكتاب، ويمتدحها أمة صاحبت الحركة وهشل الشيوعيون المصريون في التخلص منها كما يكرر اتهام هذه التنظيمات بما يسميه «العجز التنظيمي والفقر النظري». ويشير المؤلف أن هذه الانتقادات داخل صفوف الحركة الشيوعية المصرية شكلت عامل طرد لعناصر متميزة من الحركة الشيوعية المصرية ويتناول الكتاب موضوعاً آخر مهماً طالما تم تناوله، خاصة من جانب خصوم الحركة الشيوعية المصرية، ألا وهو دور اليهود، ليس فقط داخل «حدثو»، بل وفي مجمل الحلقة الثانية من الحركة الشيوعية المصرية. ويحاول الكاتب تقديم تصورات موضوعية لهذا الدور تتجاوز نظرية المؤامرة، ويتلمس أسباباً تاريخية لهذا الدور، خاصة قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ولكن الكاتب، وإن حرص على الابتعاد عن أي بعد عنصري في تناول هذا الموضوع، فهو لم يجهل اليهود وورهم في الحركة الشيوعية المصرية، بل سعى لإنصافهم وإعطائهم قدرهم وما يستحقونه من تقدير من وجهة نظره، وذكر بشكل خاص إبراهيم إلهام به شيوعيين أجنبين فارين من مصر من دور في تقنية الرأي العام الفرنسي ضد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، بالرغم من كونهم يهودا ولكن المؤلف انتقد أشخاصاً منهم بعينهم أحياناً واحدة. من جهة أخرى لدورهم فيما اعتبره المزيد من التمسك للحركة الشيوعية المصرية، وكذا لم أسماه لدى بعضهم «ذاتية»، وانزله ليس فقط عن الشعب المصري المفترض أن تغير الحركة الشيوعية المصرية عن قواه الكادحة والعامة وعن همومهم وتطلعاتهم، بل حتى الانزلال عن بقية أعضاء بعض التنظيم الشيوعي الذي ينتمي إليه ولكن المؤلف حرص، مثله في ذلك مثل الدكتور زهنت السيد، في عمله الموسوعي الضخم المكون من خمسة أجزاء عن الحركة الشيوعية المصرية، على إنصاف «هنري كورييل»، أحد أكثر الشخصيات إثارة للجدل في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، حتى بعد انتقاله إلى خارج مصر وتأسيسه مجموعة روما، التابعة لـ «حدثو»، والتي

بالنصل ضد المحتل البريطاني، وزهد في أي منصب قيادي بالتنظيم. ونجاحه في تعبئة دعم الأحزاب الشيوعية خارج مصر لدعم «حدثو». ويذكر الأستاذ محمود الورداني لكورييل فضلاً إيديولوجياً هذه المرة، وهو إدخاله معاهيم هامة في فكر «حدثو». مثلت ابتعاداً عن الإطار النظري الجامع أو التعامل مع المركزية وأكادها نصوص مقدسة. ويضرب مثالاً على ذلك بطرح كورييل بأن القول بالدور القيادي للطبقة العاملة لا يجب أن يعني استبعاد قوى اجتماعية أخرى تنصّب بالثورة ويجب أن تشارك مع الطبقة العاملة في قيادة النضال ضد الاستعمار. كما يذكر المؤلف لكورييل

ضمت أعضاء «حدثو» القيمين في باريس، بل أنصفه حتى في مواجهة قرار التنظيم محل مجموعة روما في ١٤ مارس ١٩٥٨ وقسم الثرى معها. حيث استمرت «مجموعة روما» رغم ذلك في مساندة شيوعيين «حدثو» داخل مصر. خاصة خلال مرحلة الاعتقال الكبرى ما بين ١٩٥٩ و ١٩٦٥. وكذلك لدوره في تصدير الحركة الشيوعية المصرية في حلقتها الثانية. وأيضاً دوره في الالتفات لأهمية تجنيد «حدثو» لضباط الجيش والأفرجين والصحاحين والتوبييس السودانيين. وفي إدخال الصعيات والسيادات بأعداد كبيرة لعصوية التنظيم وكذا رطله النضال السياسي للشيوعيين



حل الأحزاب في سوريا معتبرين أن السيادة العادلة للاستعمار لدولة الوحدة ستوفر طوقاً ملائمة للديمقراطية (١). ودعا للتركيز على ما أسماه «القطاع الشيوعي» في الحكم. ويرجع المؤلف التغير في الموقف عقب ثورة العراق إلى ظهور جبهة بين الشيوعيين والبعث وقوى سياسية أخرى في العراق مما دفع الشيوعيين في مصر لرفع شعار الحبة أيضا وإعلان دعمهم للجبهة الوطنية في العراق، وهو الأمر الذي دفع بدوره الرئيس الراحل عبد الناصر إلى أن حملته السياسية وإعلامية ضد نظام الحكم في العراق ومن ثم احتدم الصراع بين الرئيس عبد الناصر والشيوعيين المصريين. وقد ذهب الشيوعيون المصريون خطوة أبعد بالقول بأن غياب الديمقراطية في مصر يقفل الدول العربية الأخرى ويعددها عن الدول في وحدة مع مصر. مستنكرين إرهاب الديمقراطية في سوريا في الوحدة مع مصر. ومكرين تسكهم بالسياسة الفيدرالية في مواجهة الوحدة الاندماجية.

وبالرغم من كل الانتقادات التي تضمنها الكتاب للحلقة الثانية للحركة الشيوعية المصرية، بما في ذلك «حتوت»، فإنه سعى إلى إصلاحها، فاعتبر «حتوت» منذ تأسيسها عام ١٩٤٧ بالاحزاب بين «الحركة المصرية للشحور الوطنية، وإيسكر» والقلعة، «أقرب إلى الشيوعية التي انصهرت فيها اتجاهات شيوعية عديدة، كما اعتبر «حتوت» التنتظيم الأكثر تشبهاً للديمقراطية المصرية في حيث احتوانها على قيادات وكوادر للحركة العمالية المصرية، بالإضافة إلى أبناء وبنات الأرستقراطية المصرية، إجاز لنا القول بوجود أرستقراطية مصرية وليس أرستقراطية تركية في مصر خلال تلك الفترة، وصفوة للتجسيدات، وروايتهم وناشطين تشكيليين وسينمائيين وفلاحين، بل وأزهريين وأقباط ويهود، ولوبيين بل سودانيين حيث كانت مصر والسودان معاً حينذاك تحت الشاح المصري، وأيضاً ضباط، بمن فيهم عدد من الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فيما بعد، ورجالاً ونساء.

ويعرض المؤلف لدور «حتوت» على وجه الخصوص، لمعظم العمل الشيوعي المصري، على ساحة العمل الوطني في مصر، بدءاً بالتناقضات الطلاب والعمل عام ١٩٤٦، والتي لا شك أنها أعطت دفعة للحركة، أو الحركات، الشيوعية المصرية. في صعيد الخبرات المكتسبة والشيوعية المتأدية والتلاحم

الشيوعية المصرية في حقيقتها الثانية والثالثة يعود إلى ما أسماه بـ «الولادة المتسرة للحلقة الثانية، أي تصدى الأجانب واليهود لقيادة التنظيمات الشيوعية المصرية، وعرضه لتفاصيل محاولات تصير الحركة الشيوعية المصرية.



كذلك أسهب الكتاب كثيراً في تبيان ما أسماه حقيقة موقف فصائل الحركة الشيوعية المصرية، خاصة «حتوت»، تجاه الوحدة المصرية/السورية في فبراير ١٩٥٨ ومجمل مسألة الوحدة العربية خلال تلك الفترة، وما أسماه الكاتب «الموقف القوي» لهذه الفصائل بخلاف ما تم الترويج له من جانب خصومهم عن عدائهم للقومية والوحدة العربية، بل أظهر حماسهم لهذه الوحدة، ولكن على أساس فيدرالي وليس اندماجي. ويدون أن يكون ثمن الوحدة إنهاء الوجود المستقل للأحزاب الشيوعية العربية، خاصة الحزب الشيوعي العراقي عندما كان الحديث في أعقاب ثورة العراق في ١٤ يوليو ١٩٥٨ عن الوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) وبين العراق، أو إنهاء الديمقراطية والتعددية السياسية والتنظيمية، وصفناً القول بأن الشيوعيين المصريين تحالفوا مع الزعيم عبد الكريم قاسم في العراق ونظامه ضد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر. ويشير المؤلف إلى أنه إزاء الوحدة المصرية السورية في المقام الأول، وبالرغم من حل الحزب الشيوعي السوري، وحسد الشيوعيون المصريون بالوحدة وأصدروا كراسات تضمنت تأكيداً على أن الحركة القومية العربية هي حركة شعبية مادية للاستعمار وتقدمية من الناحية الاجتماعية في نضالها ضد الإقطاعيين والاحتكاريين، بل ورفضوا الاعتراض على

خاصة اليهود، في تأسيس الحلقة الثانية من الحركة الشيوعية المصرية. بجانب بقايا شيوعيين الحزب القديم من الحلقة الأولى من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية (حزب عام ١٩٢٣ والذي كان مصرياً بالكامل)، ووصف دور المصريين في نشأة تلك الحلقة الثانية بأنه كان كدور الحزب المنعزلة من الائتلاتنسيباً ذات المسحة اليسارية، بينما بقي الدور الأساسي منوطاً بالأجانب وأغلبهم كانوا من اليهود، بسبب تشكل بعض الجاليات الأجنبية في معظمها من العمال والحرفيين. كحالة الإيطاليين، وتأثرهم بالذ اليساري في أوروبا، وعمل العمال المصريين والأجانب جنباً إلى جنب في الورش والمصانع، ويصرق المؤلف بين اليهود المصريين واليهود المتصربين، كما يشير إلى أن بعض اليهود المصريين كانوا معادين للشيوعيين، ورفضوا دعم قيام دولة إسرائيل التي سلم معها وأعلنوا قيام ضد سياساتها العدوانية، وحفظ هؤلاء بعض الطرف من جانب سطحت الاحتلال البريطاني بسبب حربه ضد الفاشية في أوروبا. ويتصف الكاتب بالوضعية عندما يشير إلى قطاعات أخرى من اليهود المصريين غير الشيوعيين الذين عارضوا النشاط الصهيوني داخل مصر في تلك الفترة لما أدى إليه من إسائة إلى وضع اليهود في مصر واستفزاز الرأي العام المصري صدهم. كما يذكر المؤلف أنه لا انتقاد للأحزاب الأجنبية في مصر وجود اتهامات لهم خارج الحدود، أبرزها اتصافهم بالأحزاب الشيوعية في دول عربية أخرى. ودعمهم للجمهوريين في إسبانيا إبان الحرب الأهلية هناك في ثلاثينيات القرن العشرين، كما كان لديهم اتصالات بالأحزاب الشيوعية في بلدانهم الأصلية. ويشير ضمناً إلى علاقات بعض هؤلاء الشيوعيين الأجانب بحزب الوفد المصري في ذلك الوقت، ولكن على الجانب الآخر يذكر للمؤلف إقراره بأن أحد أسباب الانقسام الذي لحق بالحركة

الأيديولوجي منقطع الصلة بالتوقع مثل الدعوة لـ «وحدة العرب واليهود» في فلسطين ضد الاستعمار ومن أجل الاستقلال والديمقراطية. ولكن المؤلف يقر بموافقة تنظيمات شيوعية مصرية على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧. ويتفند هذا الموقف، ينسب القوة التي حاجم بها من أسماهم في الشيوعيين لتقويمين العرب، داخل مصر وفي بقية أنحاء الوطن العربي الذين دعوا إلى إلقاء اليهود في البحر. وهي الإطارة نفسه، لم يفت الكاتب أن يسترسل في شرح ما يعتقد أنه خلفيات تاريخية وأيديولوجية للموقف السوفيتي إزاء إسرائيل وقضية فلسطين، دون أن يتطوع للبحث عن التبريرات أو الاعتذار لهذا الموقف، ولكن الكاتب يرفض تماماً إتهامه «الخاامرة، مرة أخرى فيما يتعلق بهي الموقف السوفيتي الداعم لإقامة دولة إسرائيل ضمن دعمه لحل الدولتين الذي تساند قرار الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، ويصعيد الذاكرة أن الموقف السوفيتي الأول كان الدعوة لإنشاء دولة موحدة قومية عربية ويهودية في فلسطين، فهو اقتراح رفضه في حينه الزعماء العرب والقيادة الصهيونية على حد سواء، الأمر الذي دفع الاتحاد السوفيتي، بحسب المؤلف، بتحويل قرار الموقف باعتباره حداً، وإن لم يكن عادلاً، فهو أفضل «الحلول البسيطة» ويتنقل المؤلف لانتقاد الاتحاد السوفيتي ووصف موقفه بأنواعه، فالمؤلف، وإن كان يتفق مع طرح أن قرار التقسيم كان «الحل العملي الوحيد»، فهو يهاجم موقف الشيوعيين الذين تحدثوا عن «تحالف العمال والملايين العرب واليهود ضد المشروع الصهيوني في فلسطين»، ويتهم كلاً من الاتحاد السوفيتي والشيوعيين المصريين بتساهل أو التعجز عن إدراك «العامل القومي اليهودي»، بما يعكس الخلفية الأيديولوجية الماركسية الأرثوذكسية التي قلقت من أهمية الانتخابات القومية، كما يتهم موقعهم بالجدوم العنقادي الذي أملى عليهم إتهامهم تحالف البروليتاريا على الجانبين الفلسطيني واليهودي، كما يتهمهم بالمراوغة الخطأ لاحقاً على أن الدولة اليهودية ستكون ديمقراطية وتقدمية، ولكن المؤلف حرص في مواقع عدة من كتابه على تأكيد أن مواقف الشيوعيين المصريين إزاء إسرائيل والقضية الفلسطينية منذ قرار التقسيم لم تكن يوماً ملائمة على الانصياع للمواقف السوفيتية. وفي هذا السياق، ركز المؤلف على الدور القيادي الذي لعبه شباب الاجانب.

لم يفت الكاتب أن يسترسل في شرح ما يعتقد أنه خلفيات تاريخية وأيديولوجية للموقف السوفيتي إزاء إسرائيل وقضية فلسطين



هزيمة داخلية للبشر. ويقر المؤلف بأن بعض أشكال المديونية توفقت بعد وفاد الشيوعيين، مثل الشافعي، مثل العاصر والسحرة. ولكن لم يتوقف التعذيب كليا ومن المسائل التي نرى أن المؤلف لم يوفقها حقها موقف الحركة الشيوعية المصرية في حقلتيه الثانية و حدبو خاصة. تجاه الدين بل لكاد لا نرى سوى إشارة واحدة فقط إلى هذا الأمر وهذا يبدو مستغربا. خاصة إذ، ما قراراد يتصدى المؤلف بأسبابها، كما ذكرنا انفا، للدفاع عن موقف الشيوعيين، المصريين إزاء المسألة القومية العربية وقضية الوحدة العربية. وأخذا في الاعتبار أهمية الاتهام للشيوعيين في المجتمع المصري منذ ظهور الحركة الشيوعية المصرية بالعداء للدين:

ولكن يذكر للكاتب الشترق لمسألة أخرى لا تقل أهمية. وهي، تتوقف و لتأمل أمام إشكالية جدلة للغاية. وهي، هل كان المجتمع المصري مؤملا خلال الفترة من منتصف الثلاثينيات وحتى منتصف الستينيات من القرن العشرين لوجود تخطيطات شيوعية من جهة درجة التطور لبنيوية -للتخطيطات الاقتصادية والاجتماعية- وترتبط هذه الإشكالية بأخرى وهي هل كانت الطبقة العاملة المصرية، التي يصرح عن الحركة الشيوعية كانت تسعى للإصلاحيات. معينة بشكل كاف أم غالبية عن المواقع القيادية بالطبقات الشيوعية المصرية؟ ولقد قدم الكاتب إجابة محددة. ربما تارك الأقدم والتقدير للشارح. وإن أشار في أحد المواضع أن مصر كانت قبيل حريق القاهرة، ٢٦ يناير ١٩٥٢، مؤهلة لتورة شعبية دون أن يذكر أن كانت هذه التورة كانت ستكون بقيادة الشيوعيين أو غيرهم.

ويذكر لنا الكاتب تفصيلا علاقة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مع تنظيم، حدتو، منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وذلك بغير عال من الشيوعيين بمسألة حجم العلاقة ومداها. ولكن أيضا حدودها. فيشير إلى قيام، حدتو، بطباعة منشورات تنظيم، الصباط الأحرار، ولكنه يذكر أيضا رفض الرئيس عبد الناصر قبول الضباط المصممين لـ، حدتو، في تنظيم، الصباط الأحرار، كمجموعة مع قبولهم فرادى. وكذا الإشارة إلى رفض عبد الناصر الحديث بالاستعمار الأمريكي. وسخرته من قولى ميكانيكي من سلاح الطيران المصري، هو سيد سليمان رفاعى المعروف باسمه الحركى (الرفيق بدر)، متمصبا قياديا بـ، حدتو، وبينما يقر المؤلف بأفكار حدتو، ضمن

أخرى كثيرة بعضها يكاد يكون معمورا ويحرص المؤلف على إعرابه عن الإعجاب، به -الضمود الأسطوري، للشيوعيين المصريين في مواجهة التعذيب- إلا أنه يعترف بأن البيض ضعف واستسلم وفرط وحول لحيون للأجهزة الأمنية. ولكنه يعتبر هؤلاء فئة محدودة، ويصف ذلك على أنه، ضعف إنسانى مشروع، كما يشير إلى حالات نادرة إهاتر تماما بين من أصيب بالجنون ومن أصيب بالانحياز العصبى. وفي الإطار نفسه، يتنى المؤلف هجومًا متواصلا على من يتهمهم بممارسة التعذيب بحق السيد، مدوح سالم، وزير الداخلية ثم رئيس الوزراء فيما بعد في سبعينيات القرن العشرين في ظل حكم الرئيس الراحل أنور السادات. عندما كان صانطا بالبحث في فترة، الحمنة الكبرى، للشيوعيين المصريين ما بين ١٩٥٩ و ١٩٦٤ بشكل خاص. وبالرغم من كل ما تقدم، فإن المؤلف يقر في بعض صفحات الكتاب بأن الضربات الأمنية للشيوعيين المصريين كان لها تأثير سلبى على الحركة الشيوعية المصرية في حقلتها الثانية ويتميز الكاتب بأنه يشير إلى أن التعذيب لم يقتصر على الشيوعيين. بل إنه يذهب إلى القول أنه بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ مرس تعذيب وصف به «بالشاعة والأعتاص» ضد كل خصوم يوليو. ويخلص إلى أن هذا التعذيب لم يكن هدفه العقاب بل، التحطيم والانتاحية وتحطيم الإرادة والإحساس بالذات وإهانة الكرامة الإنسانية وإدلالها، على حد قوله. واعتبر ما جرى، إبادة حقيقية، وفيما يخص الشيوعيين. كان هناك هدف إصافى للتعذيب وهو تفكيك الرابطة الحزبية. هدف كرامة القيادة علما أنذاك، مما دفع القيادة للحديث عن أن الهدف هو محرد الحفاظ على حياة الكادر. وهو صرح برفضه المؤلف لأن الكادر لى يكون حزبيا بعد الإدلال والإهانة التي تحققت

من سؤال هام يتصل بإشاداته بتعاون، حدتو، مع قوى سياسية أخرى في مصر ما بين ١٩٦٦ و ١٩٥٢، ألا هو: هل تخلت، حدتو، وغيرها من التنظيمات الشيوعية. عن القوى السياسية الأخرى عقب يوليو ١٩٥٢؟ وتحديد بعد أزمة مارس ١٩٥٤؟ في ضوء عدم تعليقهم على ما تعرضت له القوى السياسية الأخرى على يد حكومة يوليو. بل وعدم تعرضهم لموضوع الحريات السياسية والتنظيمية للقوى السياسية الأخرى في مصر أو تقديم اشتراطات واضحة بشأن تعرضهم خاصة بديمقراطية الحكم وتوزيع الاحترام والحريات عقب الإفراج عن الشيوعيين المصريين عام ١٩٦٤ وإماجهم كأفراد في النظام السياسى القائم بعد قبولهم بجل أحزابهم أو إنهاء وجودها المستقل؟

ومن الموضوعات التي يتناولها الكتاب. سواء في الحقيقة الملكية أو الناصرية. هو ما تعرض له الشيوعيون المصريون. خاصة قيادات وكوادر وأعضاء، حدتو، من تعذيب يعرض لتعاصيله. ولكن لا تخفى العين على التركيز الأساسى للمؤلف هو على الفترة الناصرية. وكما هو متوقع يبرز المؤلف حالة «شهادة عطية الشافعي» الذى قضى تحت التعذيب. ويسعى أيضا لإبراز أن السبب في كشف ما حدث لشهيدى في حينه هو النجاح في تسريب الأخبار إلى خارج مصر. وتحميدا إلى الحزب الشيوعى السوفييتى ورابطة الشيوعيين اليوغوسلاف، وهو ما يعتبر المؤلف أنه سبب حرجا للرئيس المصرى الراحل جمال عبد الناصر الذى كان في يوغوسلافيا في ذلك الوقت، مما دفع به إلى فتح تحقيق في القضية. ولكن يجب للكاتب أنه لم يصر السرد على هذه الحالة المعروفة. بل يتناول حالات

مدرجة أكبر مع بقية فصائل الحركة الوطنية المصرية. ويشير المؤلف إلى رفع، حدتو، شعارات لبنيوية الحركة الوطنية المصرية ككل، مثل رفض التفاوض مع المستعمر والدعوة للكفاح المسلح ضد والدعوة لمواجهة سيطرة الاستعمار الاقتصادية وإهانات الدعوة لمواجهة المتحالفين مع الاستعمار من كبار المالىين والإقطاعيين. ورفض عقد معاهدات تعاون أو تحالف أو دفاع مشترك مع العرب، والدعوة لإطلاق الحرية خاصة حرية الصحافة. بل إن الشيوعيين المصريين طالبوا في ذلك الوقت بصود قوانين الإصلاح الزراعى واستأمن قساة السوسى وبمجانبة التعليم والترعاية الصحية والضمائم الاجتماعية. وبيات، حدتو، جهود توحيد الحركة النقابية العمالية المصرية. وكذا كافحت لبناء اتحاد ديمقراطى لطلاب الجامعات في مصر. ويشهد المؤلف بدوره، حدتو، في تلك الفترة لحماية الراسمالية الوطنية باعتبارها حليفا للطبقة العاملة المصرية في ضلالها ضد الاستعمار. وذلك في إشارة ضمنية لحزب الوفد المصرى حينذاك، وندعت، حدتو، إلى «جبهة وطنية ديمقراطية» وهو الأمر الذى فتح الباب أمام إداة تخطيطات شيوعية مصرية أخرى لها. ولم يفت الكاتب أن يشير بدور، حدتو، في الكفاح المسلح في منطقة القناة عقب إلغاء معاهدة ١٩٣٦ على يد حكومة الوفد في أكتوبر ١٩٥١، كما يشير إلى سعى، حدتو، خلال تلك الفترة لبناء منظمات علنية كواجهة لنشاطها مثل «حركة أنصار السلام». ويعتبر أن هذا التنظيم، ساعد على انتشار الأفكار لبناء وإفاحة على الجماهير. ومن ثم اتصاع قاعدته الضعيفة، وهي غامضة يرى المؤلف أنها لازمت، حدتو، كلما حدثت انفراجات في ديمقراطية في النظام السياسى المصرى قبل ١٩٥٢، على كان التنظيم ينتشج حينذاك عن القوى السياسية الأخرى ويسرع بالتصدي لهام النشاط الجماهيرى. ولكن المؤلف يشير إلى الخالب على الجانب الأخر، ومنها عزى الشيوعيين المصريين عن استغلال فرصة أحداث ١٩٦٦ لتوحيد صفوفهم. وكذا فشلهم على إخراج قيادات قوية أو عجز قياداتهم على التعامل مع الموقف. وهنا يعيد الكاتب مقارنة لافتة بين أوجه العمل تلك لدى الشيوعيين المصريين تجاه أحداث ١٩٦٦ وتجاه أحداث يناير ١٩٧٧ بعد ذلك بأكثر من ثلاثة عقود. كما يعرض لسرد التنظيم في مكافحة وباء الكوليرا في مصر عام ١٩٤٧. ولكن المؤلف في كتابه هذا لا يجيب

من المسائل التي نرى أن المؤلف لم يوفقها حقها موقف الحركة الشيوعية المصرية في حقلتها الثانية. و، حدتو، خاصة، تجاه الدين



والتمحيبات الشيوعية المصرية بتأييد ودعم حركة الجيش على ٢٣ يوليو ١٩٥٢، بينما استطاعت معظم التنظيمات الشيوعية المصرية بالإضافة إلى الحركة الشيوعية العالمية، فإنه عند الادعاءات القاضية بأن حركة الجيش ضجعت تحت طيات أمريكية

وكما هو متوقع من كتاب حول فصل شيوعي مصري في الفترة ما بين ١٩٣٥ و١٩٦٥، يتعرض المؤلف لأحداث كفض الدوار في سبتمبر ١٩٥٢ وما سمي به سحق الجيش العامل وإعدام العاملين مصطفى خميس ومحمد البكري، معتبراً أن هدف تحرك العمال اقتصر على تحسين شروط العمل، ويهم، حدوت، بالمثل في اعتواء الموقف وعدم إزائها الحادة لإعدام خميس والبكري، ويرجع ذلك إلى ما انتهى إليه أمر يستغريه الكاتب باعتباره أنه من المؤكد أن أحداً لم يعتبر أن الثورة كن لها توجهات يسارية، ويشير المؤلف أن أحداث كفض الدوار كانت مؤشراً على ظهور ما يطلق عليه الطابع القمعي، للثورة، وبينما كانت حدوت، ترجع هذا القمع، إلى ما كانت تسميه، ضغوط الاستعمار الأنجلو-

أمريكي، فإن المؤلف يرى أن القمع مكّن طبعياً لأي نظام يقوده العسكريون، ويعتبر ذلك مقدمة لضرورة داء بين الثورة وحدوت، بز في يناير ١٩٥٣ بعد اعتقال أعداد من أعضاء حدوت، ووقوف حدوت، ضد التقارب بين الثورة والولايات المتحدة، وه مقابل دعوة حدوت، قيادة الثورة إلى إنشاء جبهة وطنية، جاء الرد ممتلاً على استثناء العقليين الشيوعيين من قرار الإفراج عن كافة المعتقلين السياسيين، بحجة أن الشيوعية جريمة اجتماعية وليست سياسية، وبالتالي بدأت الانتقادات تظهر داخل حدوت، لتأييدها الحلق للثورة، وأبدى بعض الأعضاء التحفظ على الطبيعة الطبقية لقيادة حركة الجيش استمثارها لمشنة للبرجوازية الصغيرة، ولأنه بعضهم، الغزال، حدوت، عن الطبقة العاملة المصرية ودعا إلى إقامة جبهة وطنية يدمر طاملة مع عناصر من حركة مصر الفتاة، ويضض الضباط وبعض عناصر حزب الوفد، بل وعناصر من جماعة الإخوان المسلمين، وبدأ أولئك الحديث عن مطالب ديمقراطية، وثار الجدل مبكراً فيما بين الشيوعيين حول ما إذا كان يمكن اعتبار هيئة التحرير، التنظيم السياسي الشيعي الوحيد الذي أسست الثورة عقب إلغاء الأحزاب، مشنة للجمعية الوطنية التي كان يدعو إليها شيعيو حدوت، ومنذ ذلك التاريخ استمر رضاه

حدوت، على وجود جناحيه داخل قيادة الثورة، جناح ديكتاتوري وأخر تقدمي مترعامة، جمال عبد الناصر، وهو تحليل يرى المؤلف أنه أدى بتنظيم حدوت، إلى ارتكاب خطأ يصمها بالكارثية، وكانت الأغلبية داخل حدوت، ترى أنها في جبهة مع الحكومة، ويشير الكتاب إلى أن موقف الأغلبية داخل حدوت، لم تع أن الرئيس عبد الناصر، رغم وطنيته، ورغم أنه حقق على أرض الواقع أكثر مما تتساءل الشيوعيون، كان مصرا على تصفية جميع القوى السياسية وتأميم، الحياة السياسية والصراع الاجتماعي في مصر، في نزوع عسكري، للانفراد بالحكم وتشكيل طبقة برجوازية جديدة، ويشير المؤلف عن عدم فهمه لتفرقة حدوت، بين ممارسات حكومة الرئيس عبد الناصر ضدهم وبين ما كان ينتهجه الرئيس الراحل من سياسات وطنية داخليا وخارجيا، فيحسب المؤلف، فإن الرئيس الراحل عبد الناصر كان مزوا بانتصاراته العربية والدولية، وانطلق من هناك داخليا للتصفية الكاملة والنهائية لكل القوى: الوفد، ومصر الفتاة والإخوان المسلمين ثم أتجه لاحقا لتصفية الشيوعيين، ويحمل المؤلف على الرئيس عبد الناصر رفضه التنازل عن الشيوعيين خلال تلك الفترة رغم أنهم دعوا إلى التحالف معه وتحت قيادته، ويشير المؤلف إلى إصرار حدوت، على معنات الثورات المعقدة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٥ على عدم التراجع عن تأييد حكومة الثورة تحت شعار عدم تخليق التناقض الثاوي على الشاخص الرئيس، فيالرغم من إقرار حدوت، بأن الحكومة القائمة هي حكومة برجوازية وطنية، فإنها باعتبرت البرجوازية الوطنية حليفا للطبقة العاملة لاتراكم كليهما في الكفاح ضد الاستعمار ومن أجل السلام وصيانة الاستقلال الوطني وتوحيد الأمة العربية، مع عدم إنكار وجود اختلاف في الهيايات والوسائل، وفي هدف الشيوعيين هو بناء الاشتراكية ومن ثم الشيوعية، إلا أن

حدوت، أكدت أن الأولوية هي للضال ضد الاستعمار. ويدهش المؤلف لأن حدوت، توهمت أن خطها السياسي لدعم الرئيس عبد الناصر هو الصحيح وهو الذي يستعصر، بل يذهب المؤلف انعد من ذلك ويرى أن حدوت، والتنظيمات الشيوعية المصرية في حققتها الثانية بشكل عام فيما بعد، لم تنهر بسبب الاعتقال أو التعذيب، بل بسبب ما يسميه بالجزع العكري والسياسي، عن الاستقلال عن الحكم، وعدم التمييز بين الرئيس عبد الناصر كونه معاد للاستعمار وبين إصراره على تصفية الحياة السياسية بالكامل، أحزابا ونقابيات وصحفا، فبينما كان الرئيس الراحل يواصل إحداث تغييرات اجتماعية جذرية في مصر لصالح الفقراء ويحمق تحالفاته مع حركات التحرر الوطني في العالم الثالث ومع المعسكر الاشتراكي، كان يواصل قمع، بحسب المؤلف، لأي حركة شعبية أو سياسية مستقلة داخليا.



ويستغرب الكاتب موقف شيوعي حدوت، المعتقلين الذين وجهوا للرئيس عبد الناصر رسالة يطالبونه فيها بتوفير حماية للمعتقلين من جماعة الإخوان المسلمين، الذين خرجوا عن الجماعة وفي معتقلون وقرروا تأييد الحكم، بدلا من أن يطالب هؤلاء الشيوعيون الرئيس عبد الناصر بالإفراج عن الشيوعيين أنفسهم ويشير المؤلف للتناقض بين استلاء المعتقلات بالشيوعيين في عهد الرئيس عبد الناصر وبينما قطع هام من الشيوعيين المصريين، خاصة شيوعيين حدوت، يبحث رسائل التهنية للرئيس الراحل، بل ودعى أجل عيون عبد الناصر، على حد قول المؤلف، حاجمت حدوت، تنظيمات شيوعية أخرى ولم تقطع إلى أن الاعتقالات شملت آلاف الشيوعيين، سواء من دعا للتحالف تحت قيادة عبد

الناصر، مثل حدوت، أو من تحمض على ذلك، كما يأخذ المؤلف على شيوعي مصري، ومجل الشيوعيين المصريين عموما، قبولهم التفاوض مع السلطة الناصرية وهم رضى الاعتقال، ولكن المؤلف لا يقول لنا ماذا كان البديل أمام الشيوعيين المصريين؟

ويرى المؤلف أنه كان على حدوت، الحفاظ على مسافة كافية من السلطة، والاستقلال عنها وتأييدها بشكل مشروط على أرضية المواقف المشتركة وفي إطار جبهة وطنية، كما أنه يأخذ عليها عدم الالتفات إلى ما يسميه بالطابع المعادي للديمقراطية، للناصرية، ولتأجيل حدوت، أي مطالبة بالديمقراطية، التي أسماها بالفرصة العالمية حينذاك، ولكن المؤلف يعود إلى إصاف حدوت، فيعتبر تأييدها للرئيس الراحل عبد الناصر أملا شلقا أو خوفا بل بناء على موقف سياسي قائم على حسابات خاطئة، ويضض عنها تهم العمالة للسلطة أو خيانة مصالح الطبقة العاملة المصرية ويصر المؤلف بأن تنظيمات شيوعية مصرية أخرى غير حدوت، نجحت في الاستقلال عن حركة الجيش في المرحلة الأولى، ونجحت بعض هذه التنظيمات في التفرقة بين السياسات الخارجية الإيجابية لقيادة الثورة وبين سياساتها الداخلية المتصفة بشركة متزايد بطابع ديكتاتوري، بل يشير إلى أن بعض التنظيمات الشيوعية المصرية صنفت الحكم الناصري بأنه ممثل البرجوازية الكبيرة خلال الخمسينيات بالرغم من توقيع العلاقات مع المعسكر الاشتراكي في الخارج وإعلان قوانين الإصلاح الزراعي في الداخل.

وبالرغم من رفض المؤلف طرح حدوت، خلال تلك الحقبة بوجود جناحين داخل السلطة، فإنه ناقض نفسه في أكثر من موضع بالكتاب، حيث تحدث عن وجود أجهزة قمع وتعذيب حاولت عرقلة العمل بين الشيوعيين المصريين منذ عام ١٩٦٢ عبر الويلعة بينهم وبين قيادة الرئيس عبد الناصر، كما ناقض نفسه عندما تحدث عن معنى شيوعي حدوت، لدعم عناصر يسارية، داخل السلطة

ولكن المحضلة في الكتاب هي التناقض فيما يتواجد حدوت، بين صفوف الجماهير بعد يوليو ١٩٥٢، ففي بعض المواضع يدفع إلى الشيوعيين المصريين عجزا عن التأثير أو بناء جسور مع الجماهير بينما كانت وسائلهم الوحيدة لغرض التناقص معهم على أسس متكافئة على عبد الناصر هي تواجدهم وتأثيرهم وسط الجماهير وفي

هل كان المجتمع المصري مؤهلا خلال الفترة من منتصف الثلاثينيات وحتى منتصف الستينيات القرن العشرين لوجود تنظيمات شيوعية؟



عندما كان امريكا عاملا للاتحاد القومي، حيث رفض امريكا الحزب الشيوعي الوطني أو السماح بوجود أحزاب. ورد الشيوعيون - من خارج - حدثو، - بالقول بفضل الاتحاد القومي والخصائص الشعب من حوله - ووصفوه بأنه «معرض على الشعب، وطالبوا بحق الشعب في تكوين احزاب ويطالبون بالغاء الاحكام العرفية التي سبق أن ايدها إمام الاندوه الثلاثي، وطوروا لمعلم مقولة انه في ظل وجود طبقات يجب السماح بقيام احزاب تعبر عن هذه الطبقات

ويهود المؤلف إلى تناول الدور السوفيتي، حيث يوضح مسئولية التطهير الايديولوجي والسياسي داخل الحرب الشيوعية السوفيتي خلال تلك المرحلة عن سوء تقدير حدثو، وشيوعيين آخرين خارجها تجاه الحقبة الناصرية. حيث بدأ معظرو الحزب الشيوعيين السوفيتي الترويج لمقولة أن الثورات الوطنية في العالم الثالث هي حبيب للثورة الاشتراكية. الأمر الذي يتطلب انضمام الشيوعيين لثبات هذه الثورات فقد راجع الاتحاد الشيوعي السوفيتي الموقف المستثمر مباشرة للاشتراكية، التحرك الوطني في العالم الثالث، وبدأ تطوير نظرية «التطور اللا رأسمالي» أي، تحول المستعمرات مباشرة للاشتراكية، مثل كوبا كاسترو وبنينسيا سوكارتو والكونغو وكامبوديا وعصر عبد الناصر وسمح هذا التطوير بأن تقود البرجوازية الصغيرة الحادية للاستعمار وأوطانها نحو الاشتراكية، وبالتالي كان هي التنظيمات الشيوعية المحلية لإنجاز الاشتراكية وانطلق ذلك على مصر بعد حديث لينين الوطني عام ١٩٢٢ عن الاشتراكية العلمية، ومن ثم - لتطهير السوفيتي لاحقا غطاه لإعلان التنظيمات الشيوعية كل نفسها، أو بتعبير المؤلف انه «مادام عبد الناصر يمشي للاشتراكية فليجلب الشيوعيون المصريون ملاسهم ويركضون نحو القمص، ويوضح المؤلف أن نفس هذا الميثاق الوطني تحت عن الديمقراطية باعتبارها «خديعة غربية، واكتفى بالحديث عن الديمقراطية الاجتماعية، كما استمر الشيوعيون المصريون بعد إعلان الميثاق يتعرصون لتصفية مستمرة ومعظمه جسديا وعقليا، على حد قول المؤلف ويخصص المؤلف جزءا هاما من الكتاب لم يسميه «تجريدية، يناير ١٩٥٩ صد الشيوعيين الناصريين أو ما جرى على تسميته في الأدبيات السياسية المعاصرة

الطبقة العاملة المصرية وابزرت، حدثو، الرطب بين دور الطبقة العاملة المصرية في مقاومة العدوان الثلاثي وديورها في ثورتى ١٩٦٢ و ١٩٦٥، إلا أنه بعد دحر العدوان ساعد الشيوعيون في جميع السلاح من الأعالى وتسليمه للحكومة. ووافقت الحكومة على تدريب الشيوعيين على حمل السلاح ووفرته لهم، ولكن الحكومة حرصت على السيطرة على حركة المفاوضة من جانب الشيوعيين، وبالرغم من ذلك نجح الشيوعيون في الاختلاط بالثالخين في منطقة القضاء والمناطق المحيطة بها وتدريبهم بتزورهم على حمل واستخدام السلاح. ويشير الكاتب إلى دور الراحل، كمال الدين رفعت في تدريب الشيوعيين وفي التنسيق بين الدولة وبينهم.

ولكن عقب إلحاق الهزيمة بالعدوان الثلاثي، لم يوافق ثوار يوليو على مواصلة العمل المشترك مع الشيوعيين المصريين، فجاء قرار مع المرشحين الشيوعيين من التقدم للاتحادية مجلس الأمة (البرلمان) عام ١٩٥٧. وبدأ إحياء قضايا يمين بحق الشيوعيين. مرة أخرى يستعجب الكاتب من رد فعل حدثو، على هذه الإجراءات، حيث استمرت في الإفراط وجود انفصامات داخل السلطة ما بين جناح رجعي وآخر تقدمي بزعماء الشيوعيين عبد الناصر، ورأت أن واجب التنظيم هو الدفاع عن الأخير. بل وجهت انتقاداتها للشيوعيين أنفسهم وانقساماتهم وعدم انضمامهم للاتحاد القومي (التنظيم السياسي الوحيد الذي خلف هيئة التحرير) وتخويضهم، للبرجوازية الوطنية؛ ومن المسائل التي يسرد لها المؤلف جزءاً في كتابه موقف حدثو، من الاتحاد القومي. فقد وقف حدثو، على دخول الاتحاد القومي كتشظيم وليس كأفراد باعتبار ذلك تجسيدا لفكرة الجبهة المتحدة التي تبنتها، حدثو. ومن جهة أخرى، يزن المؤلف دور الرئيس الراحل أنور السادات في الهجوم على الشيوعيين

هي بالطبع أزمة مارس ١٩٥٤، ويكرز الكتاب على أنعدامها الاجتماعية متمثلة في نية مجلس قيادة الثورة إصدار قانون حرمان الناصر من حق التصرف ومنع أصحاب العمل حق الفصل الإضرب مما دفع خالد محيي الدين ويوسف صديق للاستقالة من المجلس، ويتهم الإخوان المسلمين بتدبير مظاهرات فبراير ١٩٥١ المؤيدة للرئيس محمد نجيب، ولكن تطورات دولية مثل مؤتمر التضامن الأفرو/آسيوي في يانفونج وصيغة الأسلحة التشيكية لصر ورفض الرئيس عبد الناصر لمبدأ الأحلاف العربية في المنطقة، دفعت ليس فقط حدثو، بل وتنظيمات شيوعية أخرى إلى تأييد الثورة واعتبار عبد الناصر بطلاً ويشتر الكاثق محمود البرزاني إلى أن حكومة ٢٣ يوليو استمرت في ممارسة الاعتقال والتعذيب بحق الشيوعيين المصريين عبر مختلف مراحل الثورة. بالرغم من تأييد حدثو، وغيرها من التنظيمات الشيوعية المصرية في مراحل مختلفة خلال تلك الفترة لثورة يوليو وقائداتها، وأن الحالة الوحيدة للجوء الرئيس الراحل عبد الناصر لتحالف مع الشيوعيين كانت فقط في مواجهة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦.

ويكرر المؤلف جزءاً هاما من الكتاب للعدوان الثلاثي وموقف الشيوعيين المصريين تجاهه، فيذكر أن هنري كورييل أبلغ الرئيس الراحل عبد الناصر بالعدوان قبل وقوعه بـ ٢٠ يوما. بل إن الشيوعيين المصريين توقعوا مبعرا وقرو العدوان كرد على قرار تأميم القناة، وقرر وقع العدوان بدأ الشيوعيون في حشد الجهود من أجل الكفاح المسلح وشكلوا لجان المقاومة الشعبية في منطقة القناة والتي أصدرت نشرة «الاتصام». كما استغل الشيوعيون الفرصة لتعبئة

مواضع أخرى يرى أن الشيوعيين كان لهم وجود وتأثير في الشارع المصري، ويتصل هذا بمقارنة المؤلف بين تواجد كل من الشيوعيين والإخوان المسلمين في صفوف الجماهير، فهو يعتبر أن جدور الإخوان غير عميقة اجتماعيا، بينما الشيوعيون لهم جدور شعبية وتاريخ عميق في الحركة الوطنية المصرية (١) وتأتي هذه الإشارة ضمن إشارات عديدة ضمنية وغير مباشرة لجماعة الإخوان المسلمين، جميعها سلبية، بشأن دور الإخوان، بل ودور معتقلي الجماعة داخل نفس المعتقلات التي كان يوجد بها الشيوعيون خلال تلك الفترة، وهما يتعلق بالتواجد والتأثير الجماهيري للشيوعيين، يفتقر المؤلف بأن وجود الشيوعيين انخرس في الشارع بعد حملة اعتقالات يناير ١٩٥٩، فكل الجسور مع النقابات والمصالح والأحباء والرفيق اقتلعت، «ألا الدعاية الجارية» لعبد الناصر، خاصة في ظل خوض الرئيس لراجل معارك حقيقية وفي ضوء كبريما، عبد الناصر والتسبوت الاجتماعية الناطقة التي أجراها وما يسميه المؤلف «الأوضاع القودية للحركة الشيوعية».

ولا يمنع ما تقدم من القول بأن شيوعيين حدثو، أيذا قانون الإصلاح الزراعي الأول وسبقوا لمواجهة تحاييل البلاك على القانون، ولكن الشيوعيين بدأوا الحديث عن العلاقة بين النضال ضد الاستعمار وتأمين المكاسب الاجتماعية وبناء حياة ديمقراطية. وفي هذه المرحلة، سعت «حدثو» للحصول على دعم الأحزاب الشيوعية والنقابية العمالية في الخارج، وفي إطار هذا المسعى، وجهت «حدثو» تحية للحرز الشيوعي الإسرائيلي، وهو ما يراه المؤلف «خطأ»، ليس له ما يبرره، وفتح الباب لهجوم الحدثو على حدثو، وكيل الاتهامات لها. كما كتبت «حدثو» نحو وحدة التنظيمات الشيوعية المصرية، خاصة أن الانقسام فيما بينها حال دون اعتراف الحركة الشيوعية الأممية بالبحرية الشيوعية المصرية. إلا أن ما حدث على أرض الواقع كان العكس: انقسامات داخل «حدثو»، وهو ما يعزز أبرز الفرضيات التي قام عليها الكتاب، ألا وهي أن الانقسام والتشرذم كان خاصية ملازمة للحركة الشيوعية المصرية في حلقها الثابتة.

وإذا كانت أحداث كسر الدواور قد حظيت باهتمام المؤلف في إطار تحليل علاقة الشيوعيين بقيادة الثورة المصرية، فإن المحطة الثانية البارزة في هذه العلاقة

ما كانت الطبقة العاملة المصرية، التي يفترض أن الحركة الشيوعية كانت تسعى لإنصافها، مثله بشكل كفاف أم غائبة عن المواقع القيادية بالتنظيمات الشيوعية المصرية؟



للشيوعيين المصريين د. المحلة الكبرى للشيوعيين، ويصدر حكماً بأن ما جرى للشيوعيين المصريين ما بين ١٩٥٩ و ١٩٦٥ يشكك وصمة عاد على جبين الناصرة، خاصة ان الشيوعيين المصريين لم يحملوا السلاح ضد الحكم ويعرض المؤلف المقدمات، الحملة، شنت الصحافة المصرية حملة على الشيوعيين باعتبارهم عمالاً للاتحاد السوفيتي وهاجم خطباء المساجد، الشيوعيين الكفار المنحليين، ويدات الدعاية في المدارس والجامعات للتخدير من الشيوعيين ومرة أخرى يستنحب المؤلف رد فعل، حدثو، على هذه المقدمات، فقد اكتشف بالقول بأن هذه مجرد ازمة ثقة، مع الحكم وسيف تمير بل أصدرت لائحة الحركة لمعلومات لأعضائها بعدم التهرب أو مقاومة أوامر الاعتقال، ويرغم المؤلف على اعتقاله ويرغم تعرضه لمقتلهما للتخدير على حد قول الكاتب، استمرت، حدثو، في تأييد الرئيس الراحل عبد الناصر وحكومته، بل أرسلت إليه خطاباً مشروحاً في سبتمبر ١٩٥٩ جسد تأييدها للشورى برغم الاعتقالات وتبين ذلك لسان «المصلحة الطبقية» للعامة لحتم التحالف مع الحكومة القائمة، بل استمر هذا الموقف من، حدثو، حتى بعد وفاة شهيد عطية الشافعي وغيره من الشيوعيين تحت وطأة التخدير، وكان رد الحكومة ليس فقط رفض التحالف مع الشيوعيين بل السعي لتصفيتهم، صمن كافة الحقائق لها، ويستغرب المؤلف ان شيوعي، حدثو، دافعو خلال التحقيقات والحكومات بين الشيوعية ولكلهم انكروا انتماءهم الحزبي، منعاً لاستمرار الحكم، «الحليف، على حد تعبيرهم، وأصروا على الحديث عن مجموعة اشتراكية، داخل السلطة يحد منها معها تحقيق وحدة العمل من أجل أهداف الوطنية أو الديمقراطية» ويشيد المؤلف بما يسميه مقاومة المعتقلين الشيوعيين داخل المعتقالات والسجون، فقد وصلوا للنشاز السياسي والتنميب النظري للشباب، وجعلوا ما يرد لهم من الخارج من أطمعة أو غير ذلك ملكية عامة تطبيقاً لقيادتهم، ونظموا بدوات ثقافية تناولت أعمال ورائية وكنت فكرية، بل وفي معتقل الواحات طرح المعتقلون الشيوعيون فكرة استصلاح ارض محيطة بمعتقل الواحات وزراعتها، وهو ما قللت به إدارة العمل وتحوط إلى واقع على فيما يشبه المأوى بالمعزة؛ ولكنه يعود فيأخذ على التنظيمات الشيوعية المصرية أنها حتى في مشروع كيدا، قسمت الأيدي بين التنظيمات بدلا من العمل معاً، ومع ذلك، حرص الكاتب على إبراز ان، حدثو، حاولت في

البداية الامتناع عن الانضمام لأي مقاومة في المعتقالات بحجة أن من شأن ذلك، استنزاف، الدولة التي كانت، حدثو، تعتبرها حليماً، ويحجم ان الدولة تتجه نحو، الاشتراكية، وهو تقرير كان منار سخريه المؤلف، يورد المؤلف مفارقة تتمثل في تكليب الدولة لبعض الشيوعيين بإعداد تقارير للعرض على الرئيس الراحل عبد الناصر وهم بداخل المعتقالات، ولا ينسى الكاتب أن يشير إلى أن حملة الاعتقالات شملت أيضاً شيوعيين من أثناء قطاع عزة، وكذلك من سوريا ولبنان خاصة عندما كانت سوريا جزءاً من الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨ - ١٩٦١) وفي المعتقالات نظم شيوعي، حدثو، فصولاً لتعليم اللغتين الانجليزية والعربية والرياضيات للمسجونين العاديين مما جعل العلاقات معهم جيدة ورفض المسجونين الجنائين مراراً أن تستخدمهم إدارة المعتقالات ضد الشيوعيين بحجة أنهم، كفرة.. كما سعى الشيوعيون لحوامية النسيئة من الجنود وضباط الصف، كما نظمت محاضرات عامة، وإن كانت منفصلة لكل تطبيع على حدثو، وتم تقديم إنتاج على هيئة مسرح في معتقل الواحات، والأهم ان الشيوعيين بنوا مسجداً في المعتقل، بالرغم من أن الإخوة المسلمين كانوا معتقلين هناك من قبل ولم يبنوا مسجداً، على حد قول المؤلف

ويكرس الكاتب فصلاً للحديث عن المعتقالات الشيوعيات فيما يسميه أول حالة جماعية لاعتقال النساء لأسباب سياسية في تاريخ مصر، وبخلاف الرجال، تمكنت الشيوعيات من العمل الجماعي داخل المعتقالات رغم تباين الانتماءات التنظيمية، مقاومة الإدارة عبر إضرابات الطعام وغيرها وبدور مطالب مشتركة نجح من تحقيق معظمها رغم لائحة قيادية لهم ونحن إدارة معاركن، بالرغم من ضغوط مارستها عليهم السلطات عبر اسرهم وأطمانها لإجبارهم على الإذلاء بإعترافات أو التعاون مع الأجهزة الأمنية.



ومن داخل المعتقالات، واصلت، حدثو، التكسب بمواقفه المؤيدة لسياسات الرئيس عبد الناصر منهته عناصر في قمة السلطة مثل السيد/ زكريا محي الدين والسيد/ عبد الحفيظ البغدادي بوضع الخطوط العامة لتعذيب الشيوعيين بالتعاون مع رجال المخابرات المركزية الأمريكية مثل، «مايلز كوبلاند» ولكن على الجانب الآخر كان هناك من قيادات يوليو السيد/كمال الدين رفضت السيد/ لطفى واكد وغيرهم ممن شهدوا لصالح الشيوعيين، خاصة دورهم في التصدي للحدوثان الثلاثي عام ١٩٥٦، وبخلاف المعتقلين سابقاً لـ، حدثو، حرصت الحركة على إصدار تقرير يعلن ان إسرائيل دولة عنصرية ويسلم رفض الحركة لقرار تقسيم فلسطين، كما أعادت تأكيد التحالف مع السلطة، ولكنها أشارت لاختلافات معها بشأن الديمقراطية وطايتها بصبر، القوى الرجعية، وبالزمن من التحولات الاجتماعية، وكإليات لحسن الموايا، أخطر قياديون شيوعيون مسئولين رفيعي المستوى في السلطة بمعلومات عن مؤامرة انقلابية متروكة، وبينما امتنع شيوعيو التنظيمات الأخرى داخل المعتقالات عن التحالف بحجة عدم الناصر، فإن شيوعيين، حدثو، متقوا بحياته، وهو أمر يستكره المؤلف: كيف يهتقون لرئيسي يمتلئهم؟

ويكرس المؤلف مراراً الموقف الذي يراء هيباً: شيوعيون يؤيدون نظاماً وطنياً يقوده زعيم وطني، بينما الحكم يعتقلهم ويهدمهم، فهدم الحكم، بحسب رايه، هو القضاء على أي تطبيع مستقل بحيث يكون البديل الوحيد متاح امام الشيوعيين هو الدخول فرادي للتنظيم السياسي الوحيد، وليس الدخول كتتنظيم حيث إطار جهوي، ويعرض الكتب لرسالة وجهها الراحل شهيد عطية الشافعي للرئيس الراحل عبد الناصر عام ١٩٥٩ من السجن أكد فيها تأييد الشيوعيين لزعامته وسياساته الخارجية والاقتصادية والاجتماعية ولفكره الجبهة الوطنية، واستحضر دورهم في مواجهة العدوان الثلاثي، ثم تساهل، بصيغة النفي، عما إذا كان اعتقال الشيوعيين أدى إلى إزالة البصمة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق.

وهنا يشير الكاتب ان الشيوعيين خارج، حدثو، رفضوا اعتبار التأييمات التي اعطتها الرئيس الراحل عبد الناصر في تلك الفترة، تقدسية، ما لم تصاحبها إجراءات ديمقراطية باعتبارها تأييمات رأساً على عقب تقوم الدولة بدور الرأسمالي مباشرة، فأصبحت رأسمالية دولة واستمرت علاقات الانتماء رأسمالية، خاصة ما عرفت تأييمات يوليو ١٩٦١ وأعلنت أحكام قاسية بحق الشيوعيين والمقابيل، بقيت، حدثو، على طول الطريق تؤمن بوجود، مجموعة اشتراكية، مختلفة بأفكار قومية في السلطة بزعامة الشيوعيين وعبد الناصر، ويعيد المؤلف تكرار ان هذا الموقف كان كرادياً للحركة الشيوعية المصرية في حلقتها الثانية، ولكن قصير جداً، أصدر على ان وجود اجنحة داخل السلطة هو سبب ما تعرض له الشيوعيون نتيجة محاربة جهات في السلطة لإفساد العلاقات بين الشيوعيين وعبد الناصر، ورات الحركة ان افكار عبد الناصر اقترنت مع الاشتراكية السليمة وقاية للتطور بما يسمح بوحدة الشيوعيين مع مجموعة عبد الناصر الاشتراكية، قياساً على ما حدث في كوبا وبعض دول شرق أوروبا، مل إن بعض قيادات، حدثو، راوا أن الخلاف مع عبد الناصر بعد ١٩٦١ لم يمد حول الاشتراكية أو التوجهات الاقتصادية والاجتماعية بل حول استقلالية التنظيم والدخول للتنظيم السياسي الواحد للسلطة كتتنظيم ومدى قبول السلطة بذلك.

ووصل الأمر بـ، حدثو، إلى اعتبار شرط قبول العضوية بالحركة هو الدخول بحماية النظام الوطني القائم، وزاوا في المرحلة انتقالاً من الرأسمالية إلى



الكتاب يتركز على ظاهرة التفتت والانقسام داخل الحركة الشيوعية خلال تلك الفترة نجح في إثبات أننا كنا بصدد «حركات» متضاربة ومتناقضة فيما بينها

كتاب الزاوية



من يتحدث باسم الإسلام؟

ديمقراطية أم ثيوقراطية؟ (١)

إن جماعة متنوعة من موظفي الحكومة وأعضاء الكونجرس والنقاد تردد آراء الخبراء الأكاديميين من أمثال «صمويل هانتجتون» (Samual Huntington) و«برنارد لويس» (Bernard Lewis): التي تحذر من أخطار «صدام الحضارات» ولهذا الاعتقاد جذور عميقة في صناع القرار والخبراء. وهو استجابة - بصفة جزئية لبعض الحقائق السياسية في العالم الإسلامي.

■ كل من أربع دول أغلب سكانها مسلمون، توجد دولة واحدة تتنصّب حكومتها بطريقة ديمقراطية.

■ الحكام في عدد من الدول الإسلامية التي تدّعي إجراء انتخابات ديمقراطية يفوزون في انتخابات الرئاسة بصورة روتينية بنسب تقريبية تتراوح بين ٩٠٪ و ٩٩٪. وقد فاز رئيس تونس «بن علي» بنسبة ٩٩.٤٪ من الأصوات في انتخابات الرئاسة في عام ١٩٩٩، ونسبة ٩٤.٥٪ في عام ٢٠٠٤. وفي مصر فاز الرئيس حسني مبارك بنسبة ٩٤٪ في عام ١٩٩٩، ونسبة ٨٨.٦٪ في عام ٢٠٠٥ من أصوات الناخبين.

■ إن أغلب الحكومات الإسلامية تسيطر على الأحزاب السياسية المعارضة، والمنظمات غير الحكومية، وتحدّد نشاطها بصورة قاسية. ولها سلطة الترخيص لها أو منعها وحلّها، وكذلك تتحكم في قدرتها على عقد الاجتماعات العامة والاتصال بوسائل الإعلام.

(١) (١) الثيوقراطية هي الحكومة الدينية. س. سولاف رجا: د. س. سرجه

١٩٦٥ وسعوا لإعادة بناء الحركة عام ١٩٧٥. أما من جهة أجهزة السلطة، فيعترض المؤلف لتقرير يفرض حل «حدنو»، والحزب الشيوعي المصري، باعتباره اعترافاً من الشيوعيين بضعفهم وأخطائهم وجزءاً من مؤامرة منهم لا خرق التنظيم السياسي ممثلاً في الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطبيعي والسيطرة عليهم من الداخل تهديداً للامتناع عن الثورة. ويدلل التقرير على ذلك بأن الشيوعيين المصريين لم يكونوا يوماً موضع اعتراف داخل مصر أو موضع اعتراف الحركة الشيوعية الأممية.

ويشير المؤلف في الختام إلى هزيمة يونيو ١٩٧٢ بعد عامين من حل الشيوعيين المصريين لتنظيمهم الرئيسيين كدليل على ما أسماه «هشاشة» الحكم الناصري رغم جبروته الظاهر. وفي الختام، وبالرغم من كافة الملاحظات والتعليقات التي عرضنا لها آنفاً، تبقى حقيقتان هامتان بشأن الكتاب الذي اتخذنا منه هنا مدخلاً لدراسة تاريخ الحركة الشيوعية المصرية في حلقتها الثانية ما بين ١٩٣٥ و ١٩٦٥. خاصة «حدنو»، وهما حقيقتان تهمازان العديد مما استقر في العقل الجمعي السياسي المصري، بل والعربي. أما الحقيقة الأولى فهي أن الكتاب بتركيزه على ظاهرة التفتت والانقسام داخل تلك الحركة خلال تلك الفترة نجح في إثبات أننا كنا بصدد «حركات» متصارعة ومتناقضة فيما بينها وليس «حركة» شيوعية مصرية واحدة أو موحدة أو حتى متناغمة أو منسجمة فيما بين فصائلها. أما الحقيقة الثانية فهي أنه ليس صحيحاً ما استقر في ذهن المصري العربي لعقود بأن الشيوعيين مؤيدون بشكل أو لآخر للراحل جمال عبد الناصر وسياساته، بل إن هذا يصح فقط على قطاع من الشيوعيين، كما أن حتى هؤلاء الذين أيدوا كانوا لاحقاً مشاراً انتقاد موضوع وأيديولوجي وسياسي حاد من قطاعات هامة من المصرية كما يظهر جلياً من هذا الكتاب. وأخيراً، يشجع الكتاب الذي عرضنا له على المزيد من البحث والدراسة العلمية والمنهجية لموضوعات الحركات الشيوعية المصرية، في حلقاتها الثلاثة، باعتبارها جزءاً هاماً من التطور الفكري والسياسي والاجتماعي للشعب المصري، ومكوناً لا غنى عنه لتطوير صحي ومتوازن للذاكرة التاريخية والوطنية المصرية. ■

الاشتراكية. ودفعوا بأن اعتصامهم وتعذيبهم يجب ألا يحول دون التفكير بموضوعة. همداد عام ١٩٦٢. تحدث بعض قادة «حدنو» عن فرصة قيام حزب واحد للاشتراكية العلمية. وآخرون تحدوا من حل الحزب والانضمام لقيادة عبد الناصر، خاصة في ضوء الحديث عن بناء تنظيم طبيعي داخل الاتحاد الاشتراكي العربي - التنظيم السياسي الذي خلف الاتحاد القومي. وتوسيط شيوعيين مفرج عنهم بعد أن التحقوا بدوائر الحكم، ولكن بقيت قواعد وكوادر «حدنو»، ضد الحل. ويتهم المؤلف الشيوعيين الذين التحقوا بالسلطة - «دفن» الحلقة الثانية للحركة الشيوعية المصرية. ويؤكد أن الحكم لم يقدم تنازلات حقيقية للشيوعيين بل مجرد ساحات تنشيط، مشيراً إلى أن دور الشيوعيين كان محدوداً ومقيداً ومفيداً للسلطة. ومع هذا، كانت تعارضه أجهزة استبدت أساء الشيوعيين من الترشح في انتخابات وحدات ولجان الاتحاد الاشتراكي. بل فرصت الفرصة على معظم الشيوعيين الفرج عنهم عام ١٩٦٤ ووضعت العرائيل أمام عودتهم لأعمالهم في وقت كانت علاقته بهم بلا مورد لدة خمس سنوات، وذلك بدلًا من الترحيب بهم كطلائع للفكر الاشتراكي السائد. وينفي المؤلف عن الشيوعيين مسهم في الحكم صادية من جراء الانسحاق بالسلطة. ويرجع ذلك إلى قناعة فكرية وسياسية بالبحث عن مولى قدم الليسان. واتخذت «حدنو» قراراً بأن ينضم للتنظيم الطبيعي تتوقف عضويته في «حدنو» إثباتاً لحسن النية ولتدعيم الحكم، بينما استمر الكادر الوسيط والقواعد في الحركة ترفض الحل ووجدت به، وتم تخويل مسئول سياسي واحد سلطة اتخاذ القرار. «حدنو» بما ضرب يعرض الجانب كل مبادئ الديمقراطية، بل وحتى الديمقراطية المركزية. وفي اليوم التالي لحل الحركة، تم تأسيس تنظيم جديد بواسطة أربعة من قيادات «حدنو»، مما أظهر التحدي وغياب النقاش أو الإجماع على قرار الحل. ولكن المؤلف ينتقد أن منتهى أماني «حدنو» هو أن يسمح لهم الرئيس عبد الناصر بدخول التنظيم الطبيعي، خاصة أنهم كانوا معزولين عن العمال والطلاب والناقبات، وينتقد تجاهلهم أن الدفاع عن حق التنظيم المستقل هو السبيل للدفاع عن وجودهم ليكون التحالف مع الرئيس عبد الناصر وفق برنامج محدد. ودليل المؤلف على صحة هذا النقد أن عددًا من قادة «حدنو» اعترفوا لاحقاً بخطأ قرار الحل عام

■ ■ ■ لن تكون مبالغين إذا قلنا أن القصة
بصفة عامة - هي أكثر الفنون الأدبية
تصاقاً بالإنسان، وأصبح تعبيراً عن
حياته: في ماضيه وحاضره ومستقبله.
ورغم ما تقدمه لنا وسائل الاتصال
الحديثة من إبداعات فنية تجسد حياة
الإنسان وتقدمها عبر الأثير بكل الألوان
والأبعاد، فلا ننسى أن القصة هي جوهر
هذه الأعمال الإبداعية على اختلاف
الوانها وأشكالها. والنصوص القصصية
مارات تترفع على عرش الفنون السردية
الحديثة فهي التي تصاحب المتلقي
أيما كان وحيثما حل، وهي تصل مباشرة
إلى خائمه فيشركها التحرية الشعورية
للمبدع، وأخيراً هي التي تستطيع أن
تقدم للمتلقى عالمًا افتراضياً مثير
محدود.

والقصة القصيرة - بصفة خاصة -
هي أقدس الفنون الأدبية على مراقبة الحياة
وتفسيرها من خلال الزاوية الخاصة التي
ينتميها كاتبها. وفي إطار الأبعاد الزمانية
والمكانية التي يرسمها، فإذا كنا نسعى
للتقديم صورة متكاملة لأي مجتمع من
المجتمعات البشرية علينا أن نلجأ في
قصصنا القصيرة لنستخرج منها عناصر
هذه الصورة، فالقصة القصيرة تتميز
بعدة خصائص لعل منها:

• أنها تكتفى موقفاً من الحياة أو
جانبا من جوانبها.

• أنها تمثل الواقعية الجديدة في
الكشف عن الحقائق دون السعي للكشف
عن أسرارها.

• أنها تمثل لحظة تصويرية ودقيقة
شعورية من جانب كاتبها.

• أنها تلائم سرعة الإيقاع التي تميز
العصر الحديث مع الاهتمام بصنع
الزمان والمكان.

لذلك كله لجأنا إلى القصة القصيرة
لنرصد حركة المجتمع التركي الحديث
والمعاصر، ولنشر نبض الحياة في
عروقه، ولنتلصق له صورة من مختلف
الزوايا (بانورامية). ولكني نستطيع أن
نقدم نماذج بشرية متنوعة للإنسان
التركي المعاصر في أفراحه وتراحه، ومن
واقع همومه وقضاياه، ومن خلال ماضيه
وحاضره ومستقبله.

وتحقيقاً لهذا الهدف ولقح اختياراتنا
على باقة من القصص القصيرة التي
تنتمي إلى الفترة الزمنية من النصف
الثاني من القرن العشرين إلى أوائل
القرن الحالي أما كتابها فغالبيتهم -
لستثناء عدد محدود من المصمرين -
من مواليد الأربعينيات فأحدث، أي أنهم
من الجيل المعاصر

لم تكن مسألة اختيار هذه النصوص
الإبداعية أمراً سهلاً ميسوراً، بل هي

للاستزادة
من الأدب التركي المعاصر - مختارات
من القصة القصيرة
نقلها عن التركية: د. محمد عبد
اللطيف هريدي
دار العين للنشر - الإسكندرية ٢٠٠٩

الختار فى القصيرة



مهمة جد عسيرة، فقد حرصنا على أن
تقدم رؤى إبداعية مختلفة، بحيث يمثل
مبدعها مختلف الاتجاهات والتيارات
الفكرية والفنية السائدة في الأدب
التركي المعاصر، ووضمنا في عين الاعتبار
أن تصور هذه القصص مختلف بينات
المجتمع التركي وطبقاته وفئاته، وأن
تقدم لنا نماذج بشرية مختلفة تمثل
غالبية الشعب التركي. ورغم ذلك لا
نزع أن هذه المختارات تمثل كل القصص
التركية المعاصرة، أو أنها تمثل كتابها أو
أنها تمثل أفضل ما كتبوا، بالطبع لا
نستطيع زعم ذلك، بيد أننا نزع أننا
حاولنا تقديم تنويعات من القصص
التركية القصيرة التي تقدم لنا صورة
مكاملة للمجتمع التركي المعاصر.



إن القصة - بمعناها العام - تعبير
أدبي وثيق الصلة بحياة الإنسان، فهو
يسمعها ويبدأ في المهد، وهو ينمت إليها
حين تقدم إليه دروساً وعبراً دينية، وهو
يطالعها حين يتابع تاريخه في شكل
أحداث ووقائع. ومن ثم القصة ملازمة
للإنسان طوال حياته، وإذا صدق ذلك
على الأفراد فهو يصدق على الشعوب
والأمم.

أما القصة القصيرة فنحنى بها ذلك
النوع الأدبي الحديث الوافد من الغرب
والذي انبثق عن فن الرواية وأطلق عليه
مجازاً «القصة القصيرة».. فقد ظهر
هذا النوع في أوروبا في أواخر القرن
التاسع عشر، واكتمل نصجه على يد جي
دي موبسان (١٨٥٠-١٨٩٣م) الذي وصفها
بأنها «تصور حدثاً معيناً لا يهتم الكاتب
بما قبله أو بعده...، وهي الوسيلة
الطبيعية للتعبير عن الواقعية الجديدة
التي لا تهتم بشيء أكثر من اهتمامها
باستكشاف الحقائق من الأمور الصغيرة
المألوفة... وكاتبها يهتم بتصوير موقف
معين في حياة فرد أو أكثر لا بتصوير
الحياة بأكملها... ولذلك فإن النهاية في
القصة القصيرة تكتسب أهمية خاصة إذ
هي النقطة التي تنجم فيها وتنتهى
إليها خيوط الحدث كلها لذلك سميت
(لحظة التكوين)»^(١)

والقصة مرآة صادقة لحياة الشعوب،
مواقفها مأخوذة مما عاشته من
الأحداث والخطوب، وشخصياتها
مستوحاة من البشر الذين يعيشون هذه
الحياة، ومسرح أحداثها هو الأرض التي
يبد عليها أفراد المجتمع، وزمانها هو
اللحظة التاريخية المتقاة التي يعيها
القصاص من جديد. وإذا كان العرب قائلوا
قديمًا «الشعر ديوان العرب»، فلن تكون
مبالغين لو قلنا أن «القصة ديوان الحياة
المعاصرة».

والقصة التركية - سواء كانت رواية أم
قصة قصيرة - لاتعدو كونها ديواناً لحياة
المجتمع التركي، ونحن إذ نقدم هذه
المختارات نحاول أن نقدم صورة
(بانورامية) للحياة الاجتماعية المعاصرة

تركيا. فالقصة التركية القصيرة - التي لا تختلف كثيرا في أشكالها وتطورها عن مثيلتها في الأدب العربي - كانت مواكبة لحياة هذا المجتمع عبر تاريخه الحديث والمعاصر.

يبدأ أئتنا أثرنا أن يكون اختياراتنا محدودة في نطاق زمني محدد وهو المجتمع الحديث والمعاصر، ومن ثم انحصر ما تقدمه من نماذج في الإنتاج القصصى لفترة من منتصف القرن العشرين إلى أواخره^(١).

ولا مندوحة من تقديم لمحة سريعة عن نشأة القصة التركية المصيرة وتطورها وتوطئة للمرحلة التاريخية والأدبية التي أفرزت القصص المختارة، وتعميدا للوقوف على مستوى النضج الفني الذي وصلت إليه القصة التركية المعاصرة من ناحية، ومدى تعبيرها عن المجتمع التركي المعاصر من ناحية أخرى.

فجر القصة التركية القصيرة

دخل الأدب التركي - كغيره من الأدب الشرقي - تحت تأثير الآداب الغربية مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي^(٢)، ونتيجة لهذا التأثير تسرعت الأنواع الأدبية الجديدة إلى الأدب التركي. وكان من القصة المصيرة في مقدمة هذه الأنواع الأدبية الوافدة^(٣). وقد تزامن فجر هذا الفن الجديد مع بداية مرحلة تاريخية جديدة في حياة المجتمع التركي، تلك المرحلة التي تعرف فيها على الحضارة الأوروبية، متأثرا بحالة من الانبهار بتفوقها التكنولوجي، ومبداً من ثورتها الفرنسية، وقد عرفت هذه المرحلة بـ «عهد التفتيمات»^(٤). وفي هذه المرحلة تبنى المؤلفون الأوائل النضج الفني، بيد خدمة المجتمع، وكانت القصة القصيرة في مقدمة الأنواع التي سرخرها الروائيون الأوائل لخدمة أهداف أخلاقية وتثويرية تنصب في الغالب، على التعريف بالحضارة الغربية، أو التوفيق بينها والحضارة الإسلامية، أو التحذير من التقليد الأعمى للحضارة الغربية^(٥).

برز في هذه المرحلة الكاتب التركي المعروف أحمد مدحت الهندي (١٨٤٤ - ١٩١٢) وتضمن مقام ريادة القصة بلا منازع، لوفرة إنتاجه، وسهولة لغته، وتقمصه روح الثورات الشعبية^(٦). وإذا كان إنتاج أحمد مدحت قد تميز بالطابع الشعبي فهناك روائيون آخرون غلب على أعمالهم طابع الصنعة والتكلف في اللغة والأسلوب، فراجت أعمالهم بين رزمة المثقفين، ولكنهم لم يكتبوا كثيرا في مجال القصة القصيرة، بل كان جل إنتاجهم في مجال الرواية مثل نامة كمال (١٨٤٠ - ١٨٨٨) وسامي باشا زاده سزائي (١٨٦٠ - ١٩٣٦). ومع ظهور الجيل الثاني من كتاب هذه المرحلة ظهرت سائير المدرسة الواقعية على يد محمود رجائي زاده أكبر (١٨٦٧ - ١٩١٤) في روايته «دمار العربية» (١٨٨٩)، ثم جاء نايي زاده ناظم (١٨٦٩ - ١٨٩٣) ليقدّم



نماذج جديدة سمت بمرجع في الواقعية والطبيعية وقد بدا ذلك واضحا في قصصه القصيرة، خاصة قصة: قزاق بيك (١٨٩٠)

تميز الإنتاج القصصى لهذه المرحلة، بخصائص المدرسة الرومانسية الفرنسية بكل ما تحمل الكلمة من معنى، من حيث المبالغة في التصوير، والجنوح إلى الخيال، وتسطيح الشخصيات وعدم تطورها مع تطور الأحداث، فهي أحادية الجانب، إما جانب الخير أو جانب الشر، فضلا عن ذلك فقد تميز إنتاج هذه المرحلة بكل خصائص البداية، من حيث عدم اكتمال عناصر النضج الفني، بيد أنه يحسب لهذا الجيل من القصصيين أنهم استطاعوا تسخير هذا الفن الجديد في خدمة أهدافه التنقيصية والثنائية، ومعالجة القضايا الاجتماعية في ضوء معطيات المنطق الحضاري الذي كان يعميه المجتمع التركي، ولا سيما في عاصمة الدولة العثمانية آنذاك - استانبول.

مع قرب الفول القرن التاسع عشر الميلادي دخل الأدب التركي عموما، وفي القصص خصوصاً، مضطربا حيث بدأ القصة - تحت ضغط السلطات الرقابية آنذاك - يبتعدون عن تناول القضايا الاجتماعية، مؤثرين التعبير عن مشاعرهم الذاتية، كما التصه هؤلاء الأدباء حول مجلة أدبية تعرف باسم: شروت فنون - حين صدورها في (١٨٩١) - والتي نسب جيلهم، فخرج باسم: جيل ثروت فنون، أو جيل الأدباء الجديد، كما كانوا يسمون أنفسهم، ومن الجدير بالذكر أن بصفة عامة - تخلوا عن مبدأ «الفن للمصطنع» وأصبح شعارهم: «الفن للفن» - وتشغلت حركة ترجمة الأعمال الروائية الفرنسية والإنجليزية، فهدوا موارد المدرسة الطبيعية والواقعية في الأدب الفرنسي فصاروا ورجعوا عن بلزاق (١٧٩٩ - ١٨٥٠)

وستاندال (١٧٨٣ - ١٨٤٢) وجوستاف فلوبر (١٨٢٩ - ١٨٨٠) وأميل زولا (١٨٤٠ - ١٩٠٢) والفلوس دوييه (١٨٤٠ - ١٨٨٧) وغيرهم، وأطلقوا العنان لشاعرهم ولابداعهم، وكان إنتاجهم الروائي في البداية يحمل بصمات الرومانسية التي ورثوها عن كتاب التفتيمات، ثم تطور ذلك الإنتاج ليبلغ النضج الفني في أواخر هذه المرحلة. وقد برز من بين هؤلاء القصاصين خالد ضيا أوشاقليل (١٨٦٧ - ١٩٤٥) وقد كان جل إنتاجه في مجال القصة القصيرة التي بلغت مثاق فنية، تميز فيها بالحرص على تقديم بناء متمكنا، على طراز القصص الغربية كما جسد ذلك في قصص استمداه من واقع الحياة وأصبحت بيئة الأصداء القوية في استانبول. كذلك جاء الروائي محمد رؤوف (١٨٧٥ - ١٩٣٦) ليقدّم أولى نماذج التحليل النفسي في الرواية التركية^(٧).

وعلى الرغم من أن الروائي حسين رحى كورينسار (١٨٩٤ - ١٩٤٤) كان معاصرا لهؤلاء القصاصين، لم ينتم إلى جماعتهم، بيد أنه تميز بمزارة إنتاجه وغلبة الطابع الاجتماعي على هذا الإنتاج

مما يعد تلميذا مخلصا لأحمد مدحت افندي. ولكنه كان متأثرا بمدرسة الطبيعة الفرنسية مزيج من الواقعية المتدنية^(٨). وهكذا تجاوزت القصة التركية مرحلة النشأة، فتطور بناؤها الفني، وسبجها القصصى، وبتت شخصياتها أكثر طبيعية وأحداثها أكثر واقعية لكن يعيب النقاد على عالمية أعمال هذه المرحلة صعوبة اللغة وتكلف الأسلوب^(٩).

القصة في خدمة المبادئ القومية

مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين اختلفت غالبية التيارات الأدبية التي كانت تهدف إلى بعث الحياة في جسد الرجل المريض، أي الدولة العثمانية، لاسيما تلك التيارات التي كانت تعتمد على مبادئ عثمانية أو إسلامية. وساد على ساحة الفكر والسياسة تياران، أحدهما يدعو إلى القومية التركية، ولآخر يدعو إلى المصيرية. وقد تجلت سيادة هذين التيارين في الإطاحة بعرش السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) عام ١٩٠٨ وتولى حزب الاتحاد والترقي السلطة.

التفت جماعة من الأدباء حول مجلة تدعى «كنج قلمبر»، أي الأقلام الشابة (١٩١١) وتبنت هذه الجماعة الفكر القومي بكل تجلياته اللغوية والأدبية ومن هذه التجليات أن تكون أعمالهم الروائية في خدمة مبدأ القومية التركية الذي اشد أواره وكثر اتساعه في أعقاب الحروب التي خاضتها الدول العثمانية في خريات أيامها^(١٠). فعاد الأدباء إلى مبدأ «الفن من أجل المجتمع»، وإتقاء الروائيين الأتراك تيار القومية وبرز من بينهم الكاتب ممدوح شوكت اسفندال (١٨٨٣ - ١٩٥٢) وعمر سيف الدين (١٨٨١ - ١٩٢٠)، وحالة أديب (١٨٨١ - ١٩٦٤) ورفيق خالد قراري (١٨٨٨ - ١٩٦٥) ويعقوب قدرى قراري عثمان أوفلو (١٨٨٩ - ١٩٧٤) وشاد بوري كوستكين (١٨٨٩ - ١٩٥٦). هؤلاء توفروا على تناول موضوعات قومية في أعمالهم القصصية، ويأتى في مقدمة هذه الموضوعات: بث الروح الوطنية، وتزكية روح الحماس لقتال الأعداء، وتحرير الوطن التركي، وتسجيل تاريخ الأتراك قبل الإسلام، والمخبر بالعنصر التركي، والبحث عن أسباب النهوض بالمجتمع التركي، وإحياء التراث التركي القديم، والدعوة للقومية التركية، وأخيرا تصوير حياة الريف، وعرض قضايا، مع اعتبار الأناضول مهدا للوطنية التركية. لكن هذه الموضوعات كانت في الغالب تقدم مزججة بجاذب قصص الحب، لاسيما في الروايات - وربما كان ذلك رغبة في إرضاء المثقف الذي ألف قراءة قصص العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة. كما تميزت الأعمال القصصية في تلك المرحلة بالبناء الفني الحكيم، وسهولة اللغة والأسلوب.

ولكن رغم هذا التحول

القومي هي المضمون ظل البناء الصلبي مرتبطاً بالمدارس الغربية من حيث المفهوم والبناء الصلبي. هطل القصاصون يصرون على حطى رواد القصة القصيرة في الأدب الغربية انذاك ويأتى فى مقدمة هؤلاء.

من الأدب الفرنسي: المؤسس دوديه (١٨١٠-١٨٩٧م)، وحي دي موباسان. ومن الأدب الأمريكى مارك توين (١٨٣٥-١٩١٠م)، وجون شتاينبيك (١٨٩٢-١٩٦٨م). ومن الأدب الروسى أنستون تشيخوف (١٨٦٠-١٩٠٤م) وغيرهم. ولكن من بين هؤلاء كان موباسان وتشيخوف هما الأعمق تأثيراً حتى لقد نادى نقاد الأدب الشرقى على تقسيم القصاصين إلى فريقين.

أحمد كما ترسم خطى موباسان حيث اعطى الأولوية لبناء الحدث بناءً تقليدياً. واهتم بدور الشخصيات فى تحريك الحدث. وقد مثل هذا الفريق: صبر سيف الدين، ويعقوب قدرى قرا عثمان أوغلو، ورفيق خالد قرأى. وخالدة أديب، وريشاد فوري كونكيكين أميا. والثانى فقد ألقى أثر تشيخوف الذى لم يكن يهتم بمسئولية بناء الحدث. ولم يكن يولى للشخصيات هذه الأهمية. بل كان يهتم بأن القصة تبدأ بعد نهاية الحدث ويأتى فى مقدمة هذا الفريق، ممدوح فوكوت اسدال^(١٢).

القصة ومبادئ الثورة الكمالية:

بعد نجاح الأنوار فى حريهم التحريرية عام ١٩٢٢م، وقيام الثورة الكمالية ومن ثم إلغاء السلطنة العثمانية وإعلان الجمهورية ١٩٢٣م، أعلنت الثورة مبادئها الستة التى كان فى مقدمتها: القومية والعلمانية. ومن ثم لم يجد حملة الشبهة القومية من الأدباء تناقضاً بين أعمالهم السابقة للثورة وهذه المبادئ. ولذلك لم يكن غريباً أن سرى الروائين، السابقي كدرهم، قد وصلوا، فى أوائل العهد الجمهورى - مسيرتهم القومية فى تناول نفس الموضوعات التى لم يحدوا فيها تناقضاً مع ما جاء فى مبادئ الثورة الكمالية بل أصبغ إليها الهجوم الحنيف على الدين الإسلامى ومورمه، وإرجاع غالبية الأمراض والمشكلات الاجتماعية إلى التمسك بالدين. وليس أدل على ذلك من الشكوى التى يشكوها النقاد التركى أحمد قياقلى من تصاعد حدة هذا الهجوم بقوله: لقد اتفق فى ذلك دعاة التغريب مع دعاة السيارية ولم يكن لهم من هدف سوى التظاهر بالنشورية والتثورية^(١٣). فضلاً عن ذلك فقد بدأت

مبادئ الشيوعية تنسرب إلى فئة المثقفين هائلتوا حول مجلة تمثلهم اسمها (كادرو) وكان من بين هؤلاء المثقفين الكاتبين: سائب الذكر، يعقوب قدرى، والشاعر ناظم حكمت (١٩٠٢-١٩٦٣م) والروائى صباح الدين على (١٩٠٧-١٩٤٨م). ولكن نزع بالأول فى السجى. وهرب الثانى إلى خارج البلاد، وقتل الثالث ناظم محاولته الهروب على الحدود البولارية

لم يكن الحزب الجمهورى. الحاكم فى اوائى العهد الجمهورى. ليمسج متعدد الاتجاهات الفكرية فى ظل حكم الحزب الواحد. كما أنه لم يكن ليمسج يتناول الترتيب الإسلاسى والعضائى فى الأعمال القصصية إلا نقداً وتجريحاً. ولكن هذا لاينفى وجود المعارضة الدينية التى ترعها الشيخ سعيد النورسى (١٨٧٦-١٩٦٠م). أما المعارضون الأداء فقد كانوا يلجأون أحياناً إلى الاختيار حياة المنص مثل: الشاعر الإسلامى محمد عاكف أرسوى (١٨٧٣-١٩٦٦م) وشيخ الإسلام مصطفى صبرى (١٨٧٦-١٩٦٠م) وخالدة أديب آدمى (١٨٤٤-١٩٦٦م) وسامحة أبويردى (١٩٠٦-١٩٦٣م). وقد حاول يعقوب قدرى التعمل إزاء فرض الرقابة وسيطرة الحزب الواحد وكان السجى من نصيبه. وكان بعض الكتاب يلجأون إلى الموضوعات الروحية. ومعالجة الأزمت النفسية مثل بياسى صفا (١٨٠٠-١٩٦١م) أو معالجة الموضوعات الحسية. الفيزية الخاصة بالطينية البشرية مثل صلاح الدين أنيس.

ومن ثم انكب الروائيون على تناول الموضوعات التى تسمح بها الرقابة وتدعمها السلطة السياسية آنذاك مثل: تصوير حياة القرية، وما تعانيه من المشكلات الاجتماعية ورأسب العهد البائدة. ويأتى فى مقدمة هؤلاء رفيق خالد قرأى، الذى قدم أروع تصوير للقرية التركية. وأصدق نموذج للفلاح الشرقى من خلال مجموعة: حكايات بلادى (١٩١٩م). وواصل رشاد فوري أعماله القصصية التى جسدت الروح الشاعرية لقرى الأناضول. كما تابع يعقوب قدرى فى رواياته وقصصه القصيرة نقد الواقع المثقفين حيال الريف وتعاليمهم على أهلهم. فضلاً عن قصص البطولة التى أثرت على حرب الاستقلال^(١٤).

التعددية الحزبية

وصراع الأيديولوجيات:

يعتبر مؤرخو الأدب التركى الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من نتائج



انكب الروائيون على تناول الموضوعات التى تسمح بها الرقابة وتدعمها السلطة السياسية آنذاك مثل:

تصوير حياة القرية، وما تعانيه من المشكلات الاجتماعية



بداية مرحلة جديدة فى تطور الأنوار الأدبية بصمة عامة، والنش الروائى بصمة خاصة. وهو مضمون فى ذلك. لأن الأحداث التى أعقبت هذه الحرب تمخضت عن تغييرات عميقة أفرها فى الحياة السياسية والاجتماعية. كما هى هذه التغييرات؟ وما هى انعكاساتها على القصة القصيرة؟

توفى مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٣٨م فى دولة يسودها حكم الحزب الواحد. ولا صوت فيها يعلو على صوت الثورة الكمالية ومبادئها. ولم تتحقق لها التنمية الاقتصادية المنشودة ولا العدالة الاجتماعية الموعودة. وعلى الرغم من عدم دخول تركيا الحرب العالمية الثانية، فقد اكتوت بنارها، حيث كشفت هذه الحرب حقيقة تدهور الأوضاع فى الدولة مما أدى إلى زيادة حدة المعارضة الحكومية ولم يستطع حليفته عصمت إيونو (١٨١٨-١٩٧٦م) أن يولج تطبيق الديمقراطية، ولا يسلم أن الظروف العالمية: مثل توقيع اتفاقية حقوق الإنسان عام ١٩٤٤م، وانضمام تركيا إلى حلف شمال الأطلسى عام ١٩٤٧م، كانت تدفع تركيا إلى اتخاذ هذه الخطوة. فتهتزل تشكيل عدة أحزاب لخص الانتخابات البرلمانية عام ١٩٤٨م. التفت المعارضة حول الحزب الديمقراطي الجديد حين أعلن عن تشكيله عام ١٩٥٠م وبعث فى اكتساح حزب الشعب الجمهورى فى الانتخابات وتولس السلطة

من الطبيعي أن يضم هذا الحزب الجديد جميع أطراف المعارضة من المحافظين، وأصحاب النزعة الدينية من التجار وكبار مزارعى الأناضول الذين أضربوا فى العهد الجمهورى من جراء احتكار الدولة لتحتكر من المنتجات الزراعية المهمة، واحتكار صناعة التبغ والخبز^(١٥). ويصعب لهذه المرحلة إطلاقاً لمعارضة الإسلاميين من عقائدها. ومنذ هذا التاريخ بدأ الأتراك المتمسكون بدينهم يلتفون حول الأحزاب السياسية حتى أصبح لهم أحزاب تمثلهم بل وتصل إلى أعلى الحكم أكثر من مرة^(١٦).

بدأت الجمهورية التركية تدخل مرحلة سياسية وفكرية جديدة مع اعتلاء الحزب الديمقراطى سدة الحكم. فلم يكن لدى قائده من الخبرة السياسية والاقتصادية الكافية لحل القضايا التى خلفها الحكم الفردى طوال سبع وعشرين سنة، مما أدى إلى ظهور قضايا جديدة أوجهاها النقاد أحمد قاباقلى فيما يلى:

«الهم الخاطئ للديمقراطية، والتفرقة بين المدينين والعسكريين، وانتشار البطالة فى الريف نتيجة لرواج

الميكنة الزواجة، وسيطرة أصحاب رؤوس الأموال على الحياة الحزبية، وزيادة الهجرة من الريف إلى المدن، انتشار المسكن العشوائى على أطراف المدن^(١)، زاد من تقاليد هذه الأزمات الصراع بين الناسة الجدد دوى النزعة المحافظة وممثلهم الحزب الديمقراطي، والحرص القديم للدفاع عن (الرئاسة الأدبية) والثورة الكمالية بمبادئها العلمانية والتغريبية، وبمثلهم العسكريون واستمر هذا الصراع من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٠ وتدخلت هذه الأوضاع السياسية في تركيا مرحلة جديدة اتسمت بالعنف وتكونت الخلايا والمنظمات الإرهابية التي كانت ترفض نفسها الحق في استخدام القوة لمصر مبادئ

كان من الطبيعي أن تترك هذه الأحداث السياسية أثرها في الحياة الفكرية فتسربت إلى البلاد الأيديولوجيات اليسارية بكل طوائفها، وفتح عن ذلك تعدد التيارات والاتجاهات السياسية، فإلى جانب التيارات القديمة المتشعبة في، القومية التركية، والإسلامية، والعصرية أخذت الشيوعية تنتشر بين فئات الطلاب والمثقفين، فزادت أحداث العنف وعمت الموصى، واختل الأمن في كل أنحاء البلاد، لميك عن ظهور الحركات الانفصالية في جنوب شرقى تركيا، حيث وجد اليساريون في تلك المناطق تربة صالحة لثبات الفرضية بين العنصر الكردي في الولايات الشرقية. وعلى هذا النحو عاشت تركيا حالة من عدم الاستقرار في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حتى أواخر السبعينيات، حيث تدخل الجيش مرة أخرى عام ١٩٨٠ وأعلن الأحكام العرفية وحكم البلاد حتى عام ١٩٨٤. وعلى الرغم من أن التدخل العسكرى من حين لآخر لم يكن يقدم حلاً جديداً للصراعات الحزبية والأيديولوجية (إن تدخله كان بمثابة المسكن الذى يزيل الأعراض وليس الأمراض)، وقد شخصت هذه الأحداث عن انسداد المفكرين والأدباء إلى معسكرين رئيسيين:

١. الواقعية الاجتماعية:

انعكست حالة الانقسام هذه على الحياة الأدبية بصفة عامة، وكتاب الرواية بصفة خاصة فاضل كل منهم ينتمى إلى تيار أو اتجاه فكري، وأصبح لكل منهم معسكره ومثبره الخاص، يدافع عنه ميرزا اعتقاده أو مبادئه، وجعل الكتاب منبراً لوضع أدواق دعائية لكل حزب أو جماعة، وشذلت المسافة بين الشعارات السياسية والفن، وضحي القصاصون بالجوانب الفنية في سبيل التعبير عن



في مقابل هذا المعسكر الاشتراكي برز رهنط

من الأدباء ممن
كانوا يرون
أنه ليس بالخبز
وحده يحيا
الإنسان، ولذلك شرعوا
ينافحون عن
القيم المعنوية للإنسان

القضايا الاجتماعية والسياسية، وبدأت التيارات الوافدة وخاصة القومية الاشتراكية وساعد على ذلك حركة ترجمه واسمة النطاق عى الروسية، واللائمة عدا الإنجليزية والعربية، ومن ثم سخر هؤلاء القصاصون قصصهم للترويج للمعرك الشيوعى أو الاشتراكي. وسادت أعمالهم فكرة الصراع بين الطبقات، ووضعوا الشخصيات في قوالب نمطية، وضعوا شخصية الطلوم في قالب واحد تقريباً: فهو إما عامل أو أوطاح أجير أو إحدى الشخصيات التي تعيش في هامش الحياة الاجتماعية. في مقابل شخصية الظالم وهو إما مالك الأرضى (الأغا) أو العمدة في القرية، وصاحب رأس المال أو التاجر الاشتراكي في المدينة، وكان منطوق هذا التثريب رواد الواقعية الاشتراكية منذ الأربعينيات والخمسينيات مثل: كمال طاهر (١٩١٠-١٩٧٠) وأورخان كمال (١٩١٤-١٩٧٠) ويانشار كمال (١٩٢٢-٩٠) وصميم قوجه كوز (١٩١٦-٩٠) وعزيز نسين (١٩١٥-١٩٧٣) أم الكتاب الجند الذين يرون أنه الميعنيات ولكنهم تلتهموا على مؤلفات الكتاب الذي ذكرهم انما ويذكر من هؤلاء الجند: إيلخان طاروس (١٩٠٧-١٩٦٧) عدالت آغا أوغلو (١٩٢٩-٩٠) وطومريس أوتار (١٩٤١-٩٠)، وسلميم إيلرى (١٩٤٩-٩٠) وغيرهم.

٢. القومية التركية والإسلامية، وفي مقابل هذا المعسكر الاشتراكي برز رهنط من الأدباء من كانوا يرون أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، ولذلك شرعوا ينافحون عن القيم المعنوية للإنسان وقد تمثلت هذه القيم عند بعضهم في الفخر بأجداد الأتراك وتراثهم، واقتحموا من تاريخ الأتراك مسرحاً لظواهر مثل الكتابة سويتش تشوقوم (١٩٤٣-٩٠) وكمال طاهر (١٩١٠-١٩٧٣)، ومصطفى فوفول (١٩٤٧-٩٠)، وطارق بوغرا (١٩١٨-٩٠)، والعضى الأخر اتخذ من التاريخ السلجوقى والعثمانى مدخلاً لإحياء الأمجاد التركية في العصر الإسلامى وبمثل هؤلاء: سزلى قراقوش (١٩٣٣-٩٠) وإرام أوزندرين (١٩٤٠-٩٠) أما مصطفى سبتشى أوغلو (١٩٣٢-٩٠) وأفت ألتانز (١٩٣٧-٩٠) ومن لف لفهم فقد كانوا يرون في القيم الإسلامية حلاً للمشكلات الاجتماعية ومخرجاً لمرارة الكلى التي يعيشها المجتمع التركى.

لكن هذا التصنيف لا يعنى الحصر، فالكاتب قد يعبر عن إحدى قصصه عن المبادئ الاشتراكية وفى الأخرى عن القومية، فنقول ذلك لأن غالبية القصاصين الجند الذين برزوا تأخروا بالواقعية الاشتراكية قد تحولوا عنها

بعد ذلك ولاسيما بعد انهيار المعسكر الشيوعى فى التسعينيات من القرن العشرين كما أنها تحد بعض الكتاب وقد اتخذوا لأنفسهم مساراً خاصاً فمنهم من خض التناجه القصصى بحياة البحر دون أن يتخذ من القضايا الاجتماعية مادة لقصصه، بل كان يهتم بالمبادئ الإنسانية العامة ويذكر من هؤلاء خالقارناس بالقيجيسى (١٩٨٦-١٩٧٣) وسعيد فاتق أياسى ياليق (١٩٠٦-١٩٥٤) الذى ترك بصمات واضحة جعلته رائداً لمدرسة الإنسانية فى القصة التركية القصيرة.

أما من ناحية البناء الفن فقد ساد فى هذه الفترة من الإسقاط التاريخى على الأحداث المعاصرة حيث بات كل كاتب يحدد المرحلة التاريخية التى يعكس من خلالها الترويج أفكاره سواء إذا كانت قومية أو شيوعية أو محافظة أو تعريبية، وعن هذا النوع من البناء يقول الناقد أحمد قابالى: «اختار غالبية الروائيين من التاريخ التركى عهد الاتحاد والشرقى، أو حرب الاستقلال، كما قد صمو روية جديدة لحرب الاستقلال، ومن بين هؤلاء أتيا إيلخان، وكمال طاهر وطارق بوغرا، وصميم قوجه كور، وإينشار طاروس، وسفنتش تشوقوم، وكيسر ييلديز (١٩٣٣-٩٠)، ولما بعض الروائيين إلى مرحلة التاريخ السلجوقى والعثمانى وتاريخ القرم، ومن هؤلاء مصطفى نحاتى سبتشى أوغلو وكمال طاهر، وطارق بوغرا وسفنتش تشوقوم، وأورخان باموق (١٩٥٢)».

العولة وآثارها فى نهاية القرن،

مع اقتراب القرن العشرين من نهايته، وبالتحديد فى السنوات العشرين الأخيرة منه، مر المجتمع التركى بتحويلات جوهرية فى الحياة السياسية والاجتماعية، بدأت بنجاح حزب (الوطنى الأم) فى أول انتخابات بعد انقضاء فترة الحكم العسكرى عام ١٩٨٤ برئاسة تورجوت اوزال (١٩٢٧-١٩٩٣)، هكنا انتصاراً للبرالية والرأسمالية الغربية، حتى الحكومات التركية المتعاقبة انتهجت سياسة السوق الحرة، وبدأت الدولة ترخى قبضتها على المؤسسات الاقتصادية، وزاد الانفتاح على الخارج، فسعت الدولة إلى جذب الاستثمارات الخارجية، وشتم الاقتصاديون ورواد الصناعة فى مجال التصدير، واقتحم القائلون الأتراك أفافاً جديدة فى الشرق الأوسط وروسيا وأستراليا، والتف أصحاب رؤوس الأموال حول حزب (الوطنى الأم) الذى



نجح في تحرير الاقتصاد التركي من سيطرة الدولة. مما أدى إلى ظهور الصناعات في سوق المال والبنورصات والصفقات المالية المربحة. وانتشار الفساد الإداري والاجتماعي. وظهرت طبقات جديدة أثرت ثراء سريعاً. فالتسعت الهوة بين الأغنياء والفقراء. وزادت النزعة الاستهلاكية والإقبال على مظاهر الترف والرفاهية. وانخفض سعر العملة المحلية مع زيادة التضخم وارتفاع الأسعار. وأصبح التعامل بالدولار واليورو في السوق المحلية أكثر منه بالعملة المحلية. تبع ذلك انفتاح اجتماعي على الحياة الغربية بكل أطيافها فانتشرت أماكن اللهو والنواذب الليلية. وأقيمت محطات التليفزيون الخاصة بالإباحية. فضلاً عن انتشار القنوات الأجنبية. وابتدأت هجرة العمال الأتراك إلى الدول الغربية. مع تفضيل الكثير منهم الحياة في الغرب. أما العائدون قياتوا يعانون من الاغتراب داخل الوطن. والخلاصة أن هذا الانفتاح وإن بدأ اقتصادياً فقد انتهى اجتماعياً بحيث انعكس على حياة المواطن التركي. فهو إما أن يتخلى عن هويته التركية الإسلامية أو يتشدد في المحافظة عليها. وقد وقع عالمية المحافظين تحت تأثيرات التغيرات الإسلامية المتشددة. فظهرت الجماعات الإسلامية التي عرفت بأسماء عديدة مثل: حزب الله التركي، واتباع فتح الله وجماعة النورسية، وغيرهم أما على صعيد الأحداث الحالية الكبرى فقد شهدت التسعينيات انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م، ونهاية الحرب الباردة. وكان لذلك آثاره الكبرى على مجريات الحياة التركية بكل مناحيها. ويأتي في مقدمة هذه الآثار: غياب العدو التقليدي من ناحية وفقدان تركيا أهميتها الاستراتيجية بين أعضاء حلف شمال الأطلسي من ناحية أخرى.

• تداعي الاتجاه اليساري ومن ثم الأحزاب التي كانت تتبنى المبادئ الماركسية.

• فتح اتفاق جديدة للقومية التركية ودعوة تركيا للتكامل الاقتصادي والسياسي والثقافي مع عالم الجمهوريات التركية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي. حتى أنه أعلن في مؤتمر أنطاليا ١٩٩٣م القرن الواحد والعشرين (قرن العالم التركي)

• الميراث العثماني وأثره في حرب البوسنة والهرسك وتداعياتها على سياسة تركيا تجاه البلقان

• حرب الشيشان مع روسيا الاتحادية. والنزاع بين الأرمن والأذريين على إقليم ناغورنو قراباغ في القوقاز.

• الحرب على العراق عام ١٩٩١. ثم انهيار العراق وإعلان الاستقلال الذاتي لإقليم كردستان شمال العراق وأثره على تطور الحركة الانفصالية بين الكرد تركيا

وفي ظل هذه الأحداث السريعة والمتلاحفة. وتحت وطأة المتغيرات العنيفة فقد الأدباء والمفكرين وجهتهم. ولم يعد في مكنهم الالتفاف حول مفهوم فكري أو فني واحد. أو الاعتقاد في مبدأ إصلاحى واحد. بل ضربوا في كل اتجاه. وعبروا عن مختلف الرؤى ورغم استمرار بعض الكتاب في الضرب على وتر الموضوعات القديمة: مثل تصوير حالات الفقر والظلم الاجتماعي. والكشف عن الفساد الإداري والمالي. فقد رجع ألبم من الكتاب إلى التعبير عن بعض التغيرات الطارئة على المجتمع التركي: مثل تناول قضايا الفقر والتخلف وضرورة المحافظة على الهوية التركية والإسلامية. أو التوفيق بين مبادئ الدين الإسلامي والعصرية. كما تناول فريق منهم القضايا الإنسانية العامة. من خلال التعبير عن مفهوم الإنسان المعاصر ولفظه الوجودي أحياناً. ونزعتة إلى الصوعية أحياناً أخرى.

ولئن واصل رهدت من كتاب القصة التركية القصيرة ما وجدوا عليه أسلافهم في الموضوعات التقليدية التي كانت سائدة في الأربعينيات وأوائل الخمسينيات^(١) فقد تميزت معالجتهم بشيء من الجدة سواء من حيث التصوير أو الأداء. كما تميز تصويرهم بعناصر وخصائص لم تكن موجودة من قبل. فضلاً عن ذلك فقد جاءوا ببعض الموضوعات الجديدة التي فرضتها المتغيرات الاجتماعية والسياسية التي ذكرناها آنفاً. ينطبق ذلك على البناء الفني: إذ لم يكن المخبرون وحدهم هم الذين يصورون على النهج التقليدي في بناء القصة. بل شاعروا في ذلك بعض المعاصرين. وفي نفس الوقت ظهرت أنواع جديدة من التنكيك لم تكن مطروقة من قبل.

الموضوعات

• تناول فريق من القصاصين القضايا الإسلامية العامة: مثل قضية الحياة والموت. وعيشة الحياة. وتداول الأدوار بين الأجيال. ومكابدة الإنسان خلال هذه الحياة وكلها من القضايا



أحمد كمال

واصل بعض

رؤى الواقعية الاشتراكية

توجيه سهامهم

إلى الجهاز الإداري

والأمنى للدولة.

كما واصل البعض الآخر

الكشف عن

جشع أصحاب رأس المال

واستغلالهم

للطبقة العاملة

أحمد كمال

المصاحبة للإنسان أينما كان. وفي أي زمان كان^(٢). وعالجت بعض القصص جانباً من المشاعر الإنسانية البسيطة المعتادة: مثل مشاعر الحيرة والتنافس بين الصغار المراهقات^(٣). كما عالجت بعض القصص الأخرى العلاقة بين الإنسان والحيوان والأليف المسخر لحدمته مثل الحمام^(٤).

• تناولت بعض القصص حياة الموظفين داخل المدن الكبرى. وطموحاتهم الاجتماعية. ثم إحيائهم من جراء قلة المرتبات وزيادة أعباء الخدمات المدنية^(٥). مما يدفع بعضهم إلى الانتحار والبعض الآخر إلى النفاق الاجتماعي.

• واصل بعض رواد الواقعية الاشتراكية والنقد الاجتماعي توجيه سهامهم إلى الجهاز الإداري والأمنى للدولة. وجمروا نواحيه وقوانينه^(٦). كما واصل البعض الآخر الكشف عن جشع أصحاب رأس المال واستغلالهم للطبقة العاملة في المدن الصناعية الناشئة في الأناضول. ولكن هذه الطبقة قد تعد في العلاقات العاطفية تعويضاً عن مادية الحياة^(٧).

• انتقلت القصة القصيرة بأحداثها إلى شرق الأناضول حيث يعيش الأكراد في بيئة جغرافية قاسية. وفي ظروف اقتصادية واجتماعية أقسى قسوة. ورغم هذه القسوة لم يكن المواطن التركي هناك ليتخلى عن عائلته ومقاليده والتزاماته العائلية^(٨). وتشدت قسوة الطبيعة على القرى الجبلية حيث تظهرها بصواعق لا تبقى ولا تدر. وتكون سبباً في كوارث يرجعونها إلى قوى شبيهة أحياناً. ويعد أن عرفت وسائل النقل الحديثة طريقتها إلى جبالهم كانت سبباً في المزيد من الكوارث والمزيد من المخاطر^(٩).

• وواصل بعض الكتاب تصويرهم للبيئة الساحلية وحياة البحر التي أصبحت تقليداً راسخاً في القصة التركية بفضل الرواد الأوائل^(١٠). ولكنهم تناولوا الجانب السلبي منها. حيث تدعو حياة الصيد إلى الرقابة والمثل والبطالة مما يدفع سكان هذه السواحل إلى لعب القمار وارتكاب الجرائم. كما تميزت هذه القصص بالجدية في المعالجة^(١١).

• من يتأمل الكتاب المحافظون عن دورهم في الدعوة إلى إحياء التراث سواء كان مادياً في شكل عمارة المساجد. وجمالاتها الفنية. وسبب محاولة التوفيق بين رغبات الجيل الجديد والتزام الجيل القديم بممارسة العبادات في هذه المساجد. وذلك من خلال المزج بين جماليات التراث الإسلامي والعبادات^(١٢). أو في الدعوة إلى التمسك بالحرث والصناعات التقليدية. حتى لو كانت

طرق الحجاز^(١٠)، أو في الدعوة إلى إحياء القيم الإسلامية والتركبة القديمة حتى لو كان من خلال الإقامة في أحد البيوت القديمة التي تحمل بريق التاريخ وتبعث قيم الأجداد^(١١).

تناول بعض القصص دور المرأة الحورية في المجتمع التركي، فهي مرتكز الأسرة وعمودها القشري، تتميز بقوة الشخصية، وتعتمد على نفسها دائماً. ومع ذلك فهي تحترم زوجها ولا تعصى له أمراً حتى لو كان متقاعداً، وهي المهومة بالآباء عصاراً، وبأبنائهم كباراً. حتى لو تكبدت في سبيل ذلك مشقة السفر^(١٢)، وهي التي تكافح في سبيل المحافظة على المستوى المادي والطبقي للأسرة عندما تدفعها الحاجة والعجز، وتحاول الصمود أمام طغيان الحياة المادية الحديثة. كما يجد المرأة التركية قلب دوراً مهماً في الحفاظ على التراث والعادات والتقاليد الجميلة^(١٣).

● لم ينس الكاتب قضايا الأتراك المقيمين في أوروبا، ومعانيتهم في المهجر أو المنفى الاختياري (أحياناً)^(١٤)، كما دارت بعض القصص حول مشاعر العربية والصين إلى الوطن، ولكن هذه القصص لم تفلل الشعور بالإحباط عند العودة حين لا يجد المواطن وطنة الذي غادره من سنوات، أو يجده قد أصابه التغيير فأصبح لا يعرفه^(١٥).

تلك هي أهم الموضوعات التي عالجتها القصص المختارة وهي كما نرى، تسئل العديد من جوانب الحياة الاجتماعية، وتعكس الكثير من زواياها. كما أننا نلاحظ أنها تقطعي مساحة واسعة من الأماكن والبيئات المختلفة، ولكن ما هي المناهج والوسائل التي سلكتها القصاصون للتعبير عن رؤاهم حيال هذه الموضوعات؟ هذا ما سنستعرض عليه في خلال استعراض طرق المعالجة الأدبية في إيجان شديد.

المعالجة الفنية:

لعل ما أصاب المعالجة الفنية من التطور والتغيير، يبدو أكثر وضوحاً مما أصاب الموضوع، ولذلك اختلفت طرق هذه المعالجة وتباينت أساليب السرد ولكن يمكن إجمالها فيما يلي:

١- تميزت بعض القصص بالملود حتى وصلت عدة صفحات ولا يرجع ذلك إلى كثرة الأحداث أو الشخصيات بقدر ما هو بسبب الإغراق في التفاصيل^(١٦).

٢- جاءت بعض القصص في نداء تقليدي، فهي تتكون من حدث يبدأ بالقدمة ثم الحبكة ثم النهاية، قد يختلف هذا الترتيب من قصة لأخرى



تناول بعض القصص دور المرأة الحورية في المجتمع التركي، فهي مرتكز الأسرة وعمودها القشري، تتميز بقوة الشخصية، ومع ذلك فهي تحترم زوجها ولا تعصى له أمراً

لكنها تنشق جميعاً في تشكيل الحدث، وغالباً ما تكون النهاية مفتوحة، أو صاعدة أو غير متوقعة^(١٧).

● يعتمد الكتاب إلى أسلوب تداعي الذكريات، والانتقال من الزمن الحاضر إلى الماضي في سرد الحدث^(١٨).

● يلجأ بعض الكتاب إلى الرمزية، مع الإغراق في التفاصيل^(١٩)، كما يلجأ البعض الآخر إلى التصوير الخيالي (الضئاليزا)^(٢٠)، أو المزج بين الواقعية والماوراء^(٢١).

● يلجأ بعض الكتاب إلى استغلال الرحلة في مراقبة المشاهد التي تكون الحدث وتدفق بالأحداث إلى النهاية، مع التسلل بين عصر السارد والواقع المشاهد^(٢٢).

وهكذا نرى أن القصة التركية القصيرة والتيب مسيرة المجتمع التركي خلال النصف الأخير من القرن العشرين، تنهت موضوعاتها كما تباينت أدوات القصاصين في التعبير عن هذه الموضوعات. ■

(١) مجدى وهبة، معجم مصطلحات الأدب الحديث، ١٩٧٠، ص ٥١٨

(٢) في الحقيقة سيقت هذه المختارات مجموعة انتقائها الدكتور كمال الدين إحسان في كتابه، من الأدب التركي، مختارات من القصة القصيرة القاهرة، ١٩٧٠

(٣) يورج لذلك بترجمة رواية (للكمان) فيقولون عام ١٩١٢

(٤) من المروف أن ثرات أدبنا الشرقية برخر بما يشبه القصة القصيرة، لكن ربما كانت خصائصه الفنية تختلف عن هذه الأنواع

(٥) الفادسة في الأدب الأوروبي من التراث العربي في هذا الجبال القصص الغرائبي

(٦) الفاضلات وقصص ألف ليريه وليلة وكليلة ودمنة وغيرها. وقد انتقل هذا التراث كله أو بعضها إلى الأدب التركي، فحصل إلى ذلك

(٧) التراث العارسي مثل المتونيات والتراث التركي الأصلي مثل الملاحم الشعبية والحكايات الأسطورية وقصص البطولة وغيرها

(٨) نسبة إلى مرسوم التنظيمات الذي أعلن عام ١٨٣٩ تنظيم الحياة الإدارية والسياسية

(٩) لم يكن دور القصة التركي يختلف كثيراً عن قصة العربية في عصر الحقبة العثمانية تقريباً، حيث تذكر من المصادر العربية من هذه النوع حديث عيسى بن هشام للموصلية، وإليها سيطر حافظ إبراهيم، وقلم الدين علي مبارك (إلى

(١٠) قدم أحمد ممدت أفندي (١٨٤٤ - ١٩١٢) أول النظم القصصية مجموعة من القصص القصيرة الطويلة تحت عنوان (قصة دن حصه) أي عبرة من القصة عام ١٨٧٠

(١١) ككتاب القيون ترجمة محمد هريدي، عزة الصاوي، معادلات الأدب التركي الحديث، القاهرة، يونيو، ١٩٧٠ وما بعدها

(١٢) المرجع السابق، ص ١٧١ وما بعدها

(١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢)

(١٠) من أهم هذه المآخذ المعالمة في استخدام التراكيب العربية والماوراء، وعدم طيبة اللغة والأسلوب

(١١) أبرز من القصص للمؤلف، الرواية هي الأدب التركي الحديث والمعاصر مجدة القصة، القاهرة، سبتمبر، ١٩٧٨

(١٢) مثل حرب الطلاق عام ١٩١٢م، وفيها الثورة العربية أم الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٩م، وحرب الاستقلال عام ١٩١٩م

(١٣) Kabaklı, Ahmed Türk Edebiyat'ında Hikaye ve Roman

(١٤) Kabaklı, المرجع السابق ص ٩٢

(١٥) كانت غالبية هذه القصص تقوم على الصراع بين الحب والواجب الوطني، أو بين قوى الشر والبر والرجعية المفسدة في الشخصيات التي تستعمل مشاعر الناس لصالحها من أمثلة قصص

(١٦) أبرز من القصص، انظر تجلي ذلك في حرب السلامة الضومية بزعامة نجم الدين إريكاني الذي خاص

(١٧) الانتخايات عام ١٩١٢، ولجج في الحصول على عدد كبير من القاعد وشكل حكومة

(١٨) تتألف من حرب الشعب الجمهوري، ثم تولت الأحزاب ذات الاتجاه الإسلامي، مثل (الرفاه) أو الفضيلة ... إلخ

(١٩) Kabaklı, Ahmed Age, s. (٢٠) نفسه، ٤٢-٤٨

(٢١) اختصاراً عن المرجع السابق ص ٥٨-٦٢

(٢٢) مثل الصراع بين العمال وأصحاب رأس المال، أو الصراع بين صناديق التأمين والمحافظين أو شحيد التأمين والشرائح التركية، أو النصير بمواسية التروية،

(٢٣) تروى ذلك في: حيث ينشئ العمال، وشاعر القشري

(٢٤) الشارح الممدود

(٢٥) كما نرى في قصة شهر بونيو، والمتيم

(٢٦) مثل، البيت الواقع على الحدود

(٢٧) مثال ذلك في قصة هتة العطر.

(٢٨) انظر قصة العطر الأخير

(٢٩) انظر ممت حبس القريه

(٣٠) مثل خاتمة لفرانس باليغيس (وسعيد

(٣١) هتة اسي بايق ()

(٣٢) قص ولفق عن المعالجة الحديثة منظر

(٣٣) المحبات

(٣٤) كما في قصة الاصحية،

(٣٥) مدرك للإيجار

(٣٦) أنوار المار

(٣٧) مثل المحبات، والعروس، وشاعر القشري

(٣٨) حيث ينشئ الجبال

(٣٩) كله تادم على بوابة الحدود، وعودة

(٤٠) العودة

(٤١) مثل قصة المحبات، وشاعر القشري وشهر بونيو

(٤٢) مثل فتاة العطر والمتيم والعرس وشهر بونيو، وممت حبس القريه، والمحبات

(٤٣) ومزلة للإيجار

(٤٤) العروس، العودة

(٤٥) شارع القشري

(٤٦) قص ولفق

(٤٧) كما في كله تادم على بوابة الحدود

(٤٨) لوار المار

رسالة الدنيا وقصائد الإرادة

حسونة الصباحي

أبو القاسم الشابي

وأعلن في الكون، أن الطموح
لهيب الحياة، وروح الظفر
إذا طمحت للحياة النفوس
فلا بد أن يستجيب القدر

ولادة شعرية مغايرة

وكان محمد الحليوي على حق حين

كتب متحدثاً عن رؤية أبي القاسم الشابي

للتجديد في الشعر وفي الحياة.

«رسالة الشاعر كما يرى الشابي هي

تلك التي توضع في الحياة في نفسه،

وتجعلها تحس بتيارات الوجود أكثر مما

كانت تحس، ولتدرك معاني وأصواته أكثر

من لغته التي تشرك، وتنبسك ويحودك

الإنساني لحظة تستعرق في عالم

الجمال المطلق الذي يخلقه الشاعر

حواليه ويسبح منه على نفسه».

ومع الشابي وُلدت لغة شعرية لم

تكن مأوفة حتى ذلك الحين. كما برزت

موسيقى راقصة أزاحت الغبار عن

الكلمات، ماضية أياها قوة عجيبة جعلتها

قادرة على نقل الشاعر والمعواطف، وعلى

الاحتراق الواقع الذي ظل حتى ذلك الحين

محجياً وراء لغة كادسية، تغلب عليها

الجناسات اللطيفة، وقصائل اللغة

الحديدية. وهذه الموسيقى الراقصة التي

ابتكرها الشابي، تخرج الشعر التونسي من

القوالب الجامدة، وخرج من ألبانين

الملتفة التي كان محبوبا في داخلها،

لمناق الأفاق الرحية

وشف الدجى عن جمال عميق

يشب الخيال ويتكى الفكر

ومد إلى الكون سحر غريب

يصرفه سكار مقتدر

فتقر عاصمة الطلام ويهيج الرعد
الفصوب
ويرتل الإنسان أغنية مع الدنيا. طروب

الذهاب إلى الشابي

وعندما يشتد تشاؤمه، وتكبر الامة،

وأوجاعه، يزداد الشابي تعلقاً بذاته التي

لن يكون لشعر من موهبا روح ولا معنى

فيأتي بها عن الجموع المستكنة الخاصة،

ويضيء إلى الجبال والعيان أملا أن

يجد في الطبيعة ما يمكن أن يساعده على

المحافظة على نار الثورة التي تمتمل في

داخله

إنني ذاهب إلى العباب يا شعبي

أقصي الحياة، وحدى، بياض

إنني ذاهب إلى العباد على

في صميم العمايات أدفن بؤس

ثم أنسك ما استطعت، فما

أنت باهل لعمري ولكاسي

سوف أتلو على الطيور أناشيد

وأضني لها بأشواق نفسي

فهي تدرى معنى الحياة، وتدرى

أن مجد النفوس يقطر حس

ولأنه كان يعلم أن احتفاء الشاعر

حافظ على أولئك الذين لا يحترمون، ذات
الشاعر، ولا روح الشعر، ويتحولون إلى
مباحين يتنزلون لأصحاب السلطة
والصود، وهو يصف هؤلاء بالاضنام
الخبيثة، الذين، يقولون في الشعب روح
الحياة، ولا يعرفون كيف يعلّمونه، محبة
الحق والقوة والجمال..

ومثل كل الشعراء الكبار، كان أبو

القاسم الشابي يبحث عن بدائله، لأنها

رقيقته الوحيدة في اللغات، وعندما تشتت

عليه الخطوط، وشعر أن صوته لا يصل

إلى أولئك الذين يربغي، أبى افتتح أعينهم

على، على، وعلى، نور الحياة، هو يوجه

شكاواه إلى ذاته المتاعاة العذبة. فقلنا

شردت عن وطني الجميل، الذي

ما كان يوما وأجما، معموما

شردت عن وطني الجميل... أنا

الشقي، فحسنت منظور العواذ، يتما

في غربة روحية ملمونة

يا غربة الروح المكارا إنه

في الناس يحيا سناحا مسؤولا

وهي قصيدة أخرى يقول الشابي

متعباً أن يرى في الأفق يصيص أمل

يا ليت شعري! هل لليل التمس من

صبح قريب؟

« يقول الكاتب المرسي جان جبرودو
أن الاحتمال بنوعية رجل عظيم يمكن
اعتباره احتمالاً بواجده من ولادتنا
والاحتمال بمرور مائة عام على ميلاد
شاعرنا الأكبر أبي القاسم الشابي هو
في حقيقة الأمر احتفال بولادات
متعددة. أولها ولادة الشعر في تونس.
فقبل الشابي، لم يكن هناك شعر في
تونس ما عدا الحقبى والمعيق للكلمة
وكان الذين يسمون أنفسهم، شعراء، أو
تطلق عليهم هذه الصفة، يبرزون غالب
الأحيان في المديريات العامة. دينية كانت
أو غير دينية. أما في ما عدا ذلك فهم
غائبون ونحن لا نستشف في جل ما كانوا
يكتبونه أو ينشدونه، ما يمكن أن يعكس
أوضاعهم النفسية ولا أوضاع ومشاغل
محتممهم. كما لا نجد فيه وصفا
لطبيعة، أو للحالات الإنسانية
والاجتماعية، ولا تحضر فيه تلك
الأغراض التي اشعل بها الشابي بشكل
خارق لم يسبق له مثيل في بلدنا. فهي
جيل قصائد صابح، أغاني الحياة
تتحضر نفس الشاعر في جميع تجلياتها،
وتحضر تونس بواخاتها، وجهاتها،
ووديانها وغنائها وألامها، ونكساتها
ودنى لا يجد بين الذين سبقوا الشابي
أو قامروه أو حتى عند الذين جاءوا من
بعده، شاعرا تقني بتونس مثلهما نغني
مها هو. فقد كانت نكسته مثل الحمرة
المثمنة ومتملأ بين مختلف مناطقها
منذ سنوات الطموح الأولى. كان يخترن
مشاهداه في ذاكرته ليجيد تنكيهها فيما
بعد في أشعاره بشكل أسير، فهي من
السادسة عشرة. كتب قصيدته البديعة
تونس الحميلة، والتي فيها يقول:

أنا يا تونس الجميلة في لجج

الهوى قد سحت أي سباحه

شرعتي حبك العميق وإلى

قد تدفقت مره وقراحه

لست انصاع للواحي ولو مت

قامت على شيايب المناحه

لا أبالي... وإن أربقت دمانى

هدما العشان دوما مياحه

ومع الشابي ولد الشاعر، المنرد

بمنه، بحسب تعبير جان جاك روسو

ذلك الشاعر الذي انطلق من ذاته، بكتب

قصائده في مختلف الأعراض من دون

أن يكون خاضعا لأي سلطة، مهما كان

بوعها. ومهما كانت سطوتها. هذا هو

الوحيد هو إرضاء نفسه. لذا هو لا

يستجيب إلا لحماحه الأدبية تلك التي

تسبحها بالكلمة عاليا، وينبج لخيلان أن

يحلل بعيدا، غير عابى بقوى الطلام التي

لريد حبسه، وتكبيله، وتدمير قدراته

الإبداعية المحددة. في جميع رسائله إلى

صديقه محمد الحليوي نجد الشابي





وصابت شمع النجوم الوضاء
وصاعت البخور بخور الرهر
ورهر روح عريب الجمال
ناجحة من ضياء القمر
ورن نشيد المقتدر
هى هيكال خاتم قد سحر
واعلى فى الكون، أن الطموح
تهيب الحياة، روح الطمر
إذا طمحت للنجاح المصور
فلاند أن ينسحب الصر

ولادة الشابى.. ولادة جيل

وعندما تحتفل مرور مائة عام على ميلاد أبى القاسم الشابى، فإن هذا لا يعنى شيئا خيرا غير أن احتمال ميلاد جيل ما أصبحنا نسميه بجيل إرادة الحياة.. سياسية وفكرية وثقافية كانوا يطمحون من ورائها للنهوض بالجميع. ولا يظاف الوعى الوطنى، وتنحسب الشجع بصيرته المظلم. وعندما كان أبناء «جيل إرادة الحياة»، أطماعا.. كانت النخبة التونسية قد أصابت الحياة للأفكار الإصلاحية والتحديثية التى جاء بها خير الدين ناشا التونسي، ويفضل الرموز الكبيرة لهذه النخبة من أمثال على باشا حاميه وعبد العزيز الثعالبى والبشير صفر، والشادلى خير الله استعادت الحياة السياسية والثقافية حيوية، وكثرت النوادي حيث كانت تخفى الحاضرات، وتقدس الندوات، وعرفت أتاح لعامة الناس التعرف على أحوال مجتمعهم، وعلى أحوال العالم بصفة عامة. وخلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين شهدت تونس أحداثا سياسية وثقافية واجتماعية اتاحت للنخبة التونسية التمسك بالواقع، والاتلاع على أحوال البلاد، ومشاعل مختلف الثقات، ففي خريف عام ١٩٠٣ جاء الشيخ محمد عبد الحى تونس وفى زيارته الثانية هذه الأولى كانت عام ١٨٨٨ التى عاشها ناشو المعاصرين حركة الإصلاح من أمثال سالم بوجاهد ومحمد النخلى، وفى «الجمعية الخلدونية» التى كان قد أنشأها البشير صفر عام ١٨٩٦، تلقى الشيخ محمد عبيد محاضرات كان لها العمى الكبير لدى النخبة التونسية المطمعة للإصلاح والتحديث، وفى عام ١٩٠٥ بعث «جمعية قدماء الصافية» التى اهتمت بتقديم محاضرات بالعلم العربية بهدف تثقيف عامة الناس فى مجالات مختلفة ومتنوعة. وفى عام ١٩١١، اندلعت «انماضه الحزلة» التى اعتبرت دفعا جيدا للحركة الوطنية المناهضة للاستعمار.

لست أنصاع للواحى وثومت قامت على شبيبى المناهضة لا أبالى.. وإن أريققت دمانى قدماء العش سابق دوما مباحه

اهتما ما يذكر لروحها، ولتيلها، ولسحرها، وجمائها الباعث على الإلهام والوحى وإذا ما تحدث الشاعر العربى عن جمال المرأة فإنه يتحدث كما لو أن الأمر يتعلق بشيء «يؤزن بالرهل والقنطار من التشحم واللحم، ويرجع الشابى هذا الأمر إلى أن المرأة العربية لم تنقل فى جميع العصور العربية قسطا من الحرية الحقيقية. تتمتع معها من إظهار ما منها من مواهب وملكات تجير الرجل على أن يحترمها، ويبدل رأيه فيها، فيطعن على ما خلف الحسد من «بحر عميق تختلط فيه الأسماء والأصابع والأضواء والظلمات..» ومن المؤكد أن أبى القاسم الشابى تحمس كثيرا للحركة النقابية التى أنشأها محمد على الحامى، معتبرا إياها شرارة جديدة بإمكانها أن تلهب النضال الوطنى، وتوقف الضمائر الجثة وتنفض عن الشعب رماذ القنوط وناس. فلما قامت السلطات الاستعمارية بقمعها الحركة الوطنية الفتية، مجبرة زعيمها الشاب التشبيخ بالأفكار الاشتراكية، أعنى محمد على الحامى على مغادرة البلاد. أطلق الشابى صرخة متوجمة:

لست أبكى لعسف ليل طويل
أو لربع غدا العفاء مزاحه
إنما عبرتني لخطب ثقييل
قد عزأنا، ولم يعد من أزاحه
كلما قام فى البرية خطيب
مؤلف شعبه يريد صلاحه

البسوا روحه فبهض اضطرباد
إفانته شالكه يرد جماعه
أخمدوا صوته الألهى
بالعسف أماتوا صدحه ونواحه
وفى الرسائل التى يبعث بها إلى صديقه الحميم محمد الحليوى، كان الشابى يظهر تعاطفا واضحا مع كل المثقفين والمثاضلين من أجل الحرية والعدالة والتجديد، ويتنصر لأفكارهم وواقفهم التى صادته ما تعرضهم للقمع والسجن ولظلم آخرى من هذا القبيل. وعندما أصدر الطاهر الحداد كتابه «مرآتنا فى الشريعة والجمع»، ودفى دافع فيه عن حرية المرأة، وعن حق العمل والتعليم، هاجمه شيوخ جامع الزيتونة بقسوة، وفى الرسالة التى انتصم بها مداهنه عن لهى الشابى التى بعث بها إلى محمد الحليوى فى شهر أكتوبر عام ١٩٢٠، وهو ينتقد صوفى كاشور من الزيتونة الجزائرية، ويعبر عن انتباهه بالحق الذى أقامه المثقفون الذين ساءلته الحداد. واثمة حديث آخر، كان له وقع حاسم على مسيرة الشابى المشورية. فيصحب الأستاذ أبو القاسم محمد كور، اتقى صاحب «أغاني الحياة» على خريف عام ١٩٢٣، بالشاضل الوطنى، والتشفيق الأعلى الطاهر صفرى من مدينة طبرقة وكان اللقاء بينهما مناسبة لكى تعرف كل واحد منهما على الآخر، ولكى يخطيا

فضلا عن الاستعراق فيه، وفى مادية محضة لا تستطيع الإلمام بغير الظواهر مما يدعو إلى الاسترسال فى الخيال إلى أبعد شوط واقصى مدى. لهذا السبب كان لها ذلك الطبع الشبيه به النحلة المرحلة لا تطمئن إلى زهرة حتى تغادرها إلى أخرى من زهور الربيع. ولذلك هى أبدا متقلبة. وهى أبدا حاسمة، ولأنها على هذه الصورة فإن الروح العربية بحسب أبى القاسم الشابى أضمت ملكة الخيال الشعرى إلى النفس العربية وجعلت من الشاعر محامى القبيلة. وخطيبها، وفارسها، وليس ذلك السدى يحاول أن يساعد أبنائها الضافرين على اكتشاف نور الحياة. كما أن الروح العربية منحت العرب إلى حد كبير على أدب الأمم الأخرى، وصحيح أنهم ترجموا بعض الآثار وأنهم ترجموا مختلف العلوم العقائدية. غير أنهم لم ينقلوا إلى لغتهم من أدب الأمم الأخرى ما يمكن أن يحدث انقلابا فى الروح العربية. لهذا السبب ظلت الأدبا عند العرب فقيرة وجافة على مر الأجيال والمعصور..

الشابى وحقوق المرأة

وفى «الخيال الشعري عند العرب» يتور الشابى ضد النظرة العربية للمرأة، والى توقف عن الجسد، ولا تعصى

والتى كانت أمداك فى طور التشكل. وفى عام ١٩١٩، تأسس الحزب الدستورى بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبى صاحب كتاب «نوش الشهيدة». وفى عام ١٩٢٤ أنشأ محمد على الحامى «جامعة عموم العملة التونسيين». وفى مطلع الثلاثينيات، أصدر الطاهر الحداد كتابه الشهير «مرآتنا فى الشريعة والجمع». والذى أشار ضجة هائلة فى الأوساط الثقافية والسياسية والدينية. وسواء عاشت هذه الأحداث، أم لم يعشاها، فإن المؤكد هو أن الشابى تأثر بها، وتعامل معها تفاعلا كبيرا، وبمكرنا انحاز إلى الأفكار الإصلاحية والتحديثية، ولاقوم بشدة الركود والتزمّت والقنوط. ورغم مرض القلب الذى كان يفتديه، ويعيق حركته ونشاطه، فإنه كان دائم التمكبر والعمل، وكان يتابع بانتباه واهتمام كل الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية وحركته ونشاطه، فإنه كان دائم التمكبر قضاؤه. ورسائله الموجهة إلى محمد الحليوى وزيوياته، وكتابه النقدي: «الخيال الشعري عند العرب». وفى هذا الكتاب تبرز الرؤية الجديدة والجمالية التى اتسم بها الشابى فى وقت مبكر وتؤكد النشأة الواسعة التى كانت تبرزه من بيئة أبناء جيله. ويتجلى حسن التقدي الربيع الذى كان يتحلى به، فمنعنا ما سمع «الروح العربية» يقول الشابى أن هذه الروح خطابية مشتتة لا تعرف إلاافة فى الفكر

كتاب الزاوية



من يتحدث باسم الإسلام؟

ماذا تريد النساء؟

إن التصور الشائع على نطاق واسع بأن النساء يتعرضن للقمع كان من المبررات المستخدمة لدعم غزوات العراق وأفغانستان جميعاً. كان الأمان والحرية من الأمور الواجبة، في سبيل تخليص العالم من خلايا الإرهاب، وأولئك الذين يساعدونها، ونشر الحرية والديمقراطية. وكانت الحقوق النسائية هي مركز هذا الهدف للتحرير، وقد وصفتها «لورا بوش» - باعتبارها السيدة الأولى - في حديث إذاعي ألقته في نوفمبر من عام ٢٠٠١: «إن الحرب ضد الإرهاب هي حرب من أجل حقوق النساء وكرامتهن أيضاً».

إن الذي يندر - فيما يبدو - أن يجد سبيله في هذه المناقشة هو أصوات النساء المسلمات أنفسهن. كيف تتصور أغلب النساء في العالم الإسلامي الإسلام ومكانتهن في المجتمع الإسلامي؟ هل يشعرن بالحاجة إلى التحرر؟ ولو كان الأمر كذلك، فالتحرر من ماذا وإلى ماذا؟

هل تتعلق الآراء المعادية للنساء بالتدين؟ هل يكون فارق الجنس عندهن مسألة بارزة كما هي عند الغرب؟ ما هو الدور الذي تريد النساء من الإسلام أن يلعبه - إن كان له دور - في حياتهن اليومية وتلك الحياة في مجتمعاتهن؟ ولعل الأهم، ما هي أفضل طريقة يستطيع بها أولئك المهتمون بالحقوق النسائية للمسلمات تقديم المساعدة؟

السهولة، وفي قصيدة «العاب، لا يدخل الشابي هذه المرة إلى الطبيعة ليشتكي إليها عداوته، وألمه ويحشد عي خيائه، بل لكي ينثر كل هذا للريح ودون أفكار الحزينة للرجل ونثرها لمواظف الأيام ومصبت أشعو للأشعة ساخرًا من صوت أحزاس، ويطن سقامي وهفتت: يا روح الحمال لنفسي كالتبر في فكري، وفي أحلامي وتعللي كالشور، في روعي التي ذلت من الأحزان والألام أنت الشعور الحي يزخر دافقا

كالتار في روح الوجود النامى ووعم إيماؤه بإرادة الحياة، وأمله في نهضة قوية توفيق الختم من الخمول والركود، فإن الشابي كان عالما بأن حياته سوف تكون قصيرة بحيث لن يتمكن من إنجاز ما كان يطمح لإنجازه، وفي رسالة ممت بها إلى صديقه محمد الحلبي، كتب يقول، لقد صفت ذرعا يا صاحبي، ولا أخالني إن ظلت الحياة على ما هي عليه اليوم إلا داهيا إلى القبر، أو في سبيل الجنون إنني أحاول أن أخط إليك من حصص نفسى من مرارة الأوجاع، وهجوم الزمن الضال أستعمل إلا مثل هذه الكلمات المنقطعة التي لا تكاد تبين عما أكاد من غصص العيش وبأسائه ولا تعمر عما يساورني من الأفكار المدممة كقطع الليل، وفي رسالة أخرى، كتب يقول: «إنه لا يحزنني شيء في هذه الدنيا أكثر مما يحزنني التفكير في أننى أموت قبل أن أؤدى رسالة الدنيا التي أحسن أننى لم أخلق لغيرها في هذا العالم، وعندما اشتد عليه المرض في صيف عام ١٩٣٤ ترك الشابي الجريد وهو «سقيم، متعب، موهون القوى»، وسافر إلى العاصمة في أواخر شهر أوت ١٩٣٤، وعند وصوله إلى هناك نصحه الطبيب بالإقامة في المستشفى، وفي مطلع شهر أكتوبر من العام المذكور لفظ أنفاسه. وهو في الخامسة والعشرين من عمره وقد يكون رحل إلى العالم الآخر وهو لا يدري أن سيكون شاعر نويس الأوجع خلال القرن العشرين»

المصناد

Dean Giraoud - literature (1)

NRF 1941 Ideas

(٢) الشعر العربي الحديث من أحمد

شوقي إلى محمود درويش د مشال حجا دار

المودة - دار الثقافة، بيروت

(٣) حصاد العمر - أبو القاسم محمد كرو - دار

المغرب العربي

(٤) أضواء من البيئة التونسية على الطاهر

الحداد - أحمد خالد - الدار التونسية للنشر

(٥) الأعمال الكاملة - أبو القاسم الشابي - الدار

التونسية للنشر

الحديث في مسائل وقضايا سياسية وثقافية، ومن المؤكد أن الطاهر صر كان معجبا بموهبة الشابي الشعرية وبأزائه في الأدب والثقافة، ولا لما حرص على الاجتماع به، ومن المؤكد أيضا أن الأفكار التي طرحها الطاهر صر أثناء ذلك اللقاء في المدينة البحرية الجميلة، أثارت إعجاب الشابي، وفتحت أمامه آفاقا جديدة لم يألها من قبل فقد كان الطاهر صفر المولد عام ١٩٠٣ بالمدينة قد درس القانون والأدب والفلسفة واقتصاد في باريس في العشرينيات من القرن الماضي، وكان عارفا بأدب العرب، القديمة منها بالخصوص وكان يتميز بثقافة موسوعية تجعله قادرا على الخوض بكل يسر في كل القضايا والمسائل التي تطرح للنقاش، ولعله تحدث أثناء اللقاء المذكور عن كبار الكتاب والشعراء الفرنسيين والعربيين الذين كان معروفا بهم، ومن المؤكد أن الشابي المعروف بفضولته الشديد لمعرفة ما خلف عنه من أدب أوروبا استمع إليه بانتباه، وإعجاب، ومن المؤكد أنه طرح عليه أسئلة حول مسائل كانت لا تزال غامضة في ذهنه، فلما انتهى اللقاء، شعر الشابي أنه يقول من جديد، وإن موهوبه للشعر وللحياة بمهنة عامة، بدأ يتغير ويتجدد وهذا ما استرشدت القصائد الرائعة التي سوف يكتبها خلال السنة التي سبقت وفاته، ففي هذه القصائد تخلى الشابي عن التسمية الحزينة اليابسة التي طبعها البعض من قصائده السابقة حيث كان يفر إلى «الغاب، باحثا في الطبيعة عما يمكن أن ينسيه عنه الواقع، ومظالم الحياة، لينحاز إلى فلسفة القوة، والطموح، والأمل، أي لإرادة الحياة، التي قد يكون حدث عنها الطاهر صفر...» وما هو يرفع صوته متحديا.

سابعش رغم النداء والأعداء كالتبر فوق القمة الشامأ أرضو إلى الشمس المصيبة هائلا بالصعب والاحترار والألواء لا أرمق الظل الكبير ولا أرى ما في قرار لهوة السوداء وأسير في دنيا الشاعر حالما غردا، وتلك سعادة الشعراء

أصفى الموسيقى الحياة وحيها يحيي بقلبي ميت الأصداء ولا يمكن أن تشكك في أن قصيدة، فلسفة الثعبان المقدس، كانت من وحى ذلك اللقاء أيضا، فالفلسفة الثعبان المقدس كما يقول الشابي في مقدمة القصيدة هي «الفلسفة القوة المثقة في كل مكان، والغرض من هذه القصيدة التي تدل على نضج شعري وفكري لم يسبق له مثيل عند الشابي هو فضح السياسة التي ينتهجها الغرب تجاه الشعوب الضعيفة والتي يستعمل فيها دلفة الشعر والأحلام، لكي يتمكن في النهاية من ابتلاعها بكامل

بحث في رياضيات المنطق

والآن تبدأ بحثنا مع الاحتفاظ بكل ما قيل في المقررة السابقة بدقة: لأن ما نقوله هو نقد لعظم ما قيل فيها والقاء

بطبيعة المحيط (الحياة) مما فيه من سكون وحركة ومكان وزمان وبينية عقلية لا نستطيع أن ندعي أنها الفصحت من كل مكوناتها وقدراتها لأنها لم تستثر إلا من عالم واحد هو عالمنا هذا فكانت حصيلته استجابتها هذا التفكير الذي يعتمد على مثل تلك القوانين الألفه الذكر. أي أن التفكير بهذه القوانين هو استجابة لثمر هو طبيعة العالم بأحداثه وطبيعة الحواس أيضاً

ولكى تصبح الصورة أكثر دنا نشبه العقل والحواس بجهاز كمبيوتر محمول كى يملك بقواعد عدة لغات ولكن ليسك وكوبول وباسكال.

دنا تدخل برنامجا مكتوبا بلغة الياسكال إلى الكمبيوتر (ولغة الياسكال بقواعد ما إلى العالم في هذا المثال) فإنه سيحدث أن الكمبيوتر سيبدأ في العمل وفقاً لقواعد لغة الياسكال ولن نثبت ما إذا كان الكمبيوتر يمتلك القدرة على العمل بقواعد لغة الياسكال أو الكوبول، إلا إذا أدخلنا إليه برنامجا مكتوبا بأى من هاتين اللغتين، هكذا أنا تصور العقل، أتصور أنه من التصف أن نعتقل تصرفات العمل بقوانين لغة واحدة فقط (أي العالم) ونستبعد أن يعمل بقدرات مختلفة قد تكون عكسية لأنوى حسب المثير، وفى هذه الحالة سيكون بالتاكيد عالماً مختلفاً، عالماً آخر لغة كمبيوتر أخرى.

والآن دعنا نستطرد قليلاً ونرجع إلى كتاب في فلسفة اللغة للدكتور محمود ريدان ونقتبس تلك الفقرة^(١).

إن قضايا الرياضيات البحتة تحليلية وبقيية وصادقة دائماً، ويقوم يقينها في أنها خالية من أى مصفون تجريبي وأنها ليست مشتقة من أية خبرة حسية وأنها تقوم أيضاً على تحليل معاني الرموز الواردة في تلك القضايا. تبقى نقطة بالغة الأهمية قال بها الرياضيون والمناطق المعاصرون في هذه القضايا، الهدف منها هو التمييز بين القضية التحليلية والقضية القبلية، ولم يكن هذا التمييز معروفاً من قبل، فكل قضية تحليلية هي قضية مثل قضايا الرياضيات البحتة، لكن هناك قضايا قبلية وليست تحليلية وهي مبادئ المنطق وقواعد، بل إن القول بـ قضايا الرياضيات البحتة قضايا تحليلية لا يفسر يقينها، ونفسر هذا اليقين إذا أدركنا أن هذه القضايا تعتمد على مبادئ المنطق، إذا قلنا إن القضية الرياضية البحتة قضية تحليلية على أساس أنها تتضمن تحليلاً لمعنى الكلمات أو الرموز المستخدمة، فهذا لا يكتفى لتفسير يقينها لأنها في قولنا إن القضية الرياضية البحتة تحليلية لأنها تحلل معاني الكلمات الواردة في القضية، فهذا يعنى كما يقول وايزمان، أي، أنها قضية هوية IDENTITY PROPOSITION، أي يمكن إبدال تصويري الموضوع والمحمول أحدهما

مكان الآخر. وإذا اعتمد يقين القضية الرياضية على مبادئ المنطق، بل تصبح القضية التحليلية مبدأ منطقياً، ويقول فريجة أيضاً إننا إذا برهنا على صدق القضية التحليلية نجد أننا أمام تمارس وقواعد منطقية. وهذا ينقلنا إلى البحث في سر اليقين في مبادئ المنطق، الحجة التي يسوقها محمود زيدان لبيان السر في اليقين الذي تتمتع به مبادئ المنطق مثل قانون عدم التناقض هو ما ينسب إلى بعض الحروف والكلمات التي تسمى في المنطق الثوابت المنطقية مثل لا، و، والعطف، و، (وهما أساسيان في تكوين قانون عدم التناقض)، أو، (وهي أساسية مع لا، في تكوين قانون الثالث المرفوع)، إذا، وما تسمى الأسوار المنطقية مثل كل، بعض، من قوة منطقية معينة أو استخدام معين^(٢)، بعبارة أخرى يريد د. محمود زيدان أن يقول إن مبادئ التناقض والثالث المرفوع، ومعهم أهم قواعد الاستنباط ومبادئ القياس المنطقي ترجع جميعاً في جانب منها إلى القوة التي تتمتع بها تلك الحروف والكلمات التي هي الثوابت المنطقية والأسوار المنطقية التي تستخدمها، وذلك يؤكد الصلة الوثيقة بين النحو والمنطق أو بعبارة أبسط بين النحو والمنطق أو بعبارة أكثر اتساعاً، من وجهة نظري بين الوجود أو الحياة بأحداثها

وتفاعل الإنسان معها الذي هو السؤال عن اختراع الإنسان للكلمة المائلة على النفي لا (ليس)، والعطف و،، أو، كما شرحنا آنفاً، وأحداث الحياة التي تجبره مع معرفته بهذه الكلمات أن يمارس قانون عدم التناقض وقانون الثالث المرفوع حتى نستقيم الأمور كما يتضح من مثال جريمة قتل تحتمس المشروحة أعلاه.

أي أن سر اليقين وجودي وليس صورياً وأن القوة المنطقية المزعومة للثوابت المنطقية ترد في نهاية التحليل إلى تطبيقها. بعد أن دخلت في صورة قانون عدم التناقض الذي مارسه الإنسان دون وعي قبل ميلاد مبدع علم المنطق الأول وهو، أرسطو، راجع إلى أن أحداث الوجود لا تستقيم إلا وفقاً لتطبيق هذه القوانين بما تحويه من تلك الثوابت المنطقية، أي أن العبرة وجودية والأساس وجودي مادي وليس صورياً فيما يتعلق بسر يقين مبادئ المنطق مثل مبادئ عدم التناقض والثالث المرفوع. ^(٣)

الهوامش:

- (١) د. محمود ريدان، في فلسفة اللغة ص ٥٥، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان
- (٢) نفس المرجع السابق ص ١٧
- (٣) نفس المرجع السابق ص ٧٦
- (٤) نفس المرجع السابق ص ٧٦

يعمل بثلاث لغات مثل الكوبول والبيسك والياسكال، وشبهت العالم بأنه عبارة عن برنامج مكتوب بلغة الياسكال، وقلت إننا إذا أدخلنا هذا البرنامج المكتوب بهذه اللغة (لغة العمل وفقاً لقواعد لغة الياسكال، وأنا لن تعرف أنه يمكنه العمل بلغة الكوبول أو البيسك، إلا إذا أدخلنا له برنامجا مكتوبا بأى من هاتين اللغتين، أرجو أن أتبيه القارئ إلى أن هذا التشبيه خيالي لتوضيح الفكرة ليس إلا، لأنني أعرف كما يعرف القارئ أن أي كمبيوتر له برنامج تشغيل مثل ويندوز Windows يمكنه من طريقه معرفة قدرات الكمبيوتر، إلا أن ذلك كما قلت مجرد تشبيه خيالي ليس إلا ^(١)

مبادئ المنطق (المنطق الصوري طبعاً) أو قضاياها بمعنى أنه ليس هناك علاقة تربطها بالعالم، بمعنى أن الأصل في تأسيسها هو تفاعل الإنسان مع العالم هذا، جلي لكل من قرأ للدكتور زكي نجيب محمود الذي يعتبر أكبر مرجع لهذا المذهب (الوضعية المنطقية) في العالم العربي كـ: «المنطق الوهمي» الجزء الأول، و«خرافة الميتافيزيقا» و«موقف من الميتافيزيقا»، وهو الكتاب نضمه مع تعديل الاسم، أو في للدكتور محمود زيدان كتابه في فلسفة اللغة الذي اعتمد عليه كاتب هذه السطور في عمل هذا البحث.

وأخيراً أود أن أتبه القارئ إلى أنني عندما قمت بتشبيه عقل الإنسان وحواسه بجهاز كمبيوتر محمول كى

هناك أرضا مشتركة بينهما، كذلك أنا أقول إنه رغم الحدود الفاصلة بين الرياضيات والإحصاء الرياضي وبين المنطق والفلسفة، فإن هناك أيضاً أرضاً مشتركة بين التخصصين كتب هذا البحث سنة ٢٠٢٠، ووجه الجدة فيه أنه يبين الحركة الجدلية أو العملية الجدلية بين الإنسان وأه العالم، سواء كان العالم الكبير أو بتعبير الفيزياء الحديثة: «العالم الماكروسكوبي» أو كان العالم المتناهي الصغر «العالم الميكروسكوبي» مثل عالم الذرة مثلاً.

هذا البحث يتصدى لثمار من الفكر الفلسفي والمنطقي (مثل فلسفة الموضوعية المنطقية مثلاً) الذين يعالجون مسائل المنطق سواء كانت

أنا غريب على ميدان الفلسفة، حيث إن تخصصي هو الرياضيات والإحصاء، هكذا تلمزني الأمانة أن أقول ذلك، لكن إذا عجبته أن يقتحم هذا الغريب ميدان الفلسفة ألتحق أفنى فيه المتخصصون أعماهم فانكروا أولاً أن الغريب قد يرى ما لا يراه صاحب الدار، لأن الجدة والغربة تفتح بآصمته على ما قد تسدل الألفة عليه حجاباً، فلا يثير دشهة ولا تساؤلاً، هكذا على حد تعبير الدكتور ماهر شفيق فريد الأستاذ المخضرم للأدب الإنجليزي، في كتابه المنع «تساعية نقدية» الصادر من مكتبة الآداب، إنه رغم الحدود الفاصلة بين تخصصه وهو الأدب بصفة عامة والفلسفة، فإن

تهتم «وجهات نظر» بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرون والكتاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ٥٥

معالم المنهج الإسلامي

تأليف: محمد بن عبد الله

شاهدة - شرق ٢٠٠٩ - ٢٦ صفحة



في فكرنا الإسلامي المعاصر فقرّ في الإبداع، والإفراط في التقليد، تقليد التحلل الموروث، والتعريب الواضح من وراء الحدود.

وهي العالم من حولنا «متغيرات» تفرز الفاعل، وتراجع «مفاهيم الفكر» التي حكمتها لغزات السنين.

وحسب ما يظن أسرى لتخلصنا الموروث... وصحاحيا لأزمات الآخرين تقدّمها، ليبرالية، العرب إلى، شموليته قارة... ثم يهتفنا اغتيال، الشمولية، إلى الليبرالية، ثورة أخرى، تتخطى عقولنا مباحث فلسفات العرب ووطنياته. فلا بد من أعمال العقل المسلم في ميدان الإحياء والتجديد.

ولذا كان المنهج وهو طريق النظر وفلسفته المستقيم هو سبيل الوحي بما في كتاب الوحي - القصور - وكتاب الكون المنظور من علوم وفنون وسنن وآيات... وهو السبيل، كذلك، إلى صياغة دليل العمل، الذي يثير للخطبة الإسلامية المعاصرة بآفاق النهوض المنشود. وذلك حتى لا تُصاب، هي الأخرى، بإحباط جديد!

لذلك، كان الاشتغال بهذه القضية الحيوية قضية هو معالم المنهج الإسلامي التي قصد لها هذا الكتاب!

الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية

تأليف: محمد الأزهري
بروت مركز دراسات الوحدة العربية
٢٠٠٩: ٦٢ - ٢٦ صفحة



تري الباحث في عصر الأمارة الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة

تمر بمرحلة تحول انتقالية، فهي ما تزال في مرحلة الضرورة وبالتالي تعاني تحديات جديدة. داخليا وخارجيا. تلخصت مرحلة التحول هذه فولدت تحولات متوالية في الموقف السياسي، بدءا من العام الأول الذي نشأت فيه روسيا الاتحادية بعد التفتك (١٩٩٢)، وصولا إلى نداه الثغر الحادي والعشرين مع وجود اتفاق استراتيجي لا تبدو نهايتها قريبة حتى الآن.

وقد رصدت الباحثة أبرز سمات الاستراتيجية الروسية تجاه المنطقة العربية وهي الاستراتيجية التي التمت بالحيوية والبيانات الإيجابية في الفترة التي تولى فيها بوتين الحكم، وذلك من خلال محاولات روسيا في عهد استعالة البلدان العربية على قضايا ذات اهتمام مشترك، وإبداء الرغبة في التوسط لحل الأزمات في المنطقة.

وتستكمل الباحثة في مدى التزام الرئيس الجديد ميميتري دمديديف بالمنهج الذي اتبعه سلفه حيال الوسط العربي، خصوصا بعد أن أصبح العرب على مشارف حدود روسيا الاتحادية في إثر حثالة أفغانستان والعراق.

حال الأمة العربية ٢٠٠٨-٢٠٠٩

أمة في خطر

مجموعة من الباحثين
بروت مركز دراسات الوحدة العربية
٢٠٠٩: ٢٥٥ - ٢٠٠٩ صفحة



أمة في خطر... هي الخلاصة التي توصل إليها الفريق على الأمة العربية لعام ٢٠٠٨، الذي توقف في متابعته مستجدات حال الأمة عند نهاية الربع الأول من العام ٢٠٠٩ مع سجع له بمبانيه أحداث مهمة وقعت في تلك الشهور الثلاثة تعبر الأمة الأمريكية، العدوان الإسرائيلي على غزة وانهيار الانتخابات المحافظات في العراق، انتخابات التكتيس في إسرائيل، القمم العربية المتلاحقة على الكويت إلى الرياض فالموجة على اختلاف مستوياتها. ومن هنا يمكن القول إن العمل في التقرير انتهى قبل أيام معدودة من نشره.

لقد حافظ التقرير هذا العام أيضا على اتساق المنهج الذي اتبعه منذ سنوات

عدة، وهو المنهج الاتعاني الذي يعتمد في اختيار موضوعاته على المحاجا ولحظ تقريره هذا العام أن بوز التنازع قد حافظت على جبالها، ومن هنا تم تناول حالات العراق ولبنان والصومال والسودان، إضافة بالطبع إلى القضية الفلسطينية لكن ما يلفت في تلك البئر هو احتدام التنازع بوضوح واتخاذ أبعاد جديدة ثم تلازمه في السابق ما يعني أن التنازع في قضية بوز التنازع يتدرج بتفاتها ولا يسمح برفاهة، بقاء الوضع على ما هو عليه.

تضمن هذا الكتاب، التقرير تحليلاً لتسعة مواضيع رئيسية، تنوع عليها الإطاران الدولي والإقليمي والنظام العربي والدراسات القطرية، فضلا عن تطور الاقتصادات العربية، لاسيما في ظل الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة.

استراتيجية البرنامج النووي في العراق في إطار سياسات العلم والتكنولوجيا

هيام عبد الخالق عبدالقادر وعبدالحليم إبراهيم الحجاج
بيروت مركز دراسات الوحدة العربية،
٢٠٠٩: ٢٥٠ - ٢٠٠٩ صفحة



قبل فضاء إسرائيل ما حل شور سنة ١٩٨١ ويهدد نشر الكثير من برنامج العراق النووي، دافعا عنه أو هجوما عليه بالتميم والبهتان، وقد أخذ هذا النشر شكل موجات تصاعدت تارة وتختفت تارة أخرى، ولا يمر على كل ما كتب آنذاك التطرق كثيرا إلى الجوانب التكنولوجية والفنية للبرنامج.

يتعمق هذا الكتاب الإطار الاستراتيجي لبرنامج استمر أكثر من خمسين عاما، وتواتر على رسمه وإدارته نظم سياسية عديدة، حكمت العراق منذ عشرينات القرن الماضي وإلى حين تدعيم القوات الأمريكية للبرنامج، ثم إلغاء منظمة الطاقة الذرية بعد احتلال العراق سنة ٢٠٠٣.

وبما تكون هذه أول وثيقة تصدر عن البرنامج النووي ولا تعبر عن رأي شخصي في البرنامج، وهي ليست مذكرا شخصية، لا تتناول أن تتنقد أشخاصا وعناوين أو تتحدث عن

خصوصيات معينة، ونحن أردنا أن ندون وثائق ما كانت قيادة العراق قد فكرت فيه، وحقيقة تطور الأحداث، وما أدت إليه من جهة وأدت إليه من جهة أخرى، لكي لا يتصور أو يذهب بعيدا من يتراءى له أن الأمر لا يعدو ذوات ورغبات، ولم يتم لأول أسماء أو حثيات معينة محددة، لأن ذلك يذهب بالحقيقة بعيدا كما نرى، وكما رأيناها وعشناها.

إن هدفنا هو عرض الصورة بوصفها وثيقة للتاريخ، كما رسمت، لا كما تحيلها المصنف أو كتب رواية بشأنها لأغراض التشويق.

البنية الاقتصادية في القطر العربية والاختلافات المجتمعية

مجموعة من الباحثين
بيروت، المنظمة العربية لمكافحة الفساد،
٢٠٠٩: ٢٠٦ - ٢٠٠٩ صفحات



يضم هذا الكتاب بين فتيه الوقائع الكاتبة للحلقة النقاشية حول «البنية الاقتصادية في القطر العربية والاختلافات المجتمعية، التي أقيمتها المنظمة العربية لمكافحة الفساد في بيروت يوم ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٨، وقد شارك في هذه الحلقة عدد من المعركين والناشطين السياسيين والمهتمين بالثأر العام، واقتصاديين من عدة أقطار عربية، إضافة إلى بعض الجمعيات الحية والأكاديمية من يمثلون مختلف الاتجاهات السياسية والاقتصادية والصكرية والثقافية المهمة بالبنية الاقتصادية والمنهج الاقتصادي في الأقطار العربية.

وقد أوردت المنظمة العربية لمكافحة الفساد من خلال هذه الحلقة النقاشية تسليط الضوء على نمط التشغيل الاقتصادي للمجتمع، والاتجاهات التي تتحكم في مسار تطوره من جهة، وبين قدرة المجتمع المحافظة على قيمه المتعمقة من جهة أخرى، فالتحولات في الهيكلية الاقتصادية في الأقطار العربية الناتجة من عدم قدرتها على مواجهة تحديات العولمة، تؤدي ليس فقط إلى إضعاف قدرتها على مواجهة تحديات التنمية المستدامة، إنما إلى إضعاف قدرتها أيضا على مواجهة الفساد.

وتأمل المنظمة من نشر هذا الكتاب،

والأفماس ويمارس فيها أصحاب المصود مهمات، حراس الهواء؛

تتواصل، عنات، المترجمة مع هذه الأحداث فيما تزويها للفران مصيبة اليها وفاقن حياتها الشخصية والمعلمية بما يخص على الأحداث نوعاً من الإشارة والتشويق.

وهنا مقطع يصف لشاعر عنات مع هذه الأحداث

إيهما التفاصيل، لعينة، التفاصيل... التفاصيل، على الرغم من اعتقادها بأنها اعتادت على هدى القصص، وتشكلت لديها مناعة من الآلاجات عبر سنوات من عملها في السامرة.

ليست مناعة بهذا المعنى! إنه تداخل معهم، تشارج، جعلها تتحول يوماً بعد يوم إلى جزء من تلك الحكايات، لا مجرد مستمعة خارجية، كأنها، بترجمة ما يقولون، تعيد تكوين ما عاشوا، أو تعيد عيشه من جديد بجسدها، بإحساسها، بثقافتها الخاصة والحميمية، تتحول من مترجمة، هي في النهاية تعيد باللمعة أو تعيد كمناعة قول ما يبدعه الآخرون، إلى مشارك في كل تلك الوقائع التي حصلت أو لم تحصل.

سقط الأزرق من السماء

منذر بنر حلو
بيروت: دار الكوكب، ٢٠٠٩، ٣٠٠ صفحة



أصل الرواية كانوا أطلالاً في مدرسة القصرية، كبسوا وصاروا رجالاً ونساء، فتناكبت مصالبرهم وثقافتهم مصالهم وأفاقهم بعضهم بعضاً هي حياكل الماس والأتار والاستغلال الجسدي والفكري واه الألفاظ، استغلال الشهود والسلطة والحب مصالبر الناس هل هذا هو الواقع بضائته وضاعته؟ وهل نستطيع تغييره؟ في كل الأحوال الرواية يمكن إدراجها في الأدب المقاوم للاستبداد

في أحد المشاهد نقرأ
«ما إن خرجت تجرؤ حتى وأحا يقهقهان وقد يسام عند السور مبدع، تشيل المشهد، دافاً بدسولة الهواء، حيث كانت تجوي مقبنة منذ قبل، وبينما تصاعدت قهقهات يسام وإرتست على وجهه علامات الرضا والتباهي بزوجته، راحت صرخة عزيز تحم شيئاً شيئاً، وراح شيء من الكدر يحالط نفسه،

في هجاء الجشع ومديح اليهاض

تأليف أحمد إبراهيم الفقيه
القاهرة: دار الشرق، ٢٠٠٩، ١٧٢ صفحة



روايت والسيارة تتحرك منا عبر الطريق الذي تحفه الأشجار وجه نسنس صغير يطل من بين الأغصان وينظر نحوي بعينين شتلتن همولاً، فادرت رأسي نحو هذا النسنس، انظر إليه بأسف واعتاد لسان حال يطلب الصبح منه، لأنني ظلمته وظلمت الفروغ من بني قومه، عندما اعتبرتهم مصدر خطر وتهديد لحياتي وعشتي وحياتي وعصاف كل النساء، بينما الخطر كان يكمن في نوع من اليهاض، تستحى وحوش الغاية من أفعانهم وترفض الهيوط إلى الدرك الأسفل من الخسة والنذالة والوحشية الذي يهبطوا إليه... أحمد إبراهيم الفقيه، أديب ودبلوماسي لجبي مؤاليد، جنوب طرابلس ١٩٤٢، لال درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة إنديزر، وعمل بالمجال الصحفي منذ ١٩٥٩، فراس تحرير ١٢ مجلة وهو صاحب أطول رواية عربية هي «حياكل الماس» التي تتكون من ١٢ جزءاً وتتناول تاريخ الاستعمار في ليبيا، وقد صدر له في دار الشرق، خمس خنافس تحكم شجرة، مجموعة قصصية ١٩٩٧، غشاء النجوم، مسرحية ١٩٩٧، غرايا فيبسيا، مجموعة قصصية ١٩٩٧، حقول الرماد، رواية ١٩٩٩.

بريد قاته

فخر الزمان علوش
بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٩، ١٨ صفحة



الكتاب عبارة عن رواية مسرحها بلغة يصورها الجراء. من أبطالها: آدم أفندي رئيس مكتب البريد المتقاعد، وربة زوجة جاره الفقيه المستتر فتى الديك الرومي، ميلانة وحبيبتها ناعماً اللدك العسكري المتقاعد صديق آدم أفندي والحجور مزنة

أناس يقطع الزمن أحلامهم ويحول بين تواصلهم، جعلت فيق آلاف الرسائل

الصاحبة هي خزانة آدم أفندي ويأكل الجراء منها الكثير.

الأحداث الدرامية كثيرة، الوحدة، العجز والتشيخوخة، الجراء، هضان الأمية، بيع البلدة... إلخ. لكن الكاتب استطاع بأسلوبه القدرس وتعايريه وخياله الصبب التخفيف من وطأة الدراما إلى حد كبير

ومن الرواية في مشاهدنا الأخيرة: «أخذت ختماً من أخاها ووضعته في جيب فستانها وقالت له: هذا يحمل لنا شيئاً خاصاً للكبرى، سأطلق احتفظ بذكرايتي عندك كغيفة إسمالك مالأخنا، وكلما وثت أجراس السيرير تفكر أن روعي تحلق فوق كل المكان

وقف في الشرفة لوداعها. ظهرت برفقة زوجها غافق الكمان وهو يحمل حبيبتي سفر ضخمتهن. لقد رفعت بصرها نحوه كما وعدت. في الساق حاول مرارا أن يحدد لون عينيها ففشل؟ كانتا بلون غاية زجاجية تتدفق فيه الحياة بكل مراتبها مسرعة مترعة وبشر فيها الفصول الأربعة في لحظة واحدة دائرة.

سوف تظل صورتها تبجج له أنه يعلم بها فقط، يحاول القبض عليها فيتمسك عليه الإمساك بها، ثمناً كالأهم، كالزسر، كالنحية في جربانها الهادي.

يلقني أيها الملك الحزين

محمد أبو ممتوق
بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٩



إلى اسم مستبنة من الشخافة التاريخية الصيفية والأديبين الصالبي والعربي تمتد رواية «يلقني أيها الملك الحزين»، وقد توسل فيها الكاتب بمزيج شيق من الخيال والواقع ليسر لنا أحداثاً اجتماعية في جو مستوحى من ألف ليلة وليلة، الفهيرة بالإضافة لأمر كثيرة، سلعها، شهيوار وشهزراء... وهنا مقطع حوارى أجاد الراوى استخدامه، وقد صاغه بصياغات لطيفة،

بعد مدة أنزلت المرأة الكتاب الذي يحبب مساوات نهديها وقالت كتاب مشير، قال المختار: لا يمكن لشيء يحجب نهدين يهاوى لا يكون لكثيراً، نهدين يعرف الأسباب؟ سال المختار: أي أسباب؟ سأأجاب اختاراً: أسباباً رومانية الرومانية لا أعرف، فهل تعرفين؟

... فما هو سبب الاندثار؟ عندما صارت ناعماً الهوى في روما أكثر حكمة من الرجال في جملهم الشيوخ تمتتت الإمبراطورية، ونهضت الفلسفة في جديد وما علاقة العنايت بالإمبراطوريات؟ الإمبراطورية القوية مثل غانية جميلة تحتاج إلى ساقين لتنهض عليهما، ساق في الشرق وساق في الغرب، وعندما لا يكون ذلك، تحصل القطعية بين الساق الأولى والثانية وينهار كل شيء.

خمسون عامًا اجتماعياً أساسياً

المثقفون المعاصرون
تحرير: جون سكوت
ترجمة: محمد حمدي
بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩، ٤٦٤ صفحة



يتناول الكتاب حياة وعمل وأفكار أهم خمسين مفكرًا برزت أفكارهم وألهمت نظرياتهم في النصف الثاني من القرن العشرين.

كما يشتمل الكتاب على مداخل مرتبة أبجدياً بحسب اللقب، ومعدة من قبل مجموعة من الخبراء المتميزين بأسلوبهم ونهجهم، وعلى كل مداخل، هناك نبذة مفصلة عن شخصية أساسية، معروضة في سياق تاريخي وفكري وتشاكون حياة العالم وعمله ودراساته وتطوره، ويغني تحرير فهم الفكار الختتم كل مدخل بفالميتين مرتبتين رصنياً: الأولى تتناول أهم أعمال الكاتب، موضوع المدخل، والثانية تتناول مقترحات لقراءات الختتم، ذات صلة بالموضوع.

تجديد فهم الوحي

إبراهيم حنيفة
بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩، ٥١١ صفحة



هل يتسوّغ الوحي مجمل تطورات المستقبل؟ هذا السؤال البسيط في ظاهره هو من أهم الأسئلة وأعقباها التي

بحوث اقتصادية عربية

مجلة عمية فصلية محكمة، ربع ٢٠٠٩

تعليق الاقتصادي عريضة



صدر العدد ٤٦ من مجلة بحوث الاقتصادية عربية، متممًا افتتاحية للدكتور محمد سمير مصطفى، ولثاني دراسات، وهي:

الآزمة الاقتصادية الأمريكية

وتداعياتها العالمية، د.عبد المجيد فدي

نظرة أساسية إلى الفقر وتوزيع

الدخل في المجتمع العربي (إطار

منهجي للسياسات ومقاربة كمية) د

محمد عبداللطيف عيسى،

صعوبات حماية العلاقات

التجارية الشهيرة في ظل الاقتصاد

الرقعي، د.لبنى شيخه،

نحو استراتيجيات عربية مشتركة

في الشأن البيئي: البيئة والتكثيف في

الوطن العربي، د.محمد مصطفى

الخطاب،

العمالة وشذاتية التحول نحو

اقتصاد السوق وتضخى الصاد (دراسة

اقتصادية تقييمية حول الجزائر)، د

عبدالقادر خليل،

التنمية المتدامة وتحدياتها

في الجزائر، د.ناصر مراد،

العلاقات الاقتصادية المصرية-

الاوربية: من التكامل السطحي إلى

التكامل العميق (دراسة تطبيقية على

المعونة الحكومية)، د.منى طه

الحرف،

اثر الاستثمار الأجنبي المباشر

في الاقتصاد الأردني، د.عبدان داود

محمد الخليل،

في العدد أيضا ثلاثة مراجعات

للكتب التالية: السياسات

الاقتصادية الكلية والمصر مع إشارة

خاصة إلى الوطن العربي، (سالم

توفيق السحبي وأحمد فتحي

عبدالمجيد)، أعدها سرمد كوكب

الحمل، والإزمة المالية العالمية ٢٠٠٨

الانعكاسات على الاقتصاد العالمي

والاقتصاد العربي (نبيل خشان)

أعدتها نورا محمد جادو، وطلعت

حرب وتحت إشراف الاستعمار دور بنك

مصر في الخمسين ١٩٢٠-١٩٤١

إبراهيم دافر، ترجمة هشام سليمان

١- حال الأمة العربية (٢٠٠٨)

أمة في خطر، تحرير نبين

مسعد وأحمد يوسف أحمد،

٢. مشروع نقد العقل العربي، من

بعد الخطأ إلى التعريف بالفرق

أحمد فريج أبو علاء)، أعدها رضوان

زباد،

وفي باب نشاطات

تحرير عن مدونة المواطنة والوحدة

الوطنية في الوطن العربي، مراكش، ١٣

١٤ مارس ٢٠٠٩ بالإضافة إلى يوميات

عربية ودولية مختارة، وبيلوغرافيا

مختارة،

١- الاختصاص التكميلي

للمحكمة الجنائية الدولية وعلاقته

بمختصاص المحاكم الوطنية

للعراق، د.نبيل

استراتيجية البرنامج النووي

في العراق في إطار سياسات العلم

والتكنولوجيا، أهداهم عبد الخالق

عبدالمجيد وعبدالمجيد إبراهيم

الحجاج،

٦. القبيلة في العراق، دينامياتها

ومورها السياسي (مقدمة لفرع دراسة

القبيلة في العراق) لياسين سعد

محمد البكري،

كما تضمن العدد وثيقة عن

مسئلة العنف الدولية تحت عنوان:

الأصل والخوف، حقوق الإنسان في

إقليم كردستان العراق،

أما في باب آراء ومناقشات فقد كتب

طلاب عثريين عن المشروع الإبراهيمي

بين استراتيجيتي الهجوم والدفاع،

وفي باب كتب وقراءات، مراجعة

للكتب الآتية:

تطور المجتمع المدني في العراق

٢٠٠٣-٢٠٠٨ (مؤسسي - حقوقي -

تشريعي)، (رابطة التدريسيتين

الجامعيين بالعراق)، أعد المراجعة

صباح ياسين

٢- التنصير الماوسن، (سبار)

روزنامة، أعد المراجعة صفي

عثمان،

٣- ما حدث داخل البيت الأبيض

في عهد بوش وثقافة الخداع لدى

واشنطن، (سكوت مكليلان)، أعد

المراجعة زياد حافظ،

إضافة إلى كتب عربية وأجنبية

وتقارير بحثية مختارة، أعدا كاس

الخوري،

كما تضمن العدد بيانًا إلى الأمة،

البيان الختامي الصادر عن الدورة

الشرين للمؤتمرات الخمس العربي،

وتقرير عن ندوة: من أجل الوحدة

العربية، رؤية للمستقبل، ببروت ٢٣

٢٥ فبراير ٢٠٠٩ أعد محمد مائل

واختتم العدد بالخلاف الإحصائي

(١١٣) بعنوان: مؤشرات إحصائية

مختارة عن الفقر في البلدان العربية،

أعدا كاسي الخوري، وموجز يوميات

الوحدة العربية، وبيلوغرافيا الوحدة

العربية

لحسن سعد، أعدها وليد خالد أحمد

حسن

١- الرواية الفلسطينية الكاملة

للمهاجرين من أواسل إلى خريطة

الطريق ج، مفاصل أواسل ١٩٩٣،

[أحمد فريج أبو علاء)، أعدها رضوان

زباد،

وفي باب نشاطات

تحرير عن مدونة المواطنة والوحدة

الوطنية في الوطن العربي، مراكش، ١٣

١٤ مارس ٢٠٠٩ بالإضافة إلى يوميات

عربية ودولية مختارة، وبيلوغرافيا

مختارة،

الدوحة

مجلة ثقافية شهرية



صدر العدد الجديد من مجلة

الدوحة، يتضمن مقالات وبحوثا

للدكتور حسن حنفي بعنوان: العاية

والضوء، ومقال للدكتور طيب تيريني

بعنوان: خداع الربا، ومقال لأزهر خزال

بعنوان القدس في مسيرة الزمان، ومقال

لإبراهيم غرابية بعنوان: «المعاظمون في

العمل» يتضمن العدد حوارا أجراه د.

محمد بوزيد مع ريجيس دويريه

كما يتضمن العدد نصوصا لسيدى

محمد ولد يعبا بعنوان: خداع الجاهل،

ولخديجة موالدي بعنوان: بئر العفش،

وللدكتور أحمد إبراهيم الفقيه بعنوان

«الصوت والصمت»، ولؤلاف أبو الهجاء

بعنوان: حكايات فلسطينية،

المستقبل العربي

مركز دراسات الوحدة العربية، مايو

٢٠٠٩



يتضمن العدد افتتاحية بعنوان

«قمة الوحدة ومشكلة النظام العربي،

للدكتور أحمد يوسف أحمد، وستة

بحوث وهي:

عبدالحامد اعدها ياسين محمد

الحمراوى. هذا بالإضافة إلى يوميات

الاقتصادية مختارة، وبيلوغرافيا الاقتصادية

مختارة، والملاحق الإحصائي لجمهورية

السودان أعدته ياسين محمد الجفراوى.

كما تضمن العدد معالاة سالفة

لإجليزية بعنوان: Women and Trade،

Liberalization in Africa، Challenges and

Composed by: Amal Opportunities،

Nagah Elbeshbishu

المجلة العربية للعلوم السياسية

مجلة دورية محكمة ربع ٢٠٠٩



صدر العدد ٢٢ من المجلة العربية للعلوم

السياسية، وفيه: افتتاحية العدد للدكتور

عبدان السيد حسين، «العدالة الدولية

المتسدة»،

وعلى بعنوان: «الأمن والديمقراطية في

السودان، يتضمن ثلاثة بحوث:

«أكبر من دافور: الأمن الإقليمي

للسودان على حدوده الغربية»، لحسان الحاج

على أحمد

٢- قضية دارفور: الأسباب والتحديات

وسبل المعالجة، ألام محمد عبدالله

«دور الإعلام في عملية التحول

الديمقراطي في السودان لمرحلة ما بعد

السلام، لمصعب عبدالقادر وداعة الله

أما الدراسات فهي:

١- الحصار الإسرائيلي لقطاع غزة في

صدد، القاشون المولى الإنساني لأمجد

صدقي

٢- الترتيبات الأمنية في غزة في ضوء

الأدوار العسكرية للمنظمات الدولية لأحمد

على سالم

٣- تجربة الوحدة اليمنية (دراسة تاريخية

سياسية) لسمير عبدالرسول العبيدي.

٤- الديمقراطية التيبانية والتشميل

النسائي في الدول العربية لها صوفي

عبدالحى

وفي باب آراء

١- علاقة الحركات الإسلامية مع الأنظمة

السياسية، الحالة التونسية، ١٩٩١، ١٩٩١،

عبدالحكيم أنوالوف

٢- المدرسة وإعادة إنتاج التخبية السياسية

في العرب الممارس الكبير، والتكنولوجيا

كولمري محمد

وفي باب كتب، مراجعات للكتب الآتية،

الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة

بين النص الثابت والواقع المتغير،

الطيب.. والقبيح
أفكار رسل غير المؤلف

جانب إخوة له في الإسبانية والحب لا يدل كذلك على قرب منا. في وسط ذلك، المحيد المظلم الذي تصادف أمه معه، العاتية أمداً قصيراً من الزمن، أن يتفق طريقته لنفسه وبخسفه، ومعارها ومجاهدتها ضد تلك القوى العاتية الشاملة التي تتهدده باستمرار. ومعنى هذا أنه لا بد للنفس الفردية أن تحشد لك طاقتها الشخصية لمواجهة تلك العالم الخارجي الذي لا يأبه في كثير أو قليل، بكل ما لديها من أمال وأحلام. وجن نبينا للنفس الفردية أن تضلّص بالصبر في صراعها أمام الضى قوى الظلم، فهذه لا يصحب في وسعها أن تنقم بضمك الأبطال المجيدة، ويكون في استطاعتها أن تتصعب بنشوة الوجود البشري الذي لا يخلو من جمال.

والذي شك أن هذا التلاقى الربيعي
الذي يتم بين النفس من جهة،
والعالم الخارجي من جهة أخرى،
نفساً هو المحصر الذي تتولد منه
فضائل الحكمة، والحياة. وتكرار
الثبات، وبالتالي فإنه الأصل في ظهور
الحياة إنسانية جديدة. حين يتمكن
الإنسان من استدراج تلك القوى
الخارجية المعادية التي تبدو البشر
مذلة. الأعيب في هذا، إلى أعماق
بحرته. أو حين ينعج في تسليط
أضواء الوعي على الموت والتفكير
المحاضى الذى لا يسبيل إلا
استرجاعه، والحضن البشرى، أمام
قوى الطبيعة الغاشمة. فهناك،
وهناك فقط، يكون قد استطاع
السيطرة على الكون اللاواعى،
والتي تحكم في القوى الخارجية
الغائبة. وعلى ذلك ارتكزت فصول
كتاب رسل الذي وضعته بين أيدي
القارئ.

إن ترجمة عنوان الكتاب للغة العربية تحتمل مسميات عديدة، منها على سبيل المثال (مقالات لا تشوق)، ولكني أشرت أن يكون العنوان (بحوث غير مألوفة) لأن موضوعات الكتاب هي فعلاً غير مألوفة وتشوق قراءتها. ■



Russell

Vladimir Casarin

Unpopular Essays,
Bertrand Russell
Simon & Schuster,
New York, 1964

يُمرّ جديريّس بهياكل جسمانيّة
جميلة ومعقّدة كالنّاس ذوي النّكّاء
والحداد والتّامبل المميّدة، إذ يفضّ
بهمهم كيّس ويغوهمهمم أحمدا
تلتقي الطّعام، والآخر لتدفعهم
أنهمم ليسوا سوى مرّة للطّعام
أحواض لامتلاء الماء، فهمم
تقتصرون في الشّبه بأولئك النّاس
على الوجّه والصّوت، بينما هم في
لبّ الأضيّاء أسوأ من الحيوانات
المفترسة.

وفي موضع آخر حول هذا الموضوع يكتب دافنشي بعد دعوة طعام في الفاتيكان قائلاً: يحدثنا مينكا الفيلسوف الروماني بصدق، هو يقول: (ينطوي في دخيلة كل إنسان إله ووحش مرتبطان بسلسلة واحدة).

إن رسل أراد من كل هذا أن يخرج
إنساناً مهذباً متحضرًا يسالم أخاه
في سبيل إنسانية عليا. إنساناً
يحضو فوق سطح حطام صغير
يتفاديه الأمواج من كل صوب.
تعمره الظلمات من كل جانب، ولا
كاد تنعكس فوقه إلا بعض أضواء
خافتة تنبعث بين الحين والآخر من

پروانہ سید

بحور غیر مألوفہ



پروفیسر محمد رفیع

بحوث غير مألوفة
 مترجم من قبل
 ترجمة سمير عبد
 دمشق دار التكوين للتأليف والترجمة
 والمطبوعات ٢٠٠٩

لأوصاف مجموعة من الظواهر
لجزئية، أو هي عبارة عن تعميمات
لخصائص معينة وجدت حول بعض
الظواهر.

كان رسل فيلسوفاً حتى هو
 يدعو إلى تفكير الفلسفة حيناً من
 أجل التفرغ لكفاح المولى... وعليها
 جميعاً أن تتلقى منه العليّ وفعيه.
 ليست الفلسفة، وليس الفكر.
 وليست الثقافة، كلاماً أجوف يقال.
 وجداً أياراً يشغل السليح
 الخارجى من عقول الناس، وإنما
 على قبل كل شيء رؤية واضحة
 لحقائق العالم الذي نعيش فيه.
 فليس مستمراً يتجرجر فيه النظر
 والعمل، من أجل جعله عالمياً أفضل.
 لن هذا يبين لنا أن فيلسوفنا كان
 يصير العقل على الخرافة، يرى في
 العمل والمصناعة ركناً ركنياً
 للحضارة، وهو يحاول أن يقطع من
 الإنسان كل ما قد تخلف في طهرته
 من الحياة الحيوانية الأولى، والتي
 تملأ بالرغبة الجامحة وبالشهوة
 العدوان. أو كما قال ليوناردو
 أفينشى (يبدو لي أن الناس دور
 الأخلاق الجيدة والشهوات الحيوانية

■ أهميته ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية على الأفكار غير الموضوعة التي أطلقها رسل في عدد من القضايا التي توضح فلسفته ونظراته إلى الحياة والتكون ولسان حال يقول: كما سبق لأكون فراسي في كتابه (حديقة أبيقور) أن قاله: نرو كما نذكره أشكال النفس كما عداء لعقل سبق لإبقدمار يعادي رياضي زاوية تفتقر إلى خمس أوست درجات لتكون لي خصائص الزاوية (القائمة).

وتلصيح مفهوم المنطق عند
رسول ذكرى أن هن جانيبن بقوم لالامها
على التحليل: احدهما جانب
فلسفي والآخر رياضي. ونستطيع
أن نصل إلى الجانب الأول إما عن
طريق تحليل الشرعية. وإما عن
طريق تحليل اللغة. أم الجانب
الرياضي فنصل إليه عن طريق
تحليل المفاهيم إلى المتغيرات
والرياضية وتحويلها إلى مفاهيم
منطقية. والنظريات التي
استحدثها رسول في المنطق
والفلسفة نظريات حصل عليها
من تحليله لعناصر المنهجية
الضالعة ومن تحليله للغة. سواء
في ذلك اللغة الطبيعية أم لغة
العلم.

لقد اعتقد رسول، كما اعتقد
هيوم من قبل، ان ما أهم وظائف
الفلسفة التي تتحدى افراضات
العلم، لا يهدف الشك فيه وتزاول
اركانه على نحو ما فعل هيوم، بل
من أجل إزهار وجوده. والعلم في
صميمه جهاز من المعرفة والقوانين،
لكن المعرفة العلمية لا تقدم لنا
مضمون الإدراك الحسي، وهو عبارة
عن قطعجب بل حاسة الشخص
المرتد، بل تقدم لنا هياكل أو إطارات
تصور العلاقات بين الظواهر. فليس
موضوع علم الحرارة كالميكانيكا
إحساس هذا الضرر أو ذلك بل بسملة
الأجسام الحارة، بل موضوعه هو
الخواص المعنية التي يمكن قياسها
وبناء معادلات رياضية خاصة بها.
وهذه الهياكل أو الإطارات التي
تقدمها لنا القوانين العلمية ليست
بشيء حقيقيا بل حقائق مستخرصة

المعلومة في الساعات وراء قيام جويوتيك بإصدار هذه الكتب المكون من خمسة فصول ويحتوي بعضها أساسيا عليه مؤلفه هو الرئيس تسنها ووسائل الإعلام العربية والسلمة والتي لاتعادي الصهيونية والصهيونية فقط بل أساسيا اليهود تشعب. يحتوي الكتاب على ما يزيد على ١٠٠ من هذه الرسوم التي قام المؤلف بتجميعها لتتخذ شكله. وكان ما قام أحسن المؤلف لصياغة هذه الفكرة في كتاب هو حدث في مؤتمر ديربان (١) لمكافحة العنصرية والذي عقد في سبتمبر ٢٠٠١ وكان يستهدف أيضا العنصرية وشعبها بكافة صورها. قام البعض بمحاولة أن تظهر الحقير في فكرة مؤلفها أن وسائل الإعلام العربية والمسلمة تبذل إلى نشر واث الرسوم الهادئة لتسامة إلى هذه المواد وتمويل المنظمات اليهودية ولكن لم تقابل هذه المحاولة بأثر فكل من جانب الوفود الحاضرة للمؤتمر. دفع هذا التجاهل جويل كوتاك إلى القول بأن هذه الرسوم الهادئة للصهيونية واليهود تقدمهم دائما لمظهر ساذجاتهم مخلوقات بشعة متعشبة للدماء وشعوف نال والسلطة لليهود والتي تدبر لظروا لمصلحة الكارثة لليهود وأيدي بيوتان كلا من العرب المسلمين والغرب المسيحي يتصون عليها. وجويل هو استاذ التاريخ في جامعة بروكسل الحرة وحاصل على الدكتوراة في العلوم السياسية ومتخصص في موضوع التكامل الأوروبي ومركز للتدريب في مركز الوثائق اليهودي المعاصر في باريس قبل للكتاب موسى (٢).

بمحاكاة أشكاله - والتصانيف المطبوعة - والإلكترونية والإذاعة والتلفزيون - يحظى نصيب الأسد في عملية تشكيل الصور الذهنية لدى المتلقي وإذا كان هذا الاتجاه هو الألة التي تصنع أو توسم هي صناعة الأراء والأفكار والتي ظهرت لنا وفيه مع ما في الكتاب، الإنتاج الثقافي اليهودي في أمريكا اللاتينية، التقدي الأمريكية اللاتينية مؤلفاً لما يقرب من نصف مليون يهودي يتألف معظمهم من الشيكاويين والمكسيكيين في كثير من الأحيان الذين هم في أمريكا اللاتينية كما تعد البرازيل والمكسيك والولايات المتحدة الأمريكية تضم أكبر الجاليات اليهودية. ومن الملاحظ أن لليهود في أمريكا اللاتينية تواجد مشترك في الإنتاج الثقافي والفني وذلك فضلاً عن ترويض الواضع في مجالات المال والأعمال والتجارة. وعلا غير هؤلاء نلاحظ من صناعة السينما في الأرجنتين والمكسيك تعتمد بشكل مكثف على اليهود الذين يهيمنون على عمليات الإنتاج، كما يلحظ أن وسائل الإعلام الأخرى كالصحافة المطبوعة والإذاعة والتلفزيون تحتل اهتمامات هؤلاء منذ أيام ميجد وأصل النظر في تلك الاهتمامات نجد أن الإنتاج الثقافي ليس هو المجال الوحيد الذي تفرغوا فيه اليهود ولكنهم في الجاليات والأمريكيين والبرازيل والمكسيك وخاصة سياسات التمييز المنهجة هذه الدول إلى ذو هذه الأنشطة. المؤلف هو ديفيد فيليبس فوستر أستاذ الإسبانية والعلوم السياسية والدراسات النسائية.

عديدة مثل أسعار ومعدلات الفائدة وتجارة الكربون والتضخم وأسواق المزارعين ويطرحون بعض الأفكار ومحات من صياغة الإنقاذ جاذبة إلى خصم حائل من الحوار الإنشائي التي أحييت الموقف. أجمع في محاولة لإنقاذ الموقف. وطبقا لقرار الاقتصادي السابق جيف لن يكون هناك إنقاذ للقطعة هذه المرة فقد تعرض الاقتصاد الأمريكي للآفات عديدة في النفط وكل هذه الفترة غيرت قواعد اللعبة وهذا يعني المستقبل لن يكون اعتمادا للماضي التاريخية لن كأي حال فبعد رواها على الخريف من النفط. كبت مظاهر الشرة من سيارات ومنازل وشي تفاصيل الحياة في هذا العالم الذي يستمد حياة من النفط قد تمت ولكن في قضية البترول الريفيش والأرثو وبعده النفط فلا يمر من انكماش العالم. وعن تنبؤات جيف عن النظام المالي الجديد يقول أن نهاية كل العولة سوف تفرش والها يضم بعض الخاسرين وبعض الفائزين لن تتعاوى بين صناعة السيارات في الظل الكاشع من نفس النفط لكن شركات جديدة قد تفتح أبوابها لصناعات جديدة. سوف تغطي المزيد من الوظائف ولن يرى النمو الاقتصادي بنفس المعدلات التي جعلتها العولة وسوف تظهر مدائل إحياء وتضييق الأسواق المالية والأجواء والند. سوف جيف يرى أننا شئنا أن لا يكون جيف عالما إلى لا إكسنام. جيف روين هو كبير الاقتصاديين في CIBC ما يقرب من عشرين عاما ومن أوائل الاقتصاديين الذين برعوا في التنبؤ بأسعار النفط منذ ٢٠٠٠ ويقعن لورنس.

why your world is about to get
a whole lot smaller
Oil and the end of
Globalization
لماذا يتجه العالم نحو الانكماش.
النقط ونهاية العولمة

Jeff Rubin
Random House
2009, 304pp\$17.16



الرهون القارية، ولأنهم السلاطون
الاطلسي الصغير، سيطرت الدفوع
البراسية رموز قد عرفت الانطباع
بناعدام العلاقة بين لكنها في واقع
الامر تشير إلى محتوى عتيق في
تشكل عناصر معادلة معددة في الحل
يحتل فيها طبيعة دور افرات، فانعاصر
ساسة جميعها تدور بمرارة لعصر
البتول الرخيص، هكذا يقول جيش
روين ليهو كتاب، لانا يتجه العالم
للعول، الانكماش، النفط والصلابة، العولة.
وهو من أحدث الإصدارات الأمريكية
للعول العام وقد يتنبأ بانتهاء
العولة مع انحصار البتول وشيوع
الكساد والركود يقول المؤلف حدوث
العديد من التغيرات على مستوى
العالم في ظل عصر تتصاهل فيه
إبداعات الصنعة وإزادة الطلب عليه
الطلب ملغز ويحدث انه مهما طالت
حالة الكساد وتسببت في انخفاض
الأسعار فإن البتول لن تسري ليه
الطلب القاعدي ولن يتحول إلى سلعة
رخصية ويرى جيف روين ان نهاية
حجبة البتول الرخيص تشكل
الصدمة العتسول للاقتصاد العالي
الرائع عرض حبيبه عن ظل العدمة
يمول جيف روين عن حلول البتول
التي أصابتها الشحوخة والهرم و
المملكة العربية السعودية، ورمال
القطران الروسية، والمركز التجارية في
دبي، ومصانع السيارات التي أغلقت
بواها في أمريكا الشمالية وأوروبا.
والفتحات الصينية التمركية في
الرهون في متاجر دول ماركة، وانها
بجومة ولو ستريت وملازمة كل ما
سبق هو حلقات في سلسلة ضخمة
تجسها كلها قبل واحد ضخم ان
اسكار النظم، يقدم المؤلف ان
الحقائق الجديدة التي نتجت من عجز
إمدادات البتول عن الوفاء بمتطلبات
الطلب عليه أصبحت تدور عنصرا

إذا كان الابتاع الثقافي والإعلامي

Cartoons and Extremism

Israel and the Jews in Arab and Western Media

لرسوم والتطريف، إسرائيل واليهود
في وسائل الإعلام العربية والغربية
Joel Kotek, Alan Dershowitz
Mitchell
Vallentine 2008, 201 pp \$23.85

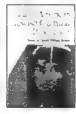


تعد الرسوم من أكثر طرق التعبير شعبية وقدرة على توصيل الرسائل الإعلامية سواء كانت في شكل كاريكاتير أو رسوم متحركة، كانت هذه

Latin American Jewish cultural production

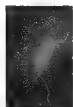
للإنتاج الثقافي اليهودي في أمريكا
للألفية

David William Foster
Vanderbilt University
Press, 2009 . 320pp \$34.95

Rethinking Insecurity and
Violence: Beyond Savage
Globalization

ما وراء العولمة الضارية، إعادة النظر في العنف واختلال الأمن

Damian Grenfell, Paul James
Routledge, 2008, 244 pp\$ 42.50



إذا كان مفهوم العولمة قد ارتبط بوصف العمليات التي تكتسب بها العلاقات الاجتماعية نوعاً من عدم

الغرب والعالم الإسلامي. تميز تركيا طبيعة جغرافية خاصة فهي تعتبر مشرق طرق أو نقطة التقاء بين الشرق والغرب وهي فقط لأفريقيا أوربا وآسيا وفيها يلتقي الإسلام بالمسيحية. وقد ظلت تركيا لوقت طويل حليفا مقربا وهاما لأمریکا ولكن تلافيا سلسلة من العوامل السياسية والإستراتيجية في عهد الإدارة الأمريكية السابقة كان يشكل خطرا على العلاقة التركية الأمريكية وكذلك التوجهات القديمة لتركيا نحو الديمقراطية الغربية. فليب جوردون وعمر تاسينار الثامن من كبار المحللين قدموا شرحا لهذا الوضع المقلق للحق وكذلك قدموا خطة لتحسين يرى المؤمنان أن المخاطر واضحة فتركيا في الدولة الديمقراطية الأكثر تقدما في العالم الإسلامي. تنسرك في الحدود من عدم من الثقافة السطحية في العالم مثل إيران والعراق والكويت. كما تتجه تركيا ذات التوجهات الغربية إلى عضوية الاتحاد الأوروبي ويساهم احتلالها للممر بين الأسواق الغربية وبحر قزوين في تنامي سوق الصادرات وتمثل أيضا مصدرا جيدا للمعالة كما أن لها تأثيرا إيجابيا في منطقة الشرق الأوسط وهي حليف جيد في إطار الحرب على الإرهاب، ويذكر المؤمنان أنه مما اضطر إلى الصلوة مؤخرا من القضاة تصاعد المعاداة للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة السابقة وتقلص الأموال في الانضمام للاتحاد الأوروبي والتشاورات بين المدنيين والعسكريين والتهديدات الإرهابية التي تزعزع النظام السياسي التركي المضطرب في أساسه. يقدم، تركيا الفائزة، خطة لتخفيف حدة التوتر في تلك البقعة الحرجة من العالم، فضلا عن تقديمه اقتراح، الصفقة الكبرى، بين تركيا والأكراد ويدعو لزيد من الدعم لتركيا والدبلوماسية الجديدة. وتجديد الالتزام من كلا الجانبين للتشاورات الأوروبية في عضوية الاتحاد الأوروبي والتسوية التاريخية مع أرمينيا والغرب من التفاعل الإيجابي بين الطرفين والأترك المقارعة. فليب جوردون هو زميل بارز في معهد بروكغنز والمدير السابق للمنطقة الأوروبية في مجلس الأمن القومي ومن مؤلفاته: الفوز في الحرب (الحقبة) الطريق إلى أمريكا والعالم (الحلفاء في الحرب، أمريكا، أوروبا، والأزمة في العراق) وهو أستاذ دراسات الأمن القومي في كلية الحرب الوطنية.

مفتاحا لفهم الوضعية العالية للمرأة في الأسرة المصرية القديمة حيث توفر لها القدرة على الوصول للسلطة ودراسة الطب والتمتع بالحريات الأساسية التي لم تتمتع بها المرأة في الحضارة الغربية حتى القرن العشرين وتساوت المرأة في مصر القديمة مع الرجال وتقلدت الأمور السياسية والحكم والأخلاق على ذلك في الملكية حتشپسوت ونفرتيتي وكليوباترا. الكتاب يتكون من ستة فصول تناولت فيها المؤلفة المؤسسة المصرية، السياق التاريخي، الأسرة المصرية القديمة في المجتمع، وصف علاقات القرابة المصرية القديمة، وأخيرا مصر وغيرها من الثقافات الأفريقية.

Winning Turkey : How America, Europe and Turkey can Rive and Fading partnership

تركيا الفائزة، كيف يمكن إحياء ودعم الشراكة بين أمريكا وأوروبا وتركيا

By Philip Gordon, Omer Taspinar
Brookings Institution Press
2008, 115pp, \$12.89



تركيا من وجهة النظر الغربية الأمريكية على وجه الخصوص هي النموذج الإسلامي المعتدل، ولها ميزات أخرى منها عضويتها في حلف الأطلسي وكونها حليفا قديما للولايات المتحدة الأمريكية. هذه هي بعض الأسباب التي وضعتها ضمن مجموعة دول إسلامية منحها إدارة أوباما أولوية في علاقاتها بالعالم الإسلامي. لتتحالف أوباما أعمية دور تركيا كجسر يربط بين العالم الإسلامي والغرب وكان ذلك عند حضوره الاجتماعات بين مجموعة من الحضارات، والذي عقد في اسطنبول في الشهر الأول الأولي لتوليها حكم الولايات المتحدة. تؤكد تركيا تواجدتها الأساسي دورها في محاولات إيجاد الحلول للمشكلات التي تستعمل في المنطقة الإسلامية كالمغرب العربي الإسرائيلي ويرى بعض القادة في العالم أنها قد تكون بوابة الحوار بين

مجموعة من الافتراضات التي تعكس تحولات واضحة في منهجية المناقشات الدائرة حول انحدام أو خلل الأمن. يشك كتاب، ما وراء العولة الضارية، إعادة النظر في العنف واختلال الأمن، مرجعا هاما للطلاب والدارسين في مجال العلاقات الدولية والدراسات الأمنية ودراسات الأجناس والعولة.

The Ancient Egyptian Family : Kinship and Social Structure

African Studies
الأسرة المصرية القديمة، صلات القرابة والبناء الاجتماعي، دراسات أفريقية

By Troy Allen
Routledge, 2008, 114pp \$95.00



الحضارة المصرية كان لها تأثير في تاريخ البشر وضعت أسس اجتماعية وثقافية ذات جذور واضحة في نمو الحضارة المصرية وكذلك هناك العديد من القيم الحضارية التي ورثت من المصريين القدماء ومن أهمها الوضع الاجتماعي للمرأة في حياة المصريين القدماء نستطيع أن نستخرج من المصادر التاريخية المتاحة أن المرأة المصرية في العصر القديم كان لها وضع أفضل من مثيلاتها في اليونان القديمة أو روما كما أن روابط القرابة التي تشمل زمام الأسرة المصرية منذ القدم والتي بالتالي تؤثر على البناء الاجتماعي المصري تأتيرها ظاهرة لافتة لنظر مؤلفة هذا الكتاب. تروى آين وغيرها من علماء المصريين الذين وضعوا استنتاجا رئيسيا وحاولوا الوصول إلى جانيته وهو تأتير نظام القرابة سواء من ناحية الأب أو الأم على بناء المجتمع المصري القديم الكبيروالتي يتكون من مجموعة من الأسر الصغيرة وهل صلات الرحم القرابية لها تأثير في الحياة الاجتماعية. قدمت، ما ديل إجابة لهذا الاستفهام وذلك برسم تفاصيل وعناصر المجتمع المصري القديم وترى المؤلفة أن صلات القرابة لها تأثير قوي على الأسرة المصرية التي هي البيئة الأولى لبناء المجتمع وهذا يوفر لنا

الفصل وسقوط الحدود وتلاشي المسافات حيث تمارس الحياة في العالم مكان واحد، القرية الصغيرة، فإن ذلك ارتبطا بزيادة تفاعل الحضارة وتأثيرهم ببعض البعض على مستوى العالم وصبرت العولة عن تطويع هامين هما التحديث Modernity والاعتماد المتبادل Inter dependence وأركز مفهوم العولة على التقدم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية بالإضافة إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة في الساحة الدولية. توافقا مع الطبيعة الكونية التي تؤكد عدم توافر صفات الكمال في شيء حيث اخص الله نفسه بهذه الصفات فإن للعولة سلبات وإيجابيات ولها مؤيدون ومعارضون. المؤلف دامين جرينفيلد وهو أستاذ بمعهد مليون الملكي بجامعة مليون في استراليا قدم هذا الكتاب الذي سطر من خلاله الضوء على بعض الأثر الجانبي الطرفة للعولة والمتعلقة في استئراء حالة من العنف والخلل الأمن على مستوى العالم، الكتاب يعد تجميعا لمجموعة من المقالات التي تمت صياغتها في سياق حرب على العنف والأرهاب وبها طغر منه هذه المقالات تحليلات منهجية واسع النطاق وطويل المدى ومستمد من حالة انحدام الأمن السياسي والعسكري والثقافي وذلك على المستويين المحلي والعالمي. يقدم المؤلفون تحليلا أساسيا لظهم أسباب الصراع والعنف في العالم اليوم وذلك بصيف بعدا جديدا ومختلفا يتجاوز مجرد تحديد هذه التهديدات إلى محاولة تقديم الحلول لإعادة الاتساق إلى الوضع الأمني. في هذا الكتاب قام المؤلفون باستكشاف الروابط بين العولة ومختلف الصراعات والتهديدات التي تحيق بأمن البشر بما في ذلك التهديدات البيئية والتهديدات المرتبطة بإحصاد الأمن والسلام بين الأجناس والأعراق المختلفة وقاموا بدراسة عميقة لسياسات ومصادر هذه التهديدات بهدف وضع أسس للحد من العنف وكافة أشكال الخلل الأمن في عالم اليوم، وذلك يتبع توجيه ومساندة القرارات السياسية التي تتساهم في استتباب الأمن على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي. قسم المؤلف كتابه إلى أربعة أجزاء رئيسية هي: 1- إعادة صياغة مفاهيم الخلل الأمن 2- الأمن والعولة 3- علاقة بين المحلي والعالمي 4- مرحلة ما بعد انحدام الصراع وأشكال المصالحة والغاش العلاقات. تستفيد فصول الكتاب مواجهة وتصدى كل مفاهيم انحدام وغلل الأمن التي تسود في الخطاب التقليدي للحروب والصراعات وإعادة صياغة

القاموس التاريخي للكنيسة

القبطية
جودت جبرا
القاهرة: الجامعة الأمريكية. ٢٠٠٨. ٢٢٢ صفحة



وفقا للتاريخ فإن القديس مارك أدخل المسيحية إلى مصر في القرنين الأولين وذلك ثم وضع الأساس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية. اليوم يشكل الأقباط أكبر مجتمع مسيحي في الشرق الأوسط يمثلون تقريبا عشرين سكان مصر والكثير من مئات الآلاف منهم يعيشون في أمريكا الشمالية وإستراليا. هذا عمل مرجعي جديد وشامل قام به باحث قبطي رائد ويقدم فيه بوصف تفاصيل تاريخ واحدة من أقدم الكنائس المسيحية عبر الزمن. فيقدم معرنا بأكثر من ١٩ قرنا وقد أنتج آلاف النصوص والدراسات اللاهوتية والدراسات التي تتعلق بالإنجيل. المقالة الافتتاحية والتعريف بالكتاب وأكثر من ٤٠٠ فصل في القاموس تشكل مدخلا لشخصيات ومنظمات وأبنية مهمة، وأهوت وممارسات الكنيسة، أدباها وطقوسها الدينية، وإدبرتها وكناستها وتوضح تاريخ هذه المؤسسة الساحرة وتاريخ تابعها. جودت جابرا هو مؤلف ومحرر العديد من الكتب عن المسيحية المصرية من بينهم، كنوز الفن القبطي، مطبوعات الجامعة الأمريكية. ٢٠٠٦. ويعد حاليا أستاذا وأستاذ للدراسات القبطية بجامعة كليبرسولت جبراديوات بكاليفورنيا. (CGU)

الاقتصاد السياسي المصري- علاقات

القوة في التنمية
نادية رمسيس فرح
القاهرة: الجامعة الأمريكية. ٢٠٠٩. ١٩٨ صفحة.



هذا تقديم جديد لتأثير علاقات

القوة على التنمية الاقتصادية. تتعامل هذه الدراسة الجديدة مع اكتشاف الحركات السياسية والاقتصادية العظيمة في تاريخ مصر الحديث منذ تعيين محمد علي وأليا على مصر في عام ١٨٠٥ إلى عهد الرئيس مبارك، مع تركيز خاص على الفترة فيما بين ١٩٩٠ و٢٠٠٥ والتساعده على الأداء الحقيقي لسياسات التعديل والبنوي وتسريع الخصخصة والتحرر الاقتصادي ونشوء جماعة المحافظين الجدد خلال حكم الحزب الوطني الديمقراطي وتميزت لصالح التجارية وتقديم بيان منها للحكومة والبرلمان. وتؤكد المؤلف أن عملية التجديد في مصر خلال القرنين الماضيين حددت بعلاقات وترابطات القوة ولذلك هي تحقق بمعنى في تأثيرها على تنمية الاستراتيجيات والتحرر السياسي وعلى تأسيس الإسلام كإيديولوجية مهيمنة تبنتها الدولة منذ بداية السبعينيات وعلى العلاقات بين الجنسين في التنمية. ناديه رمسيس فرح هي أستاذة الاقتصاد السياسي في الجامعة الأمريكية بالقاهرة. تخرجت من جامعة القاهرة، أكملت دراستها في جامعة دوك في شمال كارولينا وجامعة ماري لاند بولاية ماري لاند وعملت كاستاذة دولي في مجالات نوع الجنس والتنمية والسكان والصحة الإنجابية.

نقرات الظلم

ميرال الطحاوي
القاهرة: الجامعة الأمريكية. ٢٠٠٩. ٩٧ صفحة



إنها قصيرة ولكنها رواية مصنوعة بحرفية ومهارة عالية تحكي قصة مهرة تلك الفتاة سلبية الشبائل البدوية التي استقرت في دلتا النيل بشمال مصر في القرن التاسع عشر. الناس يختلط بالخاص بينما تتعرض الأسطورة والفلكلور للواقع في حين أن مهرة تحاول اكتشاف الحقيقة حول أمها عن طريق الصور الفوتوغرافية التي تزين حوائط منزل جديها والأوراق الأخرى المخبأة في الدواليب والأدراج. حكاية مهرة عن اكتشاف الذات تقف ضد تضاربات القصر أمام أمها من اليدو الذين يجاهدون ليحافظوا على هويتهم وشاقتهم بين

الجمبع المصري الكبير الذي ينتهك حرمتهم. بإرادة عبيد لا تستسلم بالرغم من حسمه الداخلي بالقدر المشؤم تتحرك مهرة بقوة لتكتشف الحقيقة المرة عن حياة أمها المأثرة.

وصفت والوشطنطن بوسمت ميرال الطحاوي بأنها "أول رواية مصرية تكشف النقاب عن حياة البدو المصريين فيما وراء الأراء الشائعة وتوضح أزمات نساء البدو وكفاحهن ليصبحن حرات". هي مؤلفة الخباء، مطبوعات الجامعة الأمريكية ٢٠٠٠. والباندجاجة الزرقاء، مطبوعات الجامعة الأمريكية ٢٠٠٢. قام المترجم انتوني كالدريانك بترجمة العديد من الروايات القبطية الحديثة كان آخرها: ضياع الراحلة، للروائي السعودي يوسف الحميد، «الجامعة الأمريكية ٢٠٠٧».

مدن بدون نخل

طارق الطيب
ترجمة كريم جاييس بالر زيد
القاهرة: الجامعة الأمريكية. ٢٠٠٩. ٩٠ صفحة



في محاولة بالنسبة لإنقاذ أمه وأختيه من المجاعة والمرض يفاذر الشاب الصغير قوته البدائية في السودان بمفرده ساعيا إلى العمل في المدينة. هذه هي بداية رحلة حزمة الطويلة: الجوع والعسر المدفع يقودانه بعيدا جذا عن وطنه. في البداية من السودان إلى مصر حيث قلة فرص العمل تجبره على الانضمام إلى جماعة من مهريي البضائع وأخيرا إلى أوروبا، إيطاليا وفرنسا وهولندا، حيث لاقي بشكل مباشر رؤوسه عالم الانضمام إلى جماعة واقع العيش كعاهجر غير شرعي. يقدم طارق الطيب في روايته الأولى تصوير جامدا عن الفقر في كل من العالم المتقدم والمتنامي. مع أسلوب بسيط بالرغم من انقائه، مدن بدون نخل تحكي عن حياة إنسان فاجعة يتخلفها بعض المخلفات من المرح الحقيقي. قال عنها الشاعر والمترجم الإنجليزي جاييس كيركب في جريدة نيويورك بمجدر البدء في قراءتها يصبح من الصعب تركها. مثيرة ومبتكرة. إنها تمام أدب رفيع يقدم لأول مرة. ولد طارق الطيب في القاهرة عام ١٩٥٩ من أبوين سودانيين يعيش في النمسا منذ عام ١٩٨١ حيث يعمل أستاذا

في مركز الإدارة العالي بجامعة العلوم التطبيقية في كرمس، وهو مؤلف لروايتين كما أنه يكتب القصة القصيرة والشعر. أما المترجم كريم جاييس بالر زيد فقد نشر العديد من ترجمات الشعر العربي في صحف متنوعة.

القصص

زكريا تامر
ترجمة بريان أو روك ودينس جونسون
دايفس
القاهرة: الجامعة الأمريكية. ٢٠٠٩. ١٦٨ صفحة



«ذهبت أمي لزيارة جارتنا أم بهاء ولكنها رفضت أن تصطحبني معها ذريعة أن السيدات تزور السيدات والرجال يزورون الرجال لذلك لمكنتي بمفردتي مع وصفا لهما إنها لن تتأخر أكثر من دقائق قليلة. أخبرت فطمتي أن سأقوم بخفنها ولكنها لم تلتفت لي واستمرت في لعق شعرها بلسانها». هكذا نتعرف على الراوي في القصة أعوام لرواية القنفذ الذي يقدمنا عالمه، بيته (مع الفتاة الجنسية التي تسكن سريريه)، حديقته (حيث يتشمن أن يصبح شجرة)، وصديقته المفضل الحائض المصري الأسود. هذه الحكاية القصيرة الحكمة بقية تؤكد أن زكريا تامر مازال في أوج قوته. القصص القصيرة التالية نشرت لأول مرة في المجموعة القصصية «النمور في اليوم العاشر». رغم مختصرون ومحكمون يتعاملون مع وحشية الرجل مع الرجل ومع المرأة أيضا ويوضحون أسلوب الكاتب المزدوجي الهجائي الواضح. ولد زكريا تامر في دمشق عام ١٩٣١ ونشر أول قصصه عام ١٩٥٧ وعرف لفترة طويلة على أنه واحد من أبرز كتاب القصة القصيرة في العالم العربي. صاحب كتابتيه لقصص الأطفال في المقام الأول. يعيش حاليا في لندن وقد حصل على جائزة بلو ميتروبوليس المأجدي بن ظاهر للأدب العربي ٢٠٠٩. أما المترجم بريان أو روك ودينس جونسون والعمدة الدبلوماسية ويعيش في استنبول، ودينس جونسون دافيس ترجم أكثر من ٣٠ مجلدا من الأدب العربي الحديث.

عايز تعرف مكان أى بيزنس فى مصر؟

حدد على
الخريطة و انطلق!




...هتلاقى...



...هتدور...



ادخل على **YellowPages.com.eg** من الموبايل أو الكمبيوتر وهتلاقى كل اللى أنت عايزه.

دليلك للأعمال فى مصر

YellowPages.com.eg
 Print • Online • Mobile

و المرة دي علينا ...

علشان الكل يتكلم أرضي

حمد ذاكر حسين عمارة ١٠

رصيد سابق	دول	محم
...	مصرفات إدارية	تأمين
...	١٠.٠٠	...
ضريبة أرباح تجارية وصناعية	انترنت بسعر المكالمات المحلية	خدمات الشبكة الذكية
...	٧.٩٠	...

حتي
٣٠ يونيو

مفيش غرامة تأخير
على كل الفواتير
مهما كانت متأخرة ولا كتير

دلو قتي تقدر تشغل خطك المرفوع
من الخدمة و تسدد فواتيرك المتأخرة
نقدا أو بالتقسيط من غير أي غرامة تأخير

هذا العرض ساري حتى ٢٠٠٩/٦/٣٠

لمزيد من المعلومات اتصل بنا بسعر المكالمات العادية (٣ قروش)



المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

www.telecomegypt.com.eg